مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد المزدوج (٢٨-٢٩)

السنة التاسعة

هيئة تحرير المجلة:

رئيس التحرير - الاستاذ عبد الكريم خليفه
رئيس المجمع

الأعضاء:

الأستاذ محمود السمره - نائب رئيس المجمع

الأستاذ سعيد التل

الأستاذ محمود ابرهيم

الأستاذ عيسى الناعوري - الامين العام

الأستاذ عبد الرحمن بشناق

الأستاذ فتديل شاكر

الأستاذ عبد المجيد نصير

الفهرس

أولاً: البحوث:

جهود عبدالقادر الجرجاني في الدراسات التصريفية

للدكتور علي توفيق الحمد ٩

المرجئة في خراسان في العصر الأموي

للدكتور حسين عطوان ٥٥

استشارة واستنارة

للدكتور عبدالرحيم بدر ١٠٧

في التذكير والتأنيث: نظرة تاريخية في هذه المسألة

للدكتور ابراهيم السامرائي ١٣١

مصطلحات تراثيّة في علم المعادن

للدكتور عبدالقادر عابد والسيد عبدالله حسين ١٥٥

موقف حازم القرطاجني من الاسترفاد بالشعر

للدكتور قاسم المومني ١٧٣

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة

في الدورة الحادية والخمسين

للدكتور عدنان الخطيب ٢٠٩

ثانياً: مع الكتب:

تعليق على كتاب «المعجم الوافي في النحو العربي»
للدكتور جميل علّوش ٢٤٧

ثالثاً: تعليقات ومناقشات:

ملاحظة حول (عديد) بمعنى (معدود)
للسيد توفيق أبو الرب ٢٧١

رابعاً: أخبار مجمعيّة:

التقرير الصادر عن مؤتمر التعريب الخامس ٢٧٩
مناقشة رسالتي ماجستير في المجمع ٣٥٧
الدكتور شكري فيصل في ذمة الله ٣٥٨
المجمع ينعى زميلاً عزيزاً ٣٦١
ديوان رئاسة المجمع العلمي العراقي ٣٦٥

أولاً - البحوث

جهود عبْدالقاهر الجرجَاني في الدراسات التصريفيّة

للدكتور علي توفيق الحمَد

جامعة اليرموك

أولاً: الدافع إلى البحث:

ما دفعني إلى هذا البحث هو شهرة عبدالقاهر الجرجاني التي طبّقت الآفاق، وتنوّع مباحثه في علوم العربية المختلفة: أصواتها، وصرفها، ونحوها، وبلاغتها، ونقدها، إضافة إلى جهوده في علم الدلالة(١) وإعجاز القرآن الكريم والدراسات القرآنية.

وقد توالت البحوث والمؤلفات، وتناول كلّ منها جانباً من هذه الجوانب التي برع فيها الرجل(٢)، ونظرت في هذه البحوث فوجدتها قد استوفت – أو كادت–

---

(١) أوضحنا ذلك، أو جانباً منه – في بحث بعنوان "نظرة في أثر اللغويون العرب في علم الدلالة"، نشرته مجلة أبحاث اليرموك – المجلّد الثاني/ العدد الأول ص ١٧.

(٢) تنوّعت الدراسات والبحوث التي تناولت جهود عبدالقاهر العلمية، فمنها الكتب المؤلفة، والبحوث المنشورة، والرسائل الجامعية باللغة العربية أو الإنجليزية، وأراها في مجملها موزعة على النحو الآتي:

أ– جهوده في النقد والبلاغة:

فمن العلماء والباحثين الذين اهتموا بهذا الجانب الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ أحمد مصطفى المراغي، والدكتور طه حسين، الذي قال: "إنّ لعبدالقاهر جهداً صادقاً في التأليف بين قواعد النحو العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة والأسلوب، وقد وفّق عبدالقاهر في ما حاول توفيقاً يدعو إلى الإعجاب" (د. البدراوي زهران/ عالِم اللغة – عبدالقاهر الجرجاني– المفتنّ في العربية ونحوها ص ٤–٥، نقلاً عن مقدمته تحت عنوان وتمهيد في البيان العربي، لكتاب نقد النثر لقدامة – ص٣٠– وهو بحث قدّمه د. طه حسين للمؤتمر الثاني عشر لجماعة المستشرقين في سبتمبر ١٩٣٠م في مدينة ليدن، بعنوان – البيان العربي من الجاحظ إلى عبدالقاهر–، قدّمه باللغة الفرنسية، وترجمه الدكتور عبدالحميد العبادي إلى العربية.=

=أما الدكتور محمد مندور، فقال في عبدالقاهر: "مذهب عبدالقاهر أصحّ وأحدث ما وصل إليه في علم اللغة في أوروبا لأيامنا هذه، وهو مذهب العالم السويسري فيرديناندي سوسير، الذي توفي عام ١٩١٣م، وقول عبدالقاهر: إن اللغة لم توضع لتعرف بها معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد، وهذا علم شريف وأصل عظيم" (النقد المنهجي عند العرب ٣٣٣).

وقال أيضاً: إن رأي عبدالقاهر في "أن الألفاظ لم توضع كما أنها لا تستعمل لتعيّن الأشياء المتعينة بذواتها، وهذه هي نظرية الرمزية في اللغة، التي أوضح المفكر الألماني (قنث) حدودها". (في الميزان الجديد ١٨٦).

ود. محمد غنيمي هلال في كتابه "النقد الأدبي الحديث. ود. مصطفى ناصف في غير كتاب وبحث، وهو الذي أطلق على نظرية النظم عند عبدالقاهر اسم (النحو الثاني). ود. محمد خلف الله أحمد في كتابه "من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده". ود. محمد زغلول سلام في كتابه "تاريخ النقد العربي من القرن الخامس إلى العاشر الهجري". وروز غريب في "النقد الجمالي وأثره في النقد العربي". وأمين الخولي في كتابه "البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها". ود. أحمد أحمد بدوي في كتابه "عبدالقاهر وجهوده في البلاغة العربية. ود. درويش الجندي في كتابه "نظرية النظم عند عبدالقاهر". ود. شوقي ضيف في كتابه "البلاغة تطور وتاريخ". ود. محمد عبدالمنعم خفاجي الذي حقق كتابي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وقدم لهما، وله "عبدالقاهر والبلاغة العربية". ود. أحمد مطلوب في كتابه "عبدالقاهر الجرجاني – بلاغته ونقده". ود. عبدالفتاح لاشين في كتابه "التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر". وعبدالقادر حسين في كتابه "أثر النحاة في البحث البلاغي". ود. كمال أبو ديب في "نظرية الصورة الشعرية عند عبدالقاهر" بالإنجليزية. وعبدالكريم أحمد العبد السالم في رسالته للماجستير من الجامعة الأردنية، بعنوان "عبدالقاهر الجرجاني في أسرار البلاغة".

ب. جهوده في علوم اللغة المختلفة:

تناول هذا الجانب عدد من الباحثين منهم:

إبراهيم مصطفى الذي قال: "رسم عبدالقاهر في كتابه دلائل الإعجاز طريقاً للبحث النحوي تجاوز أواخر الكلم وعلامات الإعراب، وبيّن أنّ للكلم نظماً، وأنّ رعاية هذا النظم وإتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام". (إحياء النحو ١٦). ود. إبراهيم أنيس في كتابيه دلالة الألفاظ وموسيقى الشعر. ود. تمّام حسان في كتابه "اللغة بين المعيارية والوصفية"، إذ ذكر أنّ دراسة عبدالقاهر في كتابيه قامت على الوصف في كثير من أبوابها. ود. البدراوي زهران في كتابه "عالِم اللغة – عبدالقاهر الجرجاني– المفتنّ في

الجوانب المختلفة من علمه، وقد أجمعتْ على أنّ لدى الرجل نزعات تجديدية، وأنّه سبق المحدثين في غير قضية من قضايا بحوثه، ولكني وجدت نقصاً في البحوث التي تناولت مكانته وجهوده في الجانب التصريفي.

فاستقرّ في نفسي أن أحاول تتبّع جهوده في هذا الجانب، ورأيت أنّ الأمر سيبقى ناقصاً إن لم أطّلع على مصنفاته فيه، فحصلت على مصوّرة من كتاب صغير له هو "المفتاح في الصرف"(٣)، وشغلت نفسي في تحقيقه، وهو الآن قيد الطبع والحمد لله. ثم حصلت على مصوّرة لرسالة أخرى له، وهي العمدة في التصريف(٤)، كما اطّلعت على مصورة من كتابه المقتصد في شرح الإيضاح(٥).

ولفت نظري اقتصاره في بحوثه التصريفية على أبواب مخصوصة، الأمر الذي دعاني إلى بحث هذه الظاهرة.

العربية ونحوها" ود. خليل عمايرة في بحثه "البنية التحتية بين عبدالقاهر وتشومسكي".=
=وفي كتابه "في نحو اللغة وتراكيبها". ود. سمير استيتية في أطروحته للدكتوراه بعنوان "أصوات العربية الفصحى في كتاب الجرجاني – المقتصد– بالإنجليزية.
ولا أشكّ أنّ كثيرين غيرهم تناولوا جهود عبدالقاهر المختلفة في البحث.

(٣) منه نسخة خطيّة وحيدة – فيما أعلم– في دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق، تحت رقم ١٠٦٠٣ عام.

(٤) منه نسخة خطيّة في مكتبة لاله لي بإستانبول ضمن مجموعة رقمها (٣٧٤٠).

(٥) نشر القسم الأول منه الخاص بالأبواب النحوية، والذي هو شرح للجزء المسمّى "الإيضاح العضدي" لأبي علي الفارسي، نشره د. كاظم بحر المرجان. أما القسم الثاني الذي تناول الأبواب التصريفية والصوتية، وهو شرح القسم الثاني من الإيضاح العضدي، المسمّى "التكملة" فلا يزال مخطوطاً.
وقد تفضّل الزميل د. سمير استيتية مشكوراً فأطلعني على مصوّرة للكتاب كاملاً – بقسميه–، وهي مصوّرة عن نسخة محفوظة، في دار الكتب الظاهرية بدمشق برقم (٣٥٤) نحو.

وكذلك ما أورده في الورقة الأولى (ظ١- و ٢) من كتابه المفتاح في الصرف، وهو قوله: والتمثيل – ويعني به الوزن الصرفي- وهو أن يقابل حروف الكلمة الثلاثية بالفاء والعين واللّام، وتكرّر اللّام في الرباعي مطلقاً – أي في الاسم والفعل- وكذا في الاسم الخماسي، ... **وفي البدل من الأصل جاز فيه المثالان، فمثل كساء: فعال أو فعاء**، أصله كساو، قلبت الواو همزة لتطرفها[٦].

ومما دفعني إلى البحث أيضاً ما أورده الرضي عن عبدالقاهر أنه يزن (قالَ) على فالَ[٧]، وهو رأي حديث، سبق عبدالقاهر غيرَه إليه، مع مخالفة المحدثين له في أنه يرى أنّ هذا الوزن على البدل، أمّا المحدثون فلم يقرّوا نظرية البدل هذه، ويرون أنّ (قالَ) ومثيلاتها لا بدل فيها[٨].

ومن دواعي هذا البحث أيضاً، أنّ بعض الباحثين الذين كتبوا عن عبدالقاهر لم يستطيعوا تبيّن حقيقة كتابه "المفتاح"، ومنهم من قال: "قد يكون من مصنفاته التي تتصل بمذهبة الفقهي الشافعي، وقد تكون اتجاهاته اللغوية غلبت عليه، فجعلته يصنّفه في بعض المباحث اللغوية"[٩].

---

(٦) هذا ما ذكره. أمّا في "اضطرب وازدجر" فوزنهما في رأيه "افتعل" بالتاء لا بالطاء والدال، ولم يذكر إجازة وزنهما على الأصل كما ذكر الرضي، الذي أجاز وزنهما "افطعل وافتعل". (شرح الشافية ١٨/١).

(٧) الموضع نفسه (شرح الشافية ١٨/١)، ود. عبدالصبور شاهين/ المنهج الصوتي للبنية العربية ٤٨.

(٨) د. عبدالصبور شاهين/ المنهج الصوتي للبنية العربية ٤٨.

(٩) د. البدراوي زهران/ عالِم اللغة – عبدالقاهر الجرجاني- المفتنّ في العربية ونحوها ٢٩.

هذه جملة الدوافع إلى هذا البحث، إذ اطّلعت على كتابه "المفتاح في الصرف"، وتجمّع لديّ بعض الملحوظات والأفكار عن جهوده التصريفية بشكل خاص، فوجدت أنّ الكتابة أصبحت ممكنة، لعلّها تجلو بعض الجوانب والحقائق.

ثانياً: حول المصطلح "أصرْفٌ هو أمْ تصريف"، وموضوعه، وعلاقته بمستويات البحث اللغوي الأخرى:

التصريف أو الصرف: علم بأصول، يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب(١٠).

والتصريف عند عبدالقاهر: (تفعيل من الصرف، وهو أن تصرّف الكلمة المفردة فتتولد منها ألفاظ مختلفة ومعان متفاوتة)(١١).

وقد اضطرب إطلاق المصطلح بين القدماء من جهة، وبينهم وبين المحدثين من جهة أخرى.

فلو تتبّعنا إطلاقه عند القدماء، لوجدنا الموضوع يرد في نوعين من المؤلفات:

أ- الأول: المؤلفات النحوية بمفهوم النحو الواسع العام الذي يضمّ أبواباً صوتية وصرفية ونحوية، ففي تلك المؤلفات، نجد مصنفيها أطلقوا مصطلح "التصريف" على أبواب مخصوصة تتناول التغير الذي يطرأ على بِنى الكلمات

---

(١٠) الشريف الجرجاني/ التعريفات ٥٢، ١١٦. وانظر في ذلك أيضاً: ابن مالك/ التسهيل ٢٩٠، السيوطي/ همع الهوامع ٢١٢/٢، والأشموني ٢٣٦/٤ وغيرهم.

(١١) عبدالقاهر/ المفتاح في الصرف (ظ١).

لإظهار ما في حروفها من أصالة أو زيادة أو حذف، وما يطرأ عليها من إبدال أو إعلال[١٢].

ومفهوم النحو بمعناه الواسع العام يشمل مستويات الدراسة اللغوية كلها (أصواتها وبناها وتراكيبها)، فأبو علي الفارسي عرّف النحو بأنه علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، وهو ينقسم قسمين:

أحدهما: تغيير يلحق أواخر الكلم.

والآخر: تغيير يحلق ذوات الكلم وأنفسها[١٣].

وإلى ذلك ذهب أبو حيان؛ فعلم النحو – عنده– مشتمل على أحكام الكلمة، والأحكام على قسمين:

قسم يلحقها حالة التركيب، وهو قسمان: قسم إعرابي وقسم غير إعرابي .

والثاني يلحقها حالة الإفراد، وهو قسمان أيضاً: قسم تتغير فيه الصيغ لاختلاف المعاني، نحو ضرب وضارب وتضارب واضطراب، وكالتصغير والتكسير وبناء الآلات، وأسماء المصادر وغير ذلك، وهذا جرت عادة النحويين بذكره قبل علم التصريف وإن كان منه.

---

(١٢) انظر في ذلك على سبيل المثال لا الحصر:
سيبويه (ط هارون) ٢٤٢/٤، والزجّاجي/ الجمل ٣٩٩، وابن مالك/ التسهيل ٢٩٠، والأزهري/ شرح التصريح ٣٥٢/٢، والسيوطي/ همع الهوامع ٢١٢/٢، والأشموني/ شرح الأشموني ٢٣٦/٤، والخضري/ حاشيته على شرح ابن عقيل ١٧٤/٢ وغيرهم.

(١٣) أبو علي الفارسي/ التكملة ٣.

وقسم تتغير فيه الكلمة لا لاختلاف المعاني كالنقص والإبدال والقلب والنقل وغير ذلك[١٤].

ولحظ عباس حسن أن جمهرة اللغويين العرب القدماء عدّوا التصريف بأنه التغيير الذي يتناول صيغة الكلمة وبنيتها، ذلك التغيير الذي لا يتصل باختلاف المعاني، وقال: فليس من التصريف عند جمهرة النحاة تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لتؤدي معاني مختلفة – كالتصغير والتكسير والتثنية والجمع والاشتقاق وغير ذلك–، فذلك التحويل يدخل في اختصاص النحو وبحوثه عند تلك الجمهرة[١٥].

أما الفارسي فضمّ كل الأبواب التي يلحق التغيير فيها ذوات الكلم، إن كان ذلك التغيير يسبّب اختلافاً في المعاني أو لا يسبّب، فنجده قد خصّص الجزء الثاني من كتابه (الإيضاح العضدي)، وهو ما يعرف بالتكملة، فعرض فيه أبواب التثنية والجمع السالم والنسب، وتخفيف الهمزة والمقصور والممدود والعدد والتأنيث والتذكير وجمع التكسير والتصغير والإمالة والمصادر والمشتقات وغيرها، والتصريف – الذي لا يحدث اختلافاً في المعاني– كالزيادة والإبدال والقلب والإدغام وغيرها[١٦].

وجاء بعده ابن عصفور في كتابه "المقرّب"، فكان أكثر تنظيماً في منهجه وتبويبه، فخصّص أكثر الجزء الثاني للأبواب التصريفية، فقد ذكر الأحكام

---

(١٤) السيوطي/ الهمع ٢١٢/٢، وذلك هو مذهب ابن جني أيضاً/ الخصائص ٣٤/١.

(١٥) عباس حسن/ النحو الوافي ٧٤٧/٤.

(١٦) الفارسي/ التكملة ٤.

التصـريفية (الجـزء ٧٨/٢)، وعـرض النـوع الأول مـن التصـريف، وفيـه: بـاب التصـغير، وجمـع التكسـر والمصـادر والمشـتقات والمقصـور والممـدود والحـروف الزوائد، ثم ذكر النوع الثاني من التصريف، وفيه: الإدغام، وحروف البدل، والقلب والحذف والنقل(١٧).

ولكننا نرى أنـه لم يدخل بعض الأبواب التصريفية ضمن ما خصّصه لتلك الأبواب، فلم يدخل أبواب النسب والتذكير والتأنيث والتثنية وجمع السلامة، وإنما أدخلها ضمن الأبواب النحوية.

وبإنعام النظر في منهج القدماء وتبويبهم، نتبيّن أنهم خصّصوا – باستثناء الفارسي وابن عصفور – أبواب التصريف لموضوعات صوتية بحته، والبدل والقلب والحذف والإدغام ألصق بعلم الأصوات.

وربما أحسّوا بارتباط الموضوعات التصريفية بموضوعات النحو، وإن كنت لا أرى ما يقنع في صنيعهم ذلك، لأنهم لو أدركوا تلك الرابطة لقدموا الأبواب التصريفية على مباحث النحو والتراكيب، ولو فعلوا ذلك لكان عملهم متّسقاً إلى حد كبير ووجهة النظر الحديثة، التي تعدّ الصرف مقدمة للنحو أو خطوة تمهيدية له، فهو ليس غاية في ذاته إنما هو وسيلة وطريق من طرق دراسة التركيب والنص(١٨).

---

(١٧) ابن عصفور/ المقرب ٧٨/٢، ١٥١/٢.

(١٨) د. كمال بشر/ دراسات في علم اللغة ٢٢٠، ٢٢٣.

ويرى د. عبدالصبور شاهين أنه لا يفصل الصرفَ عن النحو خط عريض، بل خط رفيع جداً، بحيث تتداخل الظواهر النحوية والصرفية[١٩]، فلا يجوز عزل أحد هذين العلمين عن الآخر في النظر والتطبيق، لأنّ مسائلهما متشابكة إلى حدّ كبير[٢٠].

ب- الثاني: المصنفات التصريفية التخصيصة، التي قصرها مصنفوها على الأبواب التصريفية، فأقدم ما وصل إلينا منها هو كتاب أبي عثمان المازني الذي وسمه بالتصريف، ولو نظرنا في موضوعاته لوجدناها مقتصرة على الأبواب التصريفية بمعنى التصريف الضيق، الذي يتناول الأبواب الأكثر التصاقاً بالدراسات الصوتية، ففي ذلك الكتاب تطالعنا أبواب أبنية الأسماء والأفعال، الأصول والزيادات، حروف الزيادة، باب من مسائل الياء والواو، ومسائل من القلب والتضعيف في بنات الياء والواو وتاء الافتعال، فهذه الأبواب في جملتها من النوع الثاني من التصريف الذي ذكره ابن عصفور وأبو حيان، وهو الذي لا يؤدي التغيير فيه إلى اختلاف في المعنى.

ولم يحد ابن جني في مصنفه على شرح تصريف المازني عن منهجه أو أبوابه.

ووضع ابن جني أيضاً كتابه "الملوكي" في التصريف أيضاً، وقصره على أبواب التصريف الذي هو من النوع الثاني.

---

(١٩) د. عبدالصبور شاهين/ المنهج الصوتي للبنية العربية ١٥.

(٢٠) د. كمال بشر/ دراسات في علم اللغة ٢٢٠.

وسار على منهجه ابن يعيش أيضاً في شرحه على الملوكي الذي وسمه "شرح الملوكي في التصريف".

وصنّف الميداني كتاباً في التصريف وسمه "نزهة الطرف في علم الصرف"، والتزم فيه منهج السابقين، واقتصر على الأبواب التصريفية بالمفهوم الضيق أيضاً.

كما صنّف ابن عصفور كتاباً متخصصاً في التصريف اسمه "الممتع في التصريف"، فصرّح في مقدمة كتابه أنّ للتصريف قسمين، وهما القسمان اللذان ذكرهما في كتابه "المقرّب"، وذكر أن القسم الأول الذي يتناول جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني، ذكر أنّ هذا القسم جرت عادة النحويين أن يذكروه مع ما ليس بتصريف، فلذلك لم يضمنه كتابه الممتع، مع أنّ أكثره مبني على معرفة الزائد من الأصلي، وقصر موضوعات كتابه على النوع الثاني الذي لا يؤدي تغيير مبنى الكلمة فيه إلى اختلاف في المعنى[٢١]. ولكنه يؤكد أن التصريف يتناول القسمين، بقوله: "فإذا بيّنا جميع ما ذكرناه في هذين القسمين فقد أتينا على جملة التصريف"[٢٢].

وصنّف عبدالقاهر كتابه الموسوم "المفتاح" الذي خصّصه للتصريف، صنّفه على نهج من ذكرنا، أي أنّه قصره على الأبواب التصريفية التي هي من النوع الثاني.

---

(٢١) ابن عصفور/ الممتع ١/٣١-٣٢.

(٢٢) نفسه ١/٣٣.

ولم يخرج عن هذا المنهج في التصنيف من القدماء إلّا ابن الحاجب في "الشافية"، فقد ضمّنها أبواباً تصريفية من النوعين، فالناظر فيها وفي شرح الرضي عليها تطالعه أبواب مفصلة في المصدر والمشتقات والتصغير والنسب وجمع التكسير واسم الجنس واسم الجمع وجمع الجمع والتقاء الساكنين وهمزة الوصل والوقف والمقصور والممدود وحروف الزيادة والإمالة والإعلال والإبدال والإدغام، ولكني لا أدري لِمَ أغفل ابن الحاجب موضوعات تصريفية أخرى كالمذكر والمؤنث والتثنية والجمع السالم مثلاً.

بعد هذا الاستعراض، فإنني أميل إلى القول إنّ جمهرة القدماء قد فهموا النحو بمعناه الواسع العام وصنّفوا فيه، وهذا الفهم يوافق ما ذكره الدكتور بشر "أن التقليد الغالب الآن جرى على مناقشة هذين العلمين معاً – علم التصريف وعلم النحو–، مع ملاحظة البدء بقضايا الصرف بوصفه مقدمة ضرورة، ويجمع العلمين كليهما في هذا الرأي مصطلح لغوي واحد هو جراماتيكا (Gremmar) الذي يشمل كذلك – طبقاً لبعض الأقوال– علم وظائف الأصوات (Phonology)[٢٣].

صحيح أنّ منهجهم هذا افتقر إلى دقة التصنيف، فكان عليهم أن يعلّموا أوّلاً الأصوات ووظائفها – التي أطلق القدماء على بعضها مصطلح التصريف من النوع الثاني–، لكني أقول: إنهم تنبّهوا إلى هذه القضية، واعتذروا لتأخيرهم الأبواب التصريفية الصوتية، فهذا ابن جني يقول: "التصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية

(٢٣) د. كمال بشر/ دراسات في علم اللغة ٢٢٠.

أتمّ حاجة، وبهم إليه أشدّ فاقة، لأنه ميزان العربية"[٢٤]، فهذا يدلّ على استشعارهم أهمية هذا العلم، ويقول في موضع لاحق: "... فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف ... إلّا أنّ هذا الضرب من العلم لمّا كان عويصاً صعباً بُدئ قبله بمعرفة النحو، ثم جيء به بعد، ليكون الارتياض في النحو موطئاً للدخول فيه، ومعيناً على معرفة أغراضه ومعانيه وعلى تصرف الحال"[٢٥].

وذكر ابن يعيش أنّ حاجة النحوي إليه ضرورية[٢٦]، ومعنى هذا أنّ النحوي لا بدّ له من النظر فيه والتسلّح بمسائله أوّلاً.

ويقول ابن عصفور في المعنى نفسه: "وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية ... إلّا أنّه أُخر للطفه ودقّته، فجعل ما قدّم عليه من ذكر العوامل توطئة له، حتى لا يصل إليه الطالب إلّا وهو قد تدرّب وارتاض للقياس"[٢٧].

وأيّاً كان موقفنا من قبول اعتذارهم أو ردّه، فإن ما قدّموه يؤكد – بلا شك– إدراكهم لأهمية علم وظائف الأصوات والتصريف للنحو، وما يقدمانه للتراكيب. هذا الإدراك منهم يستحقّ التقدير، ويقتضي الإنصافُ والموضوعيةُ أن يُسجَّل هذا لصالحهم، وهو ملحظ يتفق وما أقرّته الدراسات اللغوية الحديثة.

---

(٢٤) ابن جني/ المنصف ١/ ٢.

(٢٥) نفسه ١/ ٤–٥.

(٢٦) ابن يعيش/ شرح الملوكي ١٧.

(٢٧) ابن عصفور/ الممتع ١/٣٠–٣١.

ولا بدّ أن نسجّل أنّ ثمة لغويّاً تنبّه إلى أهميّة تقديم الدراسة الصوتية فالتصريفية قبل عرض المباحث النحوية، ذلكم هو السكّاكي المتوفى (٦٢٦هـ) في كتابه (مفتاح العلوم)، جاء في خطبته: "وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام: القسم الأول في علم الصرف، القسم الثاني في علم النحو، القسم الثالث في علمي المعاني والبيان. ... فعلما الصرف والنحو يرجع إليهما في المفرد والتأليف، ويرجع إلى علمي المعاني والبيان في كون المركب مطابقاً لما يجب أن يتكلم له.

ولما كان علم الصرف هو المرجوع إليه في المفرد أو في ما هو في حكم المفرد، والنحو بالعكس من ذلك كما ستقف عليه، وأنت تعلم أنّ المفرد متقدّم على أن يؤلّف، وطباق المؤلّف للمعنى متأخر عن نفس التأليف، لا جرم أنا قدمنا البعض على هذا الوجه وَضْعاً لنؤثر ترتّباً استحقته طبعاً"(٢٨).

فهو يدافع عن مخالفته سابقيه في المنهج بعرضه الأبواب التصريفية قبل النحو، لأنه أحسّ باقتضاء دراستها أوّلاً، فهي بطبيعتها تستحقّ التقديم، وهذا إحساس لغوي سليم، إذ إنّ دراسة بنى الكلمات تعدّ مدخلاً لدراسة التراكيب النحوية، لما لتغير تلك البنى من أثر في تغيير تراكيب الجمل، فقولنا: "أَكْرَمَ زيدٌ الضيفَ" اقتضت صيغة (أَكْرَمَ) وجود مفعول به، فإذا ما غيرناها إلى صيغة المبنى للمجهول قلنا: "أُكْرِمَ الضيفُ"، فإنّ تركيب الجملة بكاملها يحدث فيه التغيير، وهذا التغيير تبع تغيير صيغة الفعل "أكرم" من المعلوم إلى المجهول.

أما التأليف لدى المحدثين والمعاصرين، فقد اتّسم بالتخصص والفصل بين مستويات الدراسة اللغوية، فنجد الكتب النحوية قد اقتصرت على الموضوعات

---

(٢٨) السكاكي/ مفتاح العلوم ٣-٤.

النحوية، وخصّصت مصنفات خاصة لعلم وظائف الأصوات، ومصنفات أخرى مستقلة لأبواب التصريف وموضوعاته، لكنها جمعت الأبواب التصريفية بشكل عامّ وبنوعيها اللذين ذكرهما ابن عصفور وأبو حيان.

أمّا عن المصطلح، فقد تواتر لدى القدماء استخدام مصطلح التصريف، حتى أنّ كتاب (نزهة الطرف في علم الصرف)، بدأه مصنفه باستخدام مصطلح التصريف[٢٩] على الرغم من استخدام مصطلح الصرف في اسم الكتاب. وكذلك فإنّ كتاب "المفتاح" للجرجاني بدأه بعد الخطبة القصيرة بتعريف هذا العلم، واستخدم مصطلح التصريف أيضاً[٣٠]، ولا أذكر أني عثرت على استخدام واحد لمصطلح الصرف لدى القدماء عند تناولهم قضايا هذا العلم وأبوابه[٣١].

أمّا المحدثون فقد دمجوا بين المصطلحين "التصريف والصرف" في الاستخدام، فقد ذكر الشيخ محمد الطنطاوي أنّ الصرف إنما يبحث عن الكلمات العربية في ذاتها وجوهرها لمعرفة ما فيها من التغيرات العارضة، سواء أكان لداعي اللفظ أم المعنى[٣٢].

وذكر الشيخ هارون عبدالرزاق أنّ الصرف قواعد يعرف بها أحوال أبنية الكلم غير الإعراب... ولا فرق بين الصرف والتصريف، وأنهما اسمان نقلا لهذا الفنّ، وكلاهما في لغة العرب يفيد التحويل والتغيير[٣٣].

---

(٢٩) الميداني/ نزهة الطرف ١/ ٤.

(٣٠) عبدالقاهر الجرجاني/ المفتاح ط١.

(٣١) استخدم السكاكي من القدماء مصطلح "الصرف".

(٣٢) محمد الطنطاوي/ تصريف الأسماء ٤.

(٣٣) هارون عبدالرزاق/ عنوان الظرف في علم الصرف ٤.

أمّا الشيخ يس فقد استخدم مصطلح الصرف وأراد به المعنى العلمي، بينما رأى أن مصطلح التصريف هو المعنى العملي لفعل المصرّف.[٣٤].

وكذلك فعل الشيخ الحملاوي الذي فرّق بين المعنى العلمي والعملي كما فعل الشيخ يس.[٣٥].

وبعد، فإن أردنا أن نكون اتّباعيين فإنّنا نرتضي استخدام مصطلح التصريف، الذي استخدمه القدماء، مع أنني أحسّ بالناحية العملية في دلالة هذا المصطلح، كما ذكر الشيخ يس في حاشيته على شرح التصريح، بينما يدل مصطلح الصرف على مطلق التحوّل أو التغيّر في الأبنية. وأرى أنّ عمليات التغيير التي تعتري بنية الكلمة في المعنى الثاني (الزيادة والنقص والإبدال والإعلال والقلب وغيرها)، وهي الموضوعات التي اعتاد اللغويون القدماء وضعها في أواخر كتبهم، أرى التعمّل والصنعة واضحين، لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار الموضوعات والأبواب التي صنّفها المازني في كتابه في التصريف، فبعضها موضوعات قصد منها المهارة في الصياغة والمماحكة والمعاياة.[٣٦] علاوة على التعريف الذي وضعه السيرافي لمصطلح التصريف إذ قال: "هو تغيير الكلمة بالحركات والزيادات والقلب للحروف التي رسمنا جوازها حتى تصير على مثال كلمة أخرى"[٣٧].

---

(٣٤) الشيخ يسن/ حاشيته على شرح التصريح ٣٥٢/٢-٣٥٣.

(٣٥) الحملاوي/ شذا العرف في فن الصرف ١٩.

(٣٦) انظر على سبيل المثال: المنصف ٢٤٢/٢ وما بعدها "باب ما قيس من المعتل ولم يجيء مثاله إلّا من الصحيح".

(٣٧) السيرافي النحوي/ د. عبدالمنعم فائز ص٥٩٢.

كما أنّ تلك الموضوعات التي يبدو لنا فيها التعمّل والمهارة هي أدخل في الدراسة الصوتية منها في الدراسة الصرفية.

وإذا اتفقنا على أنّه لا مشاحّة في الاصطلاح، فإننا لا نرى بأساً في استخدام أيّ من المصطلحين، وإن كنت إلى استخدام مصطلح التصريف أميل.

عبدالقاهر الجرجانيّ:[٣٨]

هو الإمام أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن، الناقد البلاغي النحويّ اللغويّ، فارسيّ الأصل، شافعيّ المذهب، ولد بجرجانة، وأقام فيها، وتوفي فيها سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م، أو سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م. ولعلّ أبرز شيوخه هو أبو الحسين محمد بن الحسن بن عبدالوارث الفارسيّ، ابن أخت أبي عليّ الفارسيّ.

ونحسّ بنزعة أبي علي الفارسي العقلية التعمّقية الإبداعية في ما صنّف عبدالقاهر، مما يحدوني إلى الزعم بأنه امتداد لمذهب خاص متميز في الدراسات اللغوية، تتجلّى فيه النزعة الفكرية، تلك النزعة التي أتاحت لعبدالقاهر أن يكون متميّزاً في علمه ونظراته الثاقبة وتحليلاته الصائبة، ذلك المذهب أجيز لنفسي أن أطلق عليه المذهب اليونسي، نسبة إلى يونس بن حبيب، الذي تسلسل على النحو التالي:

(يونس- الأخفش الأوسط- الجرمي- المبرّد- ابن السرّاج- أبو علي الفارسي فابن جني وعبدالقاهر الجرجاني)، وما قوّى لديّ هذا الزعم أنّ هؤلاء اللغويين

---

(٣٨) للمزيد انظر ترجمته في: نزهة الألبّاء ٤٣٦، وإنباه الرواة ١٨٨/٢، والبلغة ١٢٦، وبغية الوعاة ١٠٦/٢، وشذرات الذهب ٣٤٠/٣، ومفتاح السعادة ١٧٠/١ وغيرها.

اشتهروا بالعمق ومخالفة معاصريهم من اللغويين من كلا المذهبيين البصري والكوفيّ، ومن يتتبّع هؤلاء الرجال وآراءهم ومخالفاتهم يذهب مذهبنا أو يقاربه.

ومن أبرز تلاميذ عبدالقاهر علي بن زيد الفصيحي، و أبو زكريا (الخطيب) التبريزي.

أما علمه وآثاره العلمية: فقد صنّف في النحو والأدب، وهو أوّل من دوّن علم المعاني[٣٩]، تناولت مصنفاته علوماً شتّى، فقد صنّف في الدراسات القرآنية، والدراسات البلاغية، والنحو والتصريف والعروض[٤٠].

ومن أشهر آثاره كتاب "المغني"[٤١] الذي وضعه شرحاً على كتاب (الإيضاح العضدي) للفارسي، وضعه في ثلاثين مجلداً، ولكنه لم يصل إلينا، ولو وصل إلينا لأطلعنا على علم غزير، يؤكّد ذلك كتاب "المقتصد"[٤٢] الذي هو مختصر لكتاب المغني، وكتاب المقتصد المختصر هذا فيه علم غزير، فماذا يكون حال المغني؟ كما خلّف لنا كتابين هما من أشهر مصنفاته، إن لم يكونا أشهرهما على الإطلاق، ذانكم الكتابان هما: كتاب دلائل الإعجاز الذي أودع فيه نظريته في النظم، التي أطلق عليها د. مصطفى ناصف اسم "النحو الثاني"[٤٣]. وقد قال فيه

---

(٣٩) البلغة ١٢٦-١٢٧.

(٤٠) د. أحمد مطلوب/ عبدالقاهر الجرجاني (بلاغته ونقده) ٢٥ وما بعدها.

(٤١) بغية الوعاة ١٠٦/٢، كشف الظنون ٢١٢/١ وغيرهما.

(٤٢) حققه ونشره د. كاظم بحر المرجان في مجلدين، لكنه لم يحققه جميعه، بل حقّق الجزء الخاص بالموضوعات النحوية التي وردت في الجزء الأول من كتاب الإيضاح العضدي، أما القسم الثاني الذي يتناول شرح الموضوعات التصريفية والصوتية التي ضمّها القسم الثاني من الإيضاح المعروف بالتكملة فلا يزال ينتظر التحقيق والنشر.

(٤٣) د. البدراوي زهران/ عالِم اللغة ... ٦-٧.

إبراهيم مصطفى: "وعبدالقاهر رسم في كتابه دلائل الإعجاز طريقاً للبحث النحوي تجاوز أواخر الكلم وعلامات الإعراب"[٤٤]، وهذه لفتة متقدمة فيها تطوير للبحث النحوي عند القدماء، لو تمسّك بها اللاحقون وطوّروها لسبقوا كل النظريات اللغوية الحديثة بمئات السنين.

أمّا الكتاب الثاني فهو (أسرار البلاغة)، الذي هو صنو الدلائل، وقد ألفه لغاية بلاغية، ووضع الأصول والقوانين وبيان الأقسام وذكر الفروق بين العبارات والفنون البيانية... ولا نجد في كتب البلاغة والنقد السابقة تحليلاً كتحليل عبدالقاهر، ولا نظرة كنظراته، ولا فهماً كفهمه، وإنْ بحَثَ فنوناً سَبَقَ أنْ تحدّث عنها السابقون، وهذا هو الفرق بين عالم مجدّد وآخر مقلّد[٤٥]. وقد أقام دراسته فيه على العلاقات الأسلوبية بين الألفاظ، وهي في رأيه موطن البلاغة، فاللفظ والمعنى لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، إنهما وجه الصورة وعمادها، وهذه هي نظرية الكثيرين من النقاد العالميين وبخاصة النقاد الجماليون....، وفي هذا يتلاقي عبدالقاهر مع كل النقاد الكبار في الشرق والغرب على السواء[٤٦].

هذا بعض من تعليقات المحدثين على كتابيه، أمّا ما قاله طاش كبرى زاده فيهما: "ولو لم يكن له سوى كتاب أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لكفاه شرفاً وفخراً[٤٧]. فهذا القول أبلغ تعبير عن مكانتهما.

---

(٤٤) إبراهيم مصطفى/ إحياء النحو ١٦.

(٤٥) د. أحمد مطلوب/ عبدالقاهر الجرجاني (بلاغته ونقده) ٣٨، ٤٠.

(٤٦) د. محمد عبدالمنعم خفاجي/ مقدمة أسرار البلاغة ١/ ١٧-١٨.

(٤٧) مفتاح السعادة ١/١٧٠.

التعريف بجهوده التصريفية:

أمّا في الدراسات التصريفية – وهي موضع اهتمامنا في هذا البحث– فلم يصل إلينا من جهوده سوى ما ورد في كتابه (المقتصد)، وخلّف لنا كتابين آخرين صغيرين، قصرهما على المسائل والأبواب التصريفية، إنهما كتاب "المفتاح"، وكتاب "العمدة في التصريف"، وهو رسالة في إحدى عشرة ورقة مخطوطة، ضمن مجموعة في مكتبة لاله لي، في المكتبة السليمانية في إستانبول، رقم المجموعة (٣/٣٧٤٠) وتاريخ نسخ العمدة سنة ٦٨٢هـ، وفي آخر رسالة العمدة فصل في مخارج الحروف في صفحة واحدة.

أمّا أبواب تلك الرسالة، فهي:

باب الأفعال الثلاثية، باب المعتل من الأفعال: المعتل الفاء، المعتل العين، المعتل اللام، باب المعتل العين واللام غير المضاعف، باب المعتل العين واللام المضاعف، وباب أمثلة الأفعال التي فيها زيادة من الثلاثي.

وختم تلك الأبواب بمسائل أربع:

- مسألة "افتعل" من المعتل الفاء.
- مسألة الأصول التي يجب لفظها.
- مسألة: كلّ واو وقعت بعد كسرة وهي لام الفعل، فإنها تنقلب ياء في الفعل خصوصاً، وكذلك في الاسم.
- مسألة المفعول من المعتل العين.

أمّا ما ورد في كتابه "المقتصد"، فهو شرح وتعليقات وتعقيبات على آراء أبي علي الفارسي في تكملة الإيضاح، وقد التزم منهج الفارسي في ترتيب الأبواب، وسار في شرحه على طريقة الشرح بالنص، فهو يورد عبارة الفارسي أوّلاً، ثم يتبعها شرحه وآراءه وتعليقاته. ولكنه كان يخالف الفارسي في بعض الآراء والتوجيهات، وربما أثار رأياً طريفاً، من ذلك ما أورده في مناقشة قضية الأصل والفرع في أحوال بناء الكلمة[٤٨]، وسنعرض هذه القضية بشيء من التفصيل في موضع لاحق.

كتاب المفتاح:

هو كتاب صغير في سبع عشرة ورقة، مخطوط بخط فارسي معجم مشكول أحياناً، محفوظ في دار الكتب الوطنية الظاهرية بدمشق تحت رقم (١٠٦٠٣) عامّ.

بدأ عبدالقاهر كتابه بخطبة قصيرة مناسبة، منها قوله:

"وهذا كتاب قليل الإفاضة كثير المعاني، سهل الحفظ قريب التناول"[٤٩]...

وقد ضمّنه اثني عشر فصلاً، أعقبها بباب خاص، هو باب العقد، أمّا الباب الأوّل فهو علم التصريف وتعريفه وأنه مشترك بين الأسماء والأفعال، ثم التمثيل والوزن.

---

(٤٨) المقتصد ورقة ٤٩٩.

(٤٩) المفتاح ظ١.

وتناول في الباب الثاني أبنية الأسماء، وفي الثالث أبنية الأفعال، وفي الرابع المعاني في الأفعال وزياداتها، وفي الخامس تعريف المصدر، وفي السادس الفعل، وفي السابع الاشتقاق – وقصره على الاشتقاق الصرفي الأصغر–، وفي الثامن أبنية المصادر، وفي التاسع الأمثلة – ويعني بها تصريف الأفعال–، وفي العاشر الزيادة وحروفها، وفي الحادي عشر الإبدال والحروف التي تبدل، وفي الثاني عشر الحذف والحروف التي تحذف.

ثم باب العقد وهي عشر مسائل، أطلق على كل مسألة "عقدة" وتتناول أحكاماً متفرقة في إعلال بعض الكلمات.

وبعقد المقابلة بين أبواب الكتاب ومادته من جهة، وبين كتب التصريف المتخصصة المتقدمة عليه واللاحقة، نخلص إلى الملحوظات الآتية:

١- إنّ الكتاب موجز يشبه في إيجازه كتاب الملوكي في التصريف لابن جني، وشافية ابن الحاجب.

٢- إنّ موضوعاته من ضمن الموضوعات التي عدّها ابن عصفور من باب التصريف في معناه الثاني – التي لا يؤدّي تغيير المبنى فيها إلى اختلاف في المعنى–، وذلك بشكل عامّ، إلّا أنه أضاف موضوعات من التصريف في معناه الأول، كما يظهر ذلك في أبواب "المعاني في الأفعال، والاشتقاق، والأمثلة".

٣- خلا الكتاب من المسائل التي لم يقصد بها سوى الترويض والمهارة والمعاياة، تلك المسائل التي حفل بها كتاب المنصف مثلاً.

٤- خلا الكتاب من مسائل التمرين التي وردت في آخر كتاب (الممتع) لابن عصفور، وكتاب (شرح الملوكي) لابن يعيش.

٥- ضمّ الكتاب باباً للعُقَد، وهو يشبه في هذا ما جاء في كتاب (الملوكي) لابن جني وشرحه لابن يعيش، و(نزهة الطرف) للميداني.

٦- ثمّة تشابه كبير بين ما أورده ابن جني في مختصره "الملوكي" وكتاب الجرجاني، حتّى أن العبارات كانت متماثلة علاوة على الأمثلة، وقد أشرنا إلى ذلك في مواضعه في تحقيقنا الكتاب، وهذا دليل تأثّره، وربّما إعجابه بابن جني.

ونلحظ تشابهاً واضحاً بين إضافات عبدالقاهر على ما جاء في الملوكي، وابن يعيش، وهو لاحق متأخر عن عبدالقاهر زمَناً.

كما نلحظ تشابهاً آخر واضحاً بين ما في الكتاب وما في نزهة الطرف للميداني، وهو متأخر عن عبدالقاهر أيضاً.

ونرى تشابهاً آخر بين ما في الكتاب وما أورده ابن الحاجب في الشافية، وهو متأخر عن عبدالقاهر كذلك.

وقد أشرنا إلى هذا التشابهات كلها في مواضعها خلال تحقيقنا للكتاب.

٧- خلا الكتاب – شأنه شأن المختصرات– من الشواهد، فلم يرد فيه سوى شاهدين قرآنيين ومثل واحد.

٨- من ينظر في الكتاب يجد مصطلحات صرفية، لا يجد بعضها أو أكثرها في كتب اللغويين الآخرين، منها:

أ- أطلق لقب "المطابق" على الفعل المضاعف (و٣)، ولقب "النبر" على المهموز العين (و٣)، و"الهمز" على المهموز اللام (و٣)، و(القطع) على المهموز الفاء (و٣).

ب- أطلق لقب ذي الثلاثة على الفعل الأجوف (ظ٣)، لصيرورته على ثلاثة أحرف في المتكلم، نحو: قلت.

ج- أطلق لقب ذي الأربعة على الفعل المعتل الناقص، لصيرورته على أربعة أحرف في المتكلم(٥٠)، وهو: دعوت ورميت (ظ٣).

د- مصطلح "القلب المستوي": وهو أن تكون حروف الثاني مثل حروف الأول، مثاله في قوله تعالى: "وربّك فكبّر".

---

(٥٠) ذكر الفارابي هذين المصطلحين: "ذا الثلاثة وذا الأربعة"، واكتفى بالقول: ذو الثلاثة ما كانت العين منه حرفاً من حروف المدّ واللين. وذو الأربعة ما كانت اللام منه كذلك. (مقدمة ديوان الأدب للفارابي ١٣٥)، وذكر د. أحمد مختار عمر أنّ الفارابي استخدم هذا المصطلح، وأنّ أصحابه هم الكوفيون، وعلى رأسهم الفرّاء وابن السكّيت. وأضاف أنه لم يجد أحداً من المتقدمين استخدمه، وأول من رآه حاول التصريح بسر هذه التسمية هو الخطيب التبريزي. (الفارابي اللغوي وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الأدب للدكتور أحمد مختار عمر منشورة في مجلة معهد المخطوطات العربية، ص١١١-١٢٨، المجلد ٧ الجزء ٢ في نوفمبر ١٩٦١م).

وقد علّل التبريزي سبب هذه التسمية كما علّلها شيخه عبدالقاهر.

هـ- الأفعال المنشعبة: ويعني بها المزيدة على الأصول الثلاثة أو الأربعة[٥١].

و- أطلق مصطلح "الفعل الواقع والمجاوز" على المتعدي، و"غير الواقع والمطاوع" على الفعل اللازم (و٦).

ز- "مصدر للنوع" ويعني به اسم الهيئة.

ح- فرّق بين الجحد والنفي، فالنفي عنده ما انجزم بلا، ومعناه الإخبار عن معدوم، أمّا الجحد فما انجزم بلم (و٦).

وقد فرّق الكفوي بين الجحد والنفي، فقال: والجحد هو نفي ما في القلب ثباته، وإثبات ما في القلب نفيه، وليس بمرادف للنفي من كل جهة.[٥٢].

وقال في موطن آخر: "والنافي إن كان صادقاً يسمّى كلامه نفياً، ولا يُسمَّى جحداً، وإن كان كاذباً يسمَّى جحداً ونفياً[٥٣].

والجحد في المعاجم: إنكار الشيء مع العلم به، وهو مصطلح استخدمه الكوفيون[٥٤].

---

(٥١) استخدم الميداني هذا المصطلح في كتابه نزهة الطرف، ص١١، ١٩، ٢٥، ٦٤.

(٥٢) أبو البقاء الكفوي/ الكليات ١٧٨/٢.

(٥٣) نفسه ٣٣٤/٤.

(٥٤) الفرّاء/ معاني القرآن ٥٢/١، ١١٧، ١٧٥ وغيرها، كتاب الألفات (٣و) لأبي بكر ابن الأنباري، وكتاب حروف المعاني للزجّاجي (الدراسة ٣٢).

وفي هذه التراكيب – لم يفعل وإنْ يفعلْ، أي ما فَعَلَ–، يقول برجشتراسر: "والعربية فقدت استعمال المضارع بمعنى الماضي إلّا بعد لَمْ وإنْ وأخواتها، نحو: لم يفعلْ وإنْ يفعلْ، أي: ما فعلَ وإنْ فعَلَ".(٥٥).

أقول: وهذا – أي الحرف "لم+" صيغة يَفْعل – ما أطلق عليه الجحد، أما النفي فمركّب من "لا أو ما + يفعل". فالجحد إنكار، والإنكار يكون لشيء ماض. أما النفي فعلي سبيل الحاضر والاستمرار أو الاستقبال.

وثمة رأى لعبدالقاهر جدير بالتسجيل، وهو أنه يرى أن لاسم الفاعل صيغ مبالغة تختلف عن صيغ المبالغة من اسم المفعول، فخصّ المبالغة من اسم الفاعل بفعّال وفعيل مطلقاً، أما المبالغة من اسم المفعول فخصّها بمِفْعال ومِفْعيل كمِنصار ومِنْصير مُطْلقاً.(و٩).

بعد هذا التعريف الموجز بكتاب المفتاح: أبوابه ومصطلحاته ومنهجه، ومقابلته بكتب التصريف الأخرى نخلص إلى القضية الأخيرة وهي مفهوم عبدالقاهر للتصريف، وأبرز آرائه.

لكن بقيت نقطة في جوانب حياة عبدالقاهر لا بدّ من الإشارة إليها، وهي تبرّمه من الزمان وأهله، وذمّه العصر والناس، فقد جمعت كتب التراجم والطبقات بعض أشعاره في هذا المعنى، منها قوله:

أيّ وقت هذا الذي نحن فيه قد دجا بالقياس والتشبيهِ
كلّما سارت العقول لكي تقـ ـطع تِيهاً توغّلت في تِيهِ(٥٦)

(٥٥) برجشتراسر/ التطور النحوي للغة العربية ٥٧.

وله أيضاً:

هـــذا زمـــان لـــيس فيـــه ســـوى النذالـــة والجهالـــة
لـــم يَـــرْقَ فيـــه صـــاعد إلّا وسُـــلَّمُه النذالـــة[٥٧]

وتصل نقمته على عصره وأهل عصره وعدم وعيهم وتقديرهم العلم أَوْجَها، فيقول:

كَبِّـــرْ علـــى العلـــم يـــا خليلـــي ومِـــلْ إلـــى الجهـــل مَيْـــلَ هـــائم
وعـــش حمـــاراً تعـــش ســـعيداً فالسّـــعد فـــي طـــالع البهـــائم[٥٨]

ويقول في باب "الكلام على من زهّد في النحو وبيان خطئه في ما ذهب إليه" في كتاب دلائل الإعجاز[٥٩]:

"ولو أنّ القوم إذ تركوا هذا الشأن تركوه جملة... ولم يخوضوا في التفسير ولم يتعاطوا التأويل لكان البلاء واحداً، ولكانوا إذا لم يبنوا لم يهدموا، وإذا لم

---

(٥٦) إنباه الرواة ١٩٠/٢.
(٥٧) نفسه ١٩٠/٢.
(٥٨) البلغة ١٢٧، وقد جمع الدكتور أحمد مطلوب غيرها في كتابه (عبدالقاهر- بلاغته ونقده) ٢٠-٢٤.
(٥٩) دلائل الإعجاز ٨٠.

يصلحوا لم يكونوا سبباً للفساد، ولكنهم لم يفعلوا. فجلبوا من الداء ما أعيى الطبيب، وحيّر اللبيب، وانتهى التخليط بما أتوه فيه إلى حدّ يُئِسَ من تلافيه، فلم يبق للعارف الذي يكره الشغب إلّا التعجّب والسكوت.

... ثم إنَّا وإن كنّا في زمان هو على ما هو عليه من إحالة الأمور عن جهاتها، وتحويل الأشياء عن حالاتها، ونقل النفوس عن طباعها، وقلب الخلائق المحمودة إلى أضدادها ودهر ليس للفضل وأهله لديه إلّا الشر صرفاً، والغيظ بحتاً، وإلا ما يدهش عقولهم، ويسلبهم معقولهم، حتى صار أعجز الناس رأياً عند الجميع من كانت له همّة في أن يستفيد علماً أو يزداد فهماً أو يكتسب فضلاً أو يجعل له ذلك بحال شغلاً، فإنّ الإلْفَ مِن طباع الكريم، وإذا كان من حقّ الصديق عليك، ولا سيّما إذا تقادمت صحبته، وصحّت صداقته أن لا تجفوه، بأن تنكبك الأيام وتضرّ بك النوائب، وتحرجك محن الزمان فتتناساه جملة، وتطويه طيّاً، فالعلم الذي هو صديق لا يحول عن العهد ولا يَدْخلُ في الودّ، وصاحب لا يصحّ عليه النكث والغدر، ولا يظنّ به الخيانة والمكر، أولى منه بذلك وأجدر، وحقّه عليك أكبر[٦٠]".

فمن ينعم النظر في هذه الأشعار وهذا الكلام الذي أوردناه لا يشكّ في أنّ الرجل كان يعيش غريباً في عصره بين أهل زمانه، فهم جهلة مدّعون العلم، وهم منافقون متملّقون، ويرى أنّ العلم الحقيقي لا أنصار له يقدّرونه ويفهمونه، ولذا أستطيع القول أنّ عبدالقاهر بعلمه المتميّز وبصيرته الثاقبة كان له مذهب غير مذاهب معاصريه، فلم يقدّروا ما توصّل إليه وما كان يدعو إليه، فأراه كان في

(٦٠) دلائل الإعجاز ٨٤-٨٥.

واد، وكان معاصروه في واد، فلم يفقهوا صرخاته ونزعاته التجديدية الثاقبة، التي لم تتكشّف إلّا حديثاً، بعد أن جاء الشرق والغرب بنظريات لغوية ونقدية حديثة، نستطيع أن نجد منها ملامح أو إرهاصات أو ظلالاً في مصنفات عبدالقاهر، توصّل إليها ونادى بها قبل ما يقرب من ألف عام.

أبرز آراء عبدالقاهر التصريفية:

تجلّت آراء عبدالقاهر التصريفية في كتابه (المقتصد) على شرح الإيضاح والتكملة، وقد كانت جلّ جهوده وآرائه متسقة مع آراء السابقين والمعاصرين له، وكذلك الحال في كتابيه المختصرين المتخصصين لمسائل التصريف – المفتاح والعمدة–، فهو بوجه عام يأخذ من السابقين ويوافقهم، وإن كنا نلمح محاولات ونزعات تجديدية، لكنها لم تكن واضحة كنزعاته في مجالات الدراسة اللغوية والنقدية والبلاغية الأخرى.

ومن تلك النزعات ما يتصل بالمنهج، ومنها ما يتصل بمفهومه العام للتصريف، ومنها آراء في قضايا تصريفية متفرّقة.

(١) في ما يتصل بالمنهج:

اقتفى عبدالقاهر آثار القدماء في منهجه بشكل عام، فهو لم يعرض للمسائل الصوتية كمقدمة للدراسة التصريفية، لكنه أضاف شيئاً في موضوعاته التصريفية التي خصص لها كتابه "المفتاح"، فقد أضاف فيه موضوع المعاني في الأفعال، تلك المعاني التي تكتسبها بالزيادات، صحيح أنّ القدماء سبقوه إلى ذلك، لكنهم لم يخصّصوا لها باباً مستقلاً ضمن موضوعات التصريف بالمعنى الثاني،

كما أنه أدخل ضمن تلك الموضوعات باب الاشتقاق، الذي فصل المازني وابن جني بينه وبين موضوعات التصريف[٦١]، كما اهتمّ بإيراد التصريفات والأمثلة، فاهتمّ بتصريف الأفعال إلى صيغها التصريفية الزمنية، وصرّفها مع نون التوكيد، وغيّر صيغها إلى النهي والأمر والجحد والنفي[٦٢]، ثم اهتم بإيراد صيغة المبني للمفعول، وهذه الصيغ هي التي تلزم في التراكيب، ولكنه لم يدخل أبواباً تصريفية أخرى يرى البحث اللغوي الحديث ضرورة دراستها لأهميتها، وصلتها بدراسة التراكيب، كالتصغير والنسب والتثنية والجمع والتأنيث.

ولعلّ من أبرز ما يتّصل بمنهجه، أنه لم يدخل في موضوعاته المسائل التي يقصد بها الترويض والتمرين، التي تعتمد على التعمّل وكدّ الذهن، وتبرز فيها المماحكة والمعاياة. واقتصرت موضوعاته على وصف ظواهر لغوية وبِنَى مستخدمة –فعلاً–، وتحليلها وفق مفهومه.

وهو يصرّح بعدم أهميّة تلك المسائل، ولا يرى حرجاً في طرحها وإهمال النظر فيها، فهو يقول في (دلائل الإعجاز):

"فإن بدأوا فذكروا مسائل التصريف التي يضعها النحويون للرياضة، ولضرب من تمكين المقاييس في النفوس، كقولهم: كيف تبني من كذا كذا، وكقولهم: ما وزن كذا، وتتبّعهم الألفاظ الوحشية، كقولهم: ما وزن عزويت، وما وزن أرونان؟.... وأشباه ذلك. وقالوا: أتشكّون أنّ ذلك لا يجدي إلّا كدّ الفكر

---

(٦١) المنصف ١/٣-٤.

(٦٢) المفتاح و٦، ظ٨، و٩، ظ١١- ظ١٣.

وإضاعة الوقت. قلنا لهم: أمّا هذا الجنس فلسنا نعيبكم إن لم تنظروا فيه، ولم تعنوا به، **وليس يهمّنا أمره**".(٦٣)

(٢) مفهومه للتصريف:

المفهوم الحديث للتصريف: هو كلّ دراسة تتصل بالكلمة أو بأحد أجزائها إذا أدّت دوراً أو وظيفة في خدمة العبارة(٦٤)، ووضّح الدكتور كمال بشر معنى ذلك بأنه تلك الدراسة التي تعرض لدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها، وإنّما لغرض معنوي، أو للحصول على قيم صرفية تفيد في خدمة الجمل والعبارات(٦٥).

والغرض المعنوي المقصود هو المعاني أو القيم الصرفية التي تكتسبها الصيغة بتغيرها إلى صورة جديدة، أو قُلْ: إنّها الخواصّ الصرفية للكلمات التي يترتب على وجودها وجود خواصّ معيّنة في الجمل والتراكيب، فلا يقصد بالغرض المعنوي المعاني المعجميّة(٦٦).

وعرّف فندريس المورفيم بأنه **الوحدة النحويّة** التي تقوم عليها الدراسة المورفولوجيّة(٦٧)، وهو يرى أن تصنيف الفصائل النحوية عمل من أعمال الصرف الذي لا يزال حتى الآن ينشد من يقوم بعمله(٦٨).

---

(٦٣) دلائل الإعجاز ٨٠-٨١.

(٦٤) د. كمال بشر/ دراسات في علم اللغة (القسم الثاني ٨٥)، ود. البدراوي زهران/ عالِم اللغة – عبدالقاهر الجرجاني ١١٦.

(٦٥) د. كمال بشر/ دراسات في علم اللغة ٢٣١.

(٦٦) نفسه ٢٢٩.

(٦٧) فندريس/ اللغة ١٠٥ وما بعدها.

(٦٨) نفسه ١٢٦.

نلاحظ مما سبق أن المفهوم الحديث للتصريف يقوم على دراسة بنية الكلمة وتغيّرها مقدمة للنحو، أو خطوة تمهيدية له، فهو بذلك يؤكّد على صلة التصريف بالنحو، وأن معرفة قضاياه ومسائله تساعدنا في بناء التراكيب.

وقد تناول الدكتور البدراوي زهران في كتابه (عالِم اللغة – عبدالقاهر الجرجاني– المفتنّ في العربية ونحوها) جانباً من الدراسة التصريفية عند عبدالقاهر، خصّص لها فصلاً في كتابه[٦٩]، وأوضح أن عبدالقاهر أدرك وظيفة التصريف وعلاقته بتصنيف الفصائل النحويّة، يتّضح ذلك في حديثه في باب تعليق الكلم بعضه ببعض[٧٠]، وفي أبواب أخرى في كتابه (دلائل الإعجاز)[٧١]، ويتجلّى ذلك أكثر في الفصل الذي أطلق عليه "الألفاظ المفردة وضعت في اللغة لكي يضمّ بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد"[٧٢]. وهذا يدلّ على إدراك واعٍ للصلة القائمة بين الكلمة المفردة كوحدة صرفيّة والتراكيب الجمليّة، وسنوضّح ذلك في القضية التالية.

(٣) نظريّة الاقتضاء عند عبدالقاهر[٧٣]:

يقول في باب تعليق الكلم بعضها ببعض: "ألا ترى أنك إذا قلت (كأنّ) اقتضى ذلك مشبَّهاً ومشبَّهاً به، كقولك: كأنّ زيداً الأسد"[٧٤].

---

(٦٩) د. البدراوي زهران/ عالِم اللغة.... من ١٠٥-١٣٦.

(٧٠) دلائل الإعجاز ٤٦ وما بعدها.

(٧١) دلائل الإعجاز (أبواب: مثل وغير، الذي، الحال– واو الحال–، إنّ وإنّما).

(٧٢) نفسه ٤٩٥.

(٧٣) سأتناول هذه النظرية تفصيلاً مع موازنتها بما جاءت به المذاهب اللغوية الحديثة في التحليل اللغوي.

ويقول في موضع آخر: (وكذلك إذا قلت "لو ولولا" وجدتهما يقتضيان جملتين تكون الثانية جواباً للأولى)[٧٥].

ويتحدّث عن واو الحال في موضع آخر، وهي وحدة صرفيّة، فيقول: (وتسميتنا لها واو الحال لا يخرجها عن أن تكون مجتلبة لتضمّ جملة إلى جملة)[٧٦].

وكذلك في حديثه عن الفاء الواقعة في جواب الشرط يقول: (إنّها جاءت لتربط جملة ليس من شأنها أن تربط نفسها بنفسها)[٧٧].

وحينما يعرض باب "الذي وذو" يركّز على مناقشة استخدامهما، فيقول: (الذي، وصلة إلى وصف المعارف بالجمل، كما اجتلب "ذو" ليتوصّل به إلى الوصف بأسماء الأجناس)[٧٨].

وعند مناقشته لـ"إنّ، وما تقتضيه في الجملة بعدها"، ذكر لها الخصائص التركيبّة الآتية:[٧٩]

---

(٧٤) دلائل الإعجاز ٤٩.

(٧٥) نفسه ٤٩.

(٧٦) نفسه ٢٣٥.

(٧٧) نفسه ٢٣٥.

(٧٨) نفسه ٢٢٢.

(٧٩) انظر في ذلك دلائل الإعجاز ٣١٧ وما بعدها، ود. عبدالفتاح لاشين/ التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر ١٦٩، ١٧٩ وما بعدها، ود. البدراوي زهران ١٢٧ وما بعدها.

١- ضمير الشأن يلطف ويحسن معها، كقوله تعالى: (فإنّه مَنْ يتّق ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين)، وذكر آيات كريمة أخرى شواهد على ذلك[٨٠].

٢- تهيّئ النكرة لأن يكون لها حكم المبتدأ.

٣- تغني عن الخبر في بعض الكلام، كقول العرب: إنّ مالاً، أي: إنَّ لهم مالاً.

٤- يُقصد بها إلى الجواب، وتربط بين جملتين، كقوله تعالى: (يأيّها الناس اتّقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم)[٨١].

٥- تفيد الربط، وتتبادل هي والفاء الأثر والتأثير، وضرب لذلك مثلاً قول بشّار:

بكّرا صاحبيّ قبل الهجير إنّ ذاك النجاح في التبكير

فيقول: لو أسقطت (إنّ) من عجز البيت لم يكن الكلام شيئاً، لأن الجملتين لا يبقى بينهما صلة أو ارتباط، ولو أحللت الفاء محلّ (إنّ) لاستقام الكلام[٨٢].

وهكذا، فعبدالقاهر حينما يعرض للحديث عن أداة (وحدة صرفيّة)، فإنّه يصرف اهتمامه إلى قيمتها في التركيب وصلتها به، وأثرها فيه، ولم يعتن اعتناء القدماء بعمل هذه الأداة في تغيير إعراب ما بعدها وتأثيرها فيه، وإعرابها أو

---

(٨٠) دلائل الإعجاز ٣١٧.

(٨١) دلائل الإعجاز ٣٢٢.

(٨٢) نفسه ٣٢، ود. البدراوي زهران ١٣٠.

بنائها، ومعناها في ذاتها مفردة. ونرى ذلك في نصّ آخر له أكثر وضوحاً، إذ يقول:

(ليس الفضل للعلم بأن الواو للجميع، والفاء للتعقيب بغير تراخ، (ثمّ) له بشرط التراخي، و(أنّ) لكذا، و(إذا) لكذا، ولكن **لأن يؤتى لك إذا نظمت أو ألّفت رسالة أن تحسن التخيّر، وأن تعرف لكلّ من ذلك موضعه**)[٨٣].

فالجرجاني لا يرى – في هذا النصّ– فضلاً في التوقّف عند حدود ما قدمته الدراسات السابقة عليه، بل جعل الفضل في معرفة أثر الوحدة الصرفية في التركيب، وأهمية هذه الوحدات وما تقتضيه من كلمات – وحدات صرفية– أخرى في إتمام بناء الجمل، وما تؤديه من معان بعد دخولها في التراكيب.

هذه النظرة – في رأيي– ثورة تجديدية واضحة، وإدراك واع لوظيفة الوحدات الصرفيّة، وصلة الدراسة التصريفية بالنحو والتراكيب، وأنّها مقدّمة وخطوة تمهيديّة له، فهو لا يَعُدّ دراسة التصريف غاية في ذاته، وإنما يتخذه وسيلة وطريقاً مؤدياً لدراسة التراكيب، وهذا ما يريده الدارس اللغوي الحديث من دراسة التصريف وقضاياه[٨٤].

ونظرية الاقتضاء هذه تتجلى الآن في اتجاهات اللغويين المحدثين والمعاصرين، فهم حينما يقولون: إن استخدام أداة التعريف (The) في الإنجليزية مثلاً يقتضي وجود اسم بعدها، وهكذا في أدوات أخرى. ولعلّ من باب الاقتضاء أيضا ما يعرف عندهم بالمطابقة (Agreement)، من ذلك مثلاً:

---

(٨٣) نفسه ٢٦١.

(٨٤) كمال بشر/ دراسات في علم اللغة ٢٢٠.

I come، الفعل المضارع (come) خال من اللاحقة الصرفية (s)، فإن استخدمنا (He) أو أحد ضمائر الغائب المفردة اقتضى الحال إضافة اللّاحقة الصرفيّة (s) في آخر الفعل، فيقول: (He comes). هذا الاستشعار ليس بعيداً عمّا قرّره عبدالقاهر من أنّ وجود كلمة معيّنة – وحدة صرفيّة– يقتضي وجود كلمات معيّنة، ونسقاً معيّناً في بناء الجملة.

(٤) صلة دراسة الصيغة في التصريف بعلم الأساليب[٨٥]:

ثمّة ملحظ آخره، أراه تالياً نظرية الاقتضاء، وهو العلاقة بين دراسة الصيغة وعلم الأسلوب، وقبل أن نخوض في هذه القضية لا بدّ من بيان الفرق بين مصطلحين هما: الصيغة والوزن:

فالوزن كما يذكر د. مصطفى النحاس مبنى صوتيّ يخضع للتغييرات التي تحدث للكلمة أحياناً.

أمّا **الصيغة** فمبنى صرفيّ، وتمثّل الكلمة في صورتها الصحيحة، ولا تخضع لأيّ تغيير، ولذا تعتبر الصيغة المرجع الأساسي للتحليل الصرفي، وعليها يعتمد اللغوي في معرفة التغييرات التي تحدث للكلمة[٨٦].

ويرى الدكتور تمّام حسّان أن التفريق مهمّ جداً، فله من الأهميّة ما يكون منها للتفريق بين علمي الصرف والأصوات[٨٧].

---

(٨٥) سأخصص بحثاً مستقلاً عن جوانب دراسة علم الأسلوب عند عبدالقاهر، آمل أن ينشر قريباً.

(٨٦) د. مصطفى النحاس/ مدخل إلى دراسة الصرف العربي ٢٩.

(٨٧) د. تمام حسان/ اللغة العربية معناها ومبناها ١٤٥.

وقد يتّفق هيكل الصيغة في صورته مع هيكل الميزان، فالفعل (ضَرَبَ) صيغته (فَعَلَ) وميزانه (فَعَلَ) أيضاً، ولكنهما قد يختلفان[٨٨]، فالفعل (قالَ) وزنه فالَ، و(اسْتَعَانَ) وزنه استفالَ، ولكنّ صيغة الأوّل (فَعَلَ)، وصيغة الثاني (اسْتَفْعَلَ)، وقد استشعر الجرجاني ذلك حينما قال: "فوزن لَمْ يَبِعْ لَمْ يَفِلْ، ولَمْ يَقُلْ لَمْ يَقُلْ[٨٩]. وذكر أنّ وزن (مَقول) – على رأي الأخفش– مَفول، بينما ذهب سيبويه إلى أنّه مَفُعْل[٩٠]، فرأي الأخفش موافق لوجهة النظر الحديثة، وإن اختلفت وجهات النظر في التحليل[٩١].

والكلام عن الصيغة والوزن يتطلب بعض المناقشة والتفصيل، وسنتناوله في موضع لاحق .

ونعود إلى الصلة بين الصيغة وعلم الأسلوب، فقد ذكر أحد الباحثين أن دراسة الصيغة في الصرف ينبغي أن تربط بالدراسات اللغوية الحديثة لعلاقتها المباشرة بعلم أساليب اللغة[٩٢].

وأضاف باحث ثانٍ بُعْداً آخر للقضية بقوله: "إنّ الدراسات الصرفية والنحوية معاً متداخلة مع دراسة الأسلوب إلى حدّ بعيد[٩٣].

---

(٨٨) نفسه ١٤٥.

(٨٩) المقتصد ورقة ٨٥.

(٩٠) المقتصد ورقة ٤٤٦، ٤٤٧، المفتاح و١٠– ظ١٠.

(٩١) د. مصطفى النحاس ٣٠.

(٩٢) نفسه ٩٥.

(٩٣) د. البدراوي زهران ١٣٦.

فهل أحسّ عبدالقاهر بهذه الصلة بين الدراسات التصريفية والنحوية وعلم الأسلوب؟

للإجابة عن هذا السؤال أورد الدكتور البدراوي زهران المثال الآتي الذي جاء في كتاب دلائل الإعجاز، يقول عبدالقاهر:

"وممّا يُرى تقديم الاسم فيه كاللّازم (مثل وغير)، ومن أمثلته:

"غيري بأكثر هذا الناس ينخدع"

ويكمل: ومعلوم أن الشاعر لم يرد أن يعرّض بواحد كان هناك فيستنقصه، ويصفه بأنّه مضعوف يُغَرّ ويُخْدَع، بل لم يرد إلّا أن يقول: إني لست ممّن ينخدع ويغترّ .

ويتابع بقوله: وكذلك لم يرد أبو تمّام أن يعرض بشاعر سواه غير أنه لا يريد إلّا أن ينفي عن نفسه أنه ممن يكفر بالنعمة ويلؤم، عندما يقول:

وغيري يأكلُ المعروفَ سُحْتاً وتُشْجَبُ عندَهُ بيضُ الأيادي

أفلا ترى أنك لو قلت: .... ينخدع غيري بأكثر هذا الناس، ويأكل غيري المعروف سحتا، رأيت كلاماً مقلوباً عن جهته، ومغيراً عن صورته، ورأيت اللفظ قد نبا عن معناه، ورأيت الطالع يأبى أن يرضاه[٩٤].

---

(٩٤) دلائل الإعجاز ١٧٢-١٧٣، ود. البدراوي زهران ١٣٦.

أقول: نرى من هذا التوجيه الجرجاني للبيتين وغيرهما – ممّا أورد في كتابه– أنه لاحظ أهمية دراسة الوحدات الصرفية ومعانيها، واختيار أداة معيّنة دون غيرها لاستخدامها في التعبير عن موقف معيّن ومعنى معيّن، واهتمّ بموقعها في التركيب. وهو حينما كتب عن الفرق بين القصر بالنفي والاستثناء والقصر بإنما – مثلاً–، فإنمّا يكون قد مسّ جانباً من جوانب الدراسة الأسلوبية في الدراسات الحديثة، إذ إن مهمة التميز بين الأدوات التي تبدو متقاربة في المعنى – حيث يكون على القائل أن يختار أداة دون أخرى– هذه المهمّة تقع على عاتق علم الأسلوب[٩٥].

فاهتمام عبدالقاهر وتفريقه بين أداة وأخرى في الاستخدام للتعبير عن معنى معيّن، يدلّ على إدراكه للصلة بين دراسة الوحدات الصرفية والتراكيب من جهة، والأسلوب من جهة أخرى.

(٥) قضيّة الأصل والفرع:

عندما يتحدّث المحدثون عن الصيغة بأنّها تمثّل الكلمة في **صورتها الصحيحة** قبل الإعلال والتغيّر الذي حدث، يجرّنا هذا الحديث إلى الحديث عن قضيّة الأصل والفرع.

(٩٥) د. شكري محمد عياد/ مدخل إلى علم الأسلوب ٦٠.

فالأصل الذي تعود إليه الصيغة إمّا أن يكون أمراً افتراضيّاً لا وجود له، وإمّا أن يكون أمراً تطوّرياً، يمثّل ما قبل مرحلة الإعلام والارتقاء اللغوي[٩٦].

فيذكر الدكتور عبده الراجحي أنه "في حين يرى الوصفيّون في بحث الأصل الافتراضي للكلمة بحثاً ميتافيزقيّاً لا يعتمد على مبدأ علمي سليم، يرى المنهج التحويليّ أن قضيّة الأصلية والفرعيّة قضية أساسيّة في فهم البنية العميقة وتحوّلها إلى بنية السطح، وفي العربية مثلاً لا نستطيع أن ننظر إلى الفعل (قالَ) على أنّ أصله قالَ، وأنّ الفعل (باع) أصله باع، مع وجود (يقولُ ويبيعُ)، بل علينا أن نعرف أصل الألف فيهما، ولا نستطيع أيضاً أن نغفل عن أن الطاء في (اصطبر) (واضطرب) لست طاء، وإنّما أصلها تاء. **وليس من العلم أن يقف الدرس الوصفي المحض عند حدّ وصف الظاهرة كما هي**، دون أن يجد تفسيراً لها، ومن هذا التفسير البحث عن الأصل[٩٧].

وقد ناقش عبدالقاهر قضية الأصل والفرع، فعنده أنّ: قالَ أصلها (قَوَلَ) وأن باع أصلها (بَيَعَ)، ويقول إنّ هذا أصل مرفوض من أوّل أحواله، وهو في هذا يوافق مذهب ابن جنّي[٩٨]. ويتابع عبدالقاهر كلامه بقوله: ولو كان القصد أن الأصل (قال وباع) لوجب أن يتصرف كله عليه، فيقال: قالَ يَقالُ قالاً، وباعَ يَباعُ باعاً، وهذا مرفوض. ويقول: "ومَثَلُ مَن يدّعي هذا مَثَلُ منْ يقول: إنّ رفع الفاعل

---

(٩٦) د. كمال بشر/ دراسات في علم اللغة ٢٤٣، ود. مصطفى النحاس ٢٩.

(٩٧) د. عبده الراجحي/ النحو العربي والدرس الحديث ١٤٣-١٤٤.

(٩٨) ابن جني/ الخصائص ١/٢٧٦-٢٧٧.

ونصب المفعول وجرّ المضاف إليه ليس من قصد ووضع، وإنّما هو من شيء جرى به الألسنة على الاتفاق، وكفى بهذا فضيحة فاعرفه(٩٩).

نستنتج من نصّ عبدالقاهر هذا أن الخلاف حول هذه القضية ليس حديثاً، بل كان موجوداً في زمنه، وقبل زمنه، وأن مذهبه أكّدته مناهج المدرسة التحويلية الحديثة.

وأقول: إنّ الاقتصار على الوصف أمر قد يكون كافياً من الشخص العاديّ، أمّا العالم فعليه مهمّة التعمّق وسبر أغوار الظاهرة اللغوية، حتى يصل إلى كنهها ومعرفة جوهرها، وإلى تفسير مقنع للعقل، لعل ذلك يوصله إلى تفسير مقبول أو كشف جديد.

وقل مثل ذلك أو أكثر منه في العلوم الأخرى، فالشخص العاديّ حينما رأى تفاحة تسقط عن شجرتها، لم يثر ذلك الحدث فيه شيئاً، ولم يزد على وصف ظاهر الحدث، وهو سقوط التفاحة عن الشجرة، فلو اكتفى نيوتن بذلك لما توصّل إلى قانون الجاذبية، الذي غيّر مفاهيم كثيرة، وقاد إلى كشوف هائلة في مجال الجاذبية والكهرباء والمغناطيسية والطيران.

وما يؤكّد – في رأيي– صحّة اتجاه القول بالأصل والفرع، أني لا أرى من الصواب أن نعزل (قالَ) مثلاً عن صيغ مادتها الأخرى، لا سيّما أن هذه الصيغ جميعاً تشترك في المعنى الأساسي، ويتغّير ذلك المعنى **قليلاً** تبعاً لتغيّر الصيغة المولّدة.

---

(٩٩) المقتصد ورقة ٤٩٩.

(٦) قضيّة الوزن الصرفي:

ذكر الرضيّ أن الجرجاني قال في وزن (قالَ: فالَ)[١٠٠]، وأشار الدكتور عبدالصبور شاهين إلى سبق عبدالقاهر في وزن (قالَ: فالَ) على البدل، ولكن الدكتور سجّل مخالفة المحدثين له، على أنه لا بدل فيها[١٠١].

ولكني لم أجد هذا القول لعبدالقاهر في أيّ من كتبه التي رجعت إليها، ووجدت في كتابه (المفتاح) أنه أجاز الوزن على البدل من الأصل، فأجاز في وزن (كِساء) فِعال أو فِعاء، أصله (كِساو)[١٠٢].

وفي هذا النص دلالة على استشعار عبدالقاهر الوزن الصوتي، لكنّ تمسكه بقضية الأصل والفرع ألزمه القول بالوزن الصوتي أنه على البدل.

كما أنه ذكر في كتابه (المقتصد) أنّ (لم يَبِعْ) وزنها لم (يَفِلْ)، و(لَمْ يَقُلْ) وزنها لم يَفُلْ، وقد ذكرنا ذلك خلال مناقشة القضية الرابعة في موضع سابق.

وأيّاً كان الأمر، فهذا ملمح ذكي، وتوجيه دقيق، توصّل إليه عبدالقاهر وقرّره، وقد سُجّل له السبق فيه.

وبعد، فهذه بعض الملاحظ التي أحسسنا بنزوع عبدالقاهر إلى التجديد في معالجتها، وأرى أنه لو أتيح لأفكار عبدالقاهر من تبنّاها واتّخذها أساساً لدراسته

---

(١٠٠) شرح الشافية ١٨/١.

(١٠١) د. عبدالصبور شاهين/ المنهج الصوتي للبنية العربية ٤٨.

(١٠٢) المفتاح (و٢).

مِن معاصريه، ومَنْ تبعهم، لتَقدَّمَ الدرس اللغويّ العربي أشواطاً كثيرة، ولتوصّل إلى آفاق بعيدة، لم تصل إلها الدراسات اللغويّة إلّا في العصر الحديث، وفي هذا القرن أو منتصفه على وجه التحديد.

ولا ندّعي الإحاطة والكمال في قضايا هذا البحث، ولعلّ الأيام تكشف لنا جوانب أكثر إقناعاً وإضاءة.

(مصادر البحث ومراجعه)

- إبراهيم مصطفى (إحياء النحو) القاهرة، ١٩٥٩م.
- أحمد مختار عمر/ دكتور.

(الفارابي اللغوي، وتحقيق مقدمة معجمه ديوان الأدب) مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، المغرب، المجلّد السابع، الجزء الثاني، ص١١١-١٥١، جمادى الأولى ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

- أحمد مطلوب/ دكتور

(عبدالقاهر الجرجاني- بلاغته ونقده) وكالة المطبوعات، ط١، الكويت – ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- الأزهري/ الشيخ خالد
- (شرح التصريح على التوضيح) دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د. ت.
- الأشموني (شرح ألفية ابن مالك) دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، د. ت.
- الأنباري/ أبو البركات

(نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء) تحقيق د. إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٥٩م.

- ابن الأنباريّ/ أبو بكر

(كتاب مختصر في الألفات) مخطوط، ضمن مجموعة، مكتبة لاله لي، المكتبة السليمانية بإستنبول، برقم ٣٧٤٠/ ١٢.

- البدراوي زهران/ دكتور

(عالم اللغة- عبدالقاهر الجرجاني- المفتنّ في العربية ونحوها) ط٢، دار المعارف بالقاهرة، ١٩٨١.

- برجشتراسّر (التطور النحويّ للغة العربية) المركز العربي للبحث والنشر، القاهرة ١٩٨١م، طبعة مصورة عن طبعة ١٩٢٩، التي عني بطبعها محمد حمدي البكري.

- تمّام حسّان/ دكتور

(اللغة العربية معناها ومبناها) الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣م.

- ابن جني (الخصائص) تحقيق محمد علي النجار، ط٢، دار الهدى للطباعة والنشر – بيروت.

(المنصف في التصريف) تحقيق إبراهيم مصطفى وعبدالله أمين، مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط١، القاهرة، ١٩٥٤م.

- حاجي خلفة (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) ط٣، طهران ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- الحملاويّ/ الشيخ أحمد.

(شذا العرف في فنّ الصرف) ط١٦، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

- الحنبلي/ ابن العماد

(شذرات الذهب في أخبار من ذهب) القاهرة، ١٣٥٠هـ.

- الخضري/ الشيخ محمد

(حاشية الخضر على ابن عقيل) المطبعة الميمنيّة بالقاهرة، ١٣٠٥هـ.

- رضي الدين الأستراباذي (شرح شافية ابن الحاجب) تحقيق محمد نور الحسن وزميليه، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- الزجّاجي (الجمل في النحو) تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسسّة الرسالة ببيروت، ودار الأمل بإربد/ الأردن، ١٣٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- (حروف المعاني) تحقيق د. علي توفيق الحمد، مؤسّسة الرسالة ببيروت ودار الأمل بإربد- الأردن، ١٣٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- السكاكي (مفتاح العلوم) دار الكتب العلمية ببيروت، د. ت.

- سيبويه (الكتاب) تحقيق عبدالسلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامّة بالقاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

- السيرافي (شرح السيرافي على كتاب سيبويه) من كتاب (السيرافي النحويّ في ضوء شرحه لكتاب سيبويه) دارسة وتحقيق، د. عبدالمنعم فائز، دار الفكر/ ودار نجد للنشر والتوزيع بالرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- السيوطيّ (بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

(همع الهوامع) بتصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د. ت.

- الشريف الجرجاني (التعريفات) مطبعة مصطفى البابي الحلبي، بالقاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

- شكري محمد عيّاد/ دكتور

(مدخل إلى عالم الأسلوب) دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- طاش كبرى زاده (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) تحقيق كامل بكري وعبدالوهاب أبو النور، القاهرة.

- عباس حسن (النحو الوافي) ط٥، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م.

- عبدالصبور شاهين/ دكتور

(المنهج الصوتي للبنية العربية) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- عبدالفتاح لاشين/ دكتور

(التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر) دار المريخ، الرياض- السعودية، ١٩٨٠م.

- عبدالقاهر الجرجاني

(دلائل الإعجاز) تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، الناشر مكتبة القاهرة بالقاهرة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

(العمدة في التصريف) مخطوط، ضمن مجموعة برقم ٣/٣٧٤٠، مكتبة لاله لي بالمكتبة السليمانية في إستانبول.

(المفتاح في الصرف) مخطوط، دار الكتب الظاهرية بدمشق، رقم ١٠٦٠٣ عامّ.

(المقتصد في شرح الإيضاح) مخطوط بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقم ٣٥٤ نحو.

- عبده الراجحي/ دكتور

(النحو العربي والدرس الحديث) دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩م.

- ابن عصفور (المقرّب) تحقيق أحمد عبدالستار الجواري وعبدالله الجبوري، مطبعة العاني ببغداد، ط١، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

(الممتع في التصريف) تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط٤، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الآفاق الجديدة – بيروت.

- علي توفيق الحمد/ دكتور

(نظرة في أثر اللغويين العرب في علم الدلالة) مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد الثاني، العدد الأول، ص١٧.

- الفارابي (مقدمة ديوان الأدب) تحقيق أحمد مختار عمر، مجلة معهد المخطوطات العربية بالمغرب، المجلد السابع، الجزء الثاني، ص١٢٩– ١٥١، جمادى الأولى ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

- الفارسيّ (التكملة) تحقيق د. حسن شاذلي فرهود، الناشر عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، الرياض – السعودية، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- الفرّاء (معاني القرآن) تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية العامة.

- فندريس (اللغة) ترجمة القصّاص والدواخلي، القاهرة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.
- الفيروزأبادي (البلغة في تاريخ أئمة اللغة) تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
- القفطي (إنباه الرواة على أنباه النحاة) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٧٢م.
- الكفويّ (الكليّات) تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨١- ١٩٨٢م.
- كمال محمد بشر/ دكتور

(دراسات في علم اللغة) دار المعارف بمصر، ١٩٧٣م.

- ابن مالك (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) تحقيق محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- محمد الطنطاويّ (تصريف الأسماء) ط٥، مطبعة وادي الملوك بالقاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.
- محمد عبدالمنعم خفاجي

(مقدمة تحقيق كتاب أسرار البلاغة) ج١، (ط٢)، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، الناشر مكتبة القاهرة بالقاهرة، مطبعة الفجالة.

- محمد مندور/ دكتور

(الميزان الجديد) دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة بالقاهرة ١٩٧٣م.
(النقد المنهجي عند العرب) دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة ١٩٦٩م.

- مصطفى النحّاس/ دكتور

(مدخل إلى دراسة الصرف العربي على ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة) ط١، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- الميداني (نزهة الطرف في علم الصرف) تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة ببيروت (ط١)، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- هارون عبدالرازق (عنوان الظرف في علم الصرف) مكتبة الأمل – السالمية/ الكويت، د. ت.

- يسن/ الشيخ

(حاشية الشيخ يسن على شرح التصريح) دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة . د. ت.

- ابن يعيش (شرح الملوكي في التصريف) تحقيق د. فخر الدين قباوة، (ط١)، المكتبة العربية بحلب، سوريا، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

المرجئة بخراسان في العصر الأموي

للدكتور حسين عطوان
الجامعة الأردنية

كان قَتْلُ عثمان بن عفان وما تَلاَهُ من اختلاف المسلمين واحْترابهم أخْطَرَ الأحداث التي وقعت في صدر الإسلام، فقد أنهت الجدال في الخلافة بالحُجَّة والدَّليل، وأفْضَتْ إلى التَّنازع فيها بالقُوَّة والسَّيْف، وأدَّت إلى ظُهُور الفِرَق السياسية الإسلامية، التي أخذت تُثيرُ مسألة الخلافة، ومن يجب أنْ يَتولاَّها، والشروط التي ينبغي أنْ تَتوافَر فيه، كما أخذت تَنْظُرُ في الإيمان والكُفْر، والجَبْر والأختيار.

وكان الخوارجُ والشيعةُ أقوى الفرقِ وأصْلبَها، وكان تَشَدُّدُهم في آرائهم الدينيةِ والسياسيةِ، وتطرُّفُ بعضِهم فيها سبباً في ظُهورِ فِرْقةِ المُرْجئةِ[1]. وفي أخبارِ نفرٍ من الصحابةِ أنهم كانوا أوَّلَ مَنْ مال إلى اعتزالِ الفِتَنِ، وقال بالإرْجاءِ، وأيَّدوا مواقِفَهم بأحاديث كثيرةٍ سَمِعُوها من النبي ﷺ[2]، وفي أخبارهم أيضاً أنهم امتنعُوامن الدُّخولِ في الصِّراعِ السِّياسي

(١) انظر في المرجئة الفرق بين الفرق ص: ١٢٢، والملل والنحل ١: ١٢٥، وفجر الإسلام ص: ٢٧٩، وضحى الإسلام ٣: ٣١٦، والفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص: ٢٦٣.

(٢) انظر مسند أحمد بن حنبل ١: ١١٤-١٢٩، وصحيح البخاري ٩: ٤٦-٦١، وصحيح مسلم ٤: ٧-٢٢-٢٢٧١، وسنن أبي داود ٤: ٤٤١-٤٦٨، وسنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٥-١٣٦٨، وسنن الترمذي ٤: ٤٦٠-٥٣١، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١: ٢٥-٦٥.

الذي كَثُرَ واستطار في آخر عهد عثمان بن عفان، ثم انْتَحَوْا بأنفسهم عن الفتنة بعد قَتْلِهِ، وفارقوا علياً ومعاوية، ولم يَنْصُرُوا أحدهما على الآخر، فمنهم عبدالله بن عمر بن الخطاب المتوفى سنة ثلاث وسبعين[1]، قال سَلاَّم ابن مسكين الأزدي البصري[2]: «لما قُتِلَ عثمان بن عفان قالوا لعبدالله بن عمر: إنك سَيِّدُ الناسَ وابن سَيِّد، فاخرجْ نُبايِعْ لك الناس. قال: إني والله لئن استطعت لا يُهْراق في سببي مِحْجمةُ من دمٍ. فقالوا: لتخرجنَّ أو لنقتلنَّكَ على فراشك! فقال لهم مثل قوله الأول، فأطمعوه وخوَّفوه فما استقبلوا منه شيئاً حتى لحق بالله». وقال سيف المازني[3]: «كان ابن عمر يقول: لا أقاتلُ في الفِتنة، وأصَلِّي وراء من غَلَبَ». وروى زيد بن أسلم العَدَوي: «أنَّ ابن عمرُ كان في زمان الفتنة لا يأتي أميرٌ إلاَّ صَلَّى خلفهُ، وأدَّىٰ إليه زكاة ماله»[4]. وقد كتب إلى معاوية بن أبي سفيان حين حثّهُ على الانتصار للخليفة المظلوم، واستعداه على عليٍّ[5]: «أما بعد، فإن الرَّأْي الذي أطمعك فيَّ هو الذي صيَّرَكَ إلى ما صيَّرك إليه أني تركتُ علياً في المهاجرين والأنصار، وطلحة والزبير وعائشة أم المؤمنين واتبعتُك. أمّا

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٢: ٣٧٣، ٤: ١٤٢، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٤٩، والتاريخ الكبير ٣: ١: ١٢٥، والمعارف ص: ١٨٥، والجرح والتعديل ٢: ٢: ١٠٧، وحلية الأولياء ٢: ٧، والاستيعاب ص: ٩٥٠، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص: ٤٩، وأسد الغابة ٣: ٢٢٧، ووفيات الأعيان ٣: ٢٨، وتذكرة الحفاظ ١: ٣٧، والبداية والنهاية ٩: ٤، والإصابة ٢: ٣٤٧، وتهذيب التهذيب ٥: ٣٢٨، وتقريب التهذيب ١: ٤٣٥، والنجوم الزاهرة ١: ١٩٢، وشذرات الذهب ١: ٨١.

(٢) طبقات ابن سعد ٤: ١٥١، وانظر تذكرة الحفاظ ١: ٣٨،

(٣) طبقات ابن سعد ٤: ١٤٩.

(٤) طبقات ابن سعد ٤: ١٤٩، وانظر أخبارا أخرى تدل على حَيْدة ابن عمر ومسالمته للأمويين ص: ١٥١، ١٦٩، ١٨٣.

(٥) وقعة صفين ص: ٧٢، والإمامة والسياسة ١: ٩٩، وشرح نهج البلاغة ٣: ١١٣.

زعمُكَ أني طعنتُ على عليٍّ فلعمري ما أنا كعليٍّ في الإيمان والهجرة ومكانه من رسول الله ﷺ، ونكايته في المشركين، ولكن حدثَ أمرٌ لم يكن من رسول الله ﷺ إليَّ فيه عهد، ففزعتُ فيه إلى الوقوف، وقلت: إنْ كان هُدىً ففضّل تركتُه، وإنْ كان ضلالة فشرّ نجوْت منه، فأغْنِ عنا نفسك».

ومنهم سعد بن أبي وقّاص الزهري المتوفى سنة خمس وخمسين على المشهور[1]، وكان يقول في الفتنة[2] «ما أزعم أني بقميصي هذا أحق مني بالخلافة، قد جاهدت إذ أنا أعرفُ الجهاد، ولا أبخعُ نفسي إنْ كان رجلٌ خيراً مني، لا أقاتل حتى تأتوني بسيفٍ له عينان ولسان وشفتان فيقول: هذا مؤمنٌ وهذا كافرٌ». وقال يحيى بن الحصين البَجَليُّ[3]: «سمعت الحيَّ يتحدثون أن أبي قال لسعد: ما يمنعُكَ من القتال؟ قال: حتى تجيئوني بسيفٍ يعرف المؤمن من الكافر». وقد كتب إلى معاوية حين حرَّضه على الأخذ بثأر عثمان[4]: «أما بعد، فإن عمر لم يُدْخِل في الشورى إلَّا مَنْ يحلُّ له الخلافة من قريش، فلم يكن أحدٌ منّا أحقَّ بها من صاحبه إلَّا باجتماعنا عليه، غير أنّ عليّاً قد كان فيه ما فينا، ولم يكُ فينا ما فيه. وهذا أمرٌ قد كَرِهْنا أوَّلَهُ وكرهنا آخره. فأمّا طلحة والزبير فلو لَزِمَا بُيوتهما كان خيراً لهما، والله يغفر لأم المؤمنين ما أتَتْ».

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٣: ١٣٩، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٣٤، والمعارف ص: ٢٤١، والجرح والتعديل ٢: ١: ٩٣، وحلية الأولياء ١: ٩٢، والاستيعاب ص: ٦٠٦، وأسد الغابة ٢: ٢٩٠، وتذكرة الحفاظ ١: ٢٢، والبداية والنهاية ٨: ٧٢، والإصابة ٢: ٣٣، وتهذيب التهذيب ٣: ٤٨٣، وتقريب التهذيب ١: ٢٩٠، والنجوم الزاهرة ١: ١٤٧.

(٢) طبقات ابن سعد ٣: ١٤٣، وحلية الأولياء ١: ٩٤، وانظر البداية والنهاية ٨: ٧٢، والإصابة ٢: ٣٣. وراجع سنن الترمذي ٤: ٤٨٦، وسنن أبي داود ٤: ٤٥٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٣: ١٤٤، وانظر في اعتزاله الفتنة الاستيعاب ص: ٦٠٩، وأسد الغابة ٢: ٢٩١، وتذكرة الحفاظ ١: ٢٢، والبداية والنهاية ٨: ٧٧.

(٤) وقعة صفين ص: ٧٥، والإمامة والسياسة ١: ١٠٠، وشرح نهج البلاغة ٣: ١١٤.

ومنهم أبو حمزة محمد بن ميمون السُّكريُّ[1] المروزيُّ المتوفي سنة ثمان وستين ومائة أو قبلها[2]، قال ابن سعد[3]: «كان قديماً»، يريد أنه كان من المعمّرين، عاش في الدولة الأموية زمناً طويلاً، وعاش في الدولة العباسية حوالي خمسة وثلاثين عاماً. وقال أبو حاتم الرازي[4]: «شيخان من خراسان مرجئان ثقتان أبو حمزة السكري وإبراهيم بن طهمان».

وكان يؤمّل الصّفح والعفو عن أهل الكبائر والمعاصي[5]، ولا يفصل بين العمل والإيمان، وكان شيخ بلده في الحديث والفضل والعبادة[6]. وقد التبس أمره على بعض العلماء من أهل بلده، فظنُّوا أنه من الجماعة، وعدّوه من السّلف الصالح، ونفوا أن يكون من المرجئة، قال علي بن الحسن بن شقيق المروزيّ[7]: «سئل عبدالله بن المبارك عن الأئمة الذين يقتدىٰ بهم؟ فذكر أبا بكر وعمر حتى انتهى إلى أبي حمزة، وأبو حمزة حيٌّ». وقال يحيى بن أكثم التميمي المروزي[8]: «سئل ابن المبارك عن الاتباع؟ فقال: الاتباع ما كان عليه حسين بن واقد، وأبو حمزة». وقال علي بن الحسن بن

---

(١) لقّب بالسكري لحلاوة منطقه وكلامه، لا لأنه كان يبيع السكر. (انظر ميزان الاعتدال ٤: ٥٣، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٨٧، وشذرات الذهب ١: ٢٦٤).

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧: ٣٧١، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٨٤١، والتاريخ الكبير ١: ١: ٣٤، والجرح والتعديل ٤: ١: ٨١، وميزان الاعتدال ٤: ٥٣، والبداية والنهاية ١٠: ١٥٠، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٨٦، وتقريب التهذيب ٢: ٢١٢، والنجوم الزاهرة ٢: ٥٦، وشذرات الذهب ١: ٢٦٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٧: ٣٧١.

(٤) تاريخ بغداد ٦: ١٠٨.

(٥) ذلك أحد معاني الإرجاء، وهو إعطاء الرجاء، (انظر الملل والنحل ١: ١٢٥).

(٦) شذرات الذهب ١: ٢٦٤.

(٧) تهذيب التهذيب ٩: ٤٨٧.

(٨) تهذيب التهذيب ٩: ٤٨٧.

قال إبراهيم التَّيْمي عن أبيه[1]: «قال أسامة بن زيد: لا أُقاتلُ رجلاً يقول لا إله إلَّا الله أبداً. فقال سعد بن مالك: وأنا والله لا أُقاتل رجلاً يقول لا إله إلا الله أبداً. فقال لهما رجل: ألمْ يقل الله: وقاتلوهم حتى لا تكون فِتْنةٌ ويكون الـدينُ كله لله؟ فقالا: قد قاتلْنا حتى لم تكن فتنةٌ وكان الدينُ لله». وقال حَرْمَلة مولى أسامة[2]: «أرسلني أسامة إلى علي فقال: اقرأه السلام، وقل له: إنك لو كنت في شِدْق الأسد، لأحْبَبْتُ أن أدخُلَ معك فيه، ولكن هذا أمرٌ لم أَرَه».

ومنهم عمران بن حُصَيْن الخزاعي المتوفى سنة اثنتين وخمسين[3]، وكان يُثَبِّطُ الناس عن الفتنة، ويدعوهم إلى القعود عنها، قال أبو قتادة[4]: «قال لي عمران بن حصين: الْزمْ مسجدك. قلت: فإن دُخِلَ علي؟ قال: فالْزَمْ بيتك. قال: فإن دُخِلَ علي بيتي؟ قال: فقال عمران بن حصين: لو دخلَ عليَّ رجلٌ بيتي يريد نفسي ومالي لرأيتُ أن قد حلَّ لي قتالُهُ». وروى حميد بن هلال عن حجير بن الربيع «أنَّ عمران بن حصين أرسله إلى بني عدي أن ائتهمْ أجمعَ ما يكونون في مسجدهم، وذلك عند العصر، فقُمْ قائماً، قال: فقام قائماً فقال: أرْسلني إليكم عمران بن حصين صاحبُ رسول الله ﷺ، يقرأُ عليكم السلام ورحمة الله، ويخبركم أني لكم ناصحٌ، ويحلف بالله الذي لا إله إلَّا هو لأنْ يكون عبداً حبشياً مُجدعا يرعىٰ أعْنزاً

---

(١) طبقات ابن سعد ٤: ٦٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٤: ٧١.

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٤: ٢٨٧، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٢٣٤، والتاريخ الكبير ٣: ٢: ٤٠٨، والمعارف ص: ٣٠٩، والجرح والتعديل ٣: ١: ٢٩٦، والاستيعاب ص: ١٢٠٨، وأسد الغابة ٤: ١٣٧، والإصابة ٣: ٢٦، وتهذيب التهذيب ٨: ١٢٦، وتقريب التهذيب ٢: ٨٢ والنجوم الزاهرة ١: ١٤٣، وشذرات الذهب ١: ٥٨.

(٤) طبقات ابن سعد ٤: ٢٨٨، وانظر أسد الغابة ٤: ١٣٨.

حَضَنياتٍ في رأس جبل حتى يُدْرِكَهُ الموت أحبُّ إليه من أن يَرْمي في أحد الفريقين بسهمٍ أخطأ أو أصاب، فأمسكوا فِدىً لكم أبي وأمي».

ومنهم أبــو بَكْــرةَ نُفَيْعُ بن الحــارث الثقفي المتـوفى سنـة اثنتين وخمسين(١)، وكان يُزَيِّنُ للناس تجنُّبَ الفتنة(٢)، وكان يقول(٣): «قال رسول الله ﷺ: إنها ستكون فِتَنٌ القاعدُ فيها خير من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من السَّاعي إليها، ألاَ فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبلٌ فليلحقْ بإبله، ومن كان له غنم فليلحقْ بغنمه، ومن كان له أرضٌ فليلحقْ بأرضه». قال: فقال رجل: يا رسول الله، ومن لم يكن له إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرضٌ؟ قال: يعمد إلى سَيْفِهِ فيدقُّ على حَدِّهِ بحجـر، ثم لِيَنْـجُ إن استـطاع النَّجاء». وكان يقول(٤): «قال رسول الله ﷺ: إذا التقى المسلمان فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول في النار».

وفي بعض الروايات أنّ الوليد بن عُقْبة أخا عثمان لأُمِّه المتوفى في خلافـة معاوية(٥) كان من الصحابة الذين ابتعدوا عن الفتنة، ولم يشاركوا فيها، قال ابن سعد(٦): «لما كان من عليٍّ ومعاوية ما كان، خرجَ الوليد بن

---

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧: ١٥، وطبقات خليفة بن خياط ص: ١٢٥، والتاريخ الكبير ٤: ٢: ١١٢، والمعارف ص: ٢٨٨، والجرح والتعديل ٤: ١: ٤٨٩، والاستيعاب ص: ١٦١٤، وأسد الغابة ٥: ١٥١، والإصابة ٣: ٥٧١، وتهذيب التهذيب ١٠: ٤٦٩، وتقريب التهذيب ٢: ٣٠٦، وشذرات الذهب ١: ٥٨.

(٢) صحيح البخاري ٩: ٥١، وصحيح مسلم ٤: ٢٢١٣، ٢٢١٤، وسنن أبي داود ٤: ٤٦٢، وسنن ابن ماجة ٢: ١٣١١.

(٣) صحيح مسلم ٤: ٢٢١٢، وسنن أبي داود ٤: ٤٥٥.

(٤) أسد الغابة ٥: ١٥١.

(٥) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٦: ٢٤، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٨١٨. والجرح والتعديل ٤: ٢: ٨، والأغاني ٥: ١٢٢، والاستيعاب ص: ١٥٥٢، وأسد الغابة ٥: ٩٠، والإصابة ٣: ٦٣٧، وتهذيب التهذيب ١١: ١٤٢، وتقريب التهذيب ٢: ٣٣٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٦: ٢٤، وانظر المعارف ص: ٣٢٠، والاستيعاب ص: ١٥٥٦، وأسد الغابة ٥: ١٢

عُقبة إلى الرِّقَّة معتزلاً لهما، فلم يكنْ مع واحدٍ منهما حتى تصرَّمَ الأمر، ومات بالرِّقَّة». ولكن ما ينسبُ إليه من شعرٍ يشير إلى أنه كان ممّن حمّسوا معاوية على قتال علي[1]، وهو بحاجةٍ إلى كثيرٍ من التّمحيص والتّوثيق. شأنُهُ في ذلك شأنُ كثيرٍ من أخباره. وقال ابن حجر العسقلاني[2]: «لما قُتِلَ عثمان اعتزلَ الوليد الفتنة، فلم يشهدْ مع عليٍّ ولا مع غيره، ولكنه كان يُحرِّضُ معاوية على قتال عليٍّ بكُتبه وبشعره».

ومنهم خُرَيم بن الأحْزَم الأسدي المتوفَّى في خلافة معاوية بن أبي سفيان[3] فقد كان أحد من اعتزل حرب الجمل وصفّين وما بعدهما من الأحداث فلم يحضرها[4].

ومنهم أيمن بن خريم الأسدي، على خلافٍ في صُحْبته[5]، وكان معتزلاً لحرب صِفِّين[6]، وكان يقول:[7] «إنَّ أبي وعمّي شهدا بدراً، وعهدا إليَّ أنْ

---

(١) وقعة صفين ص: ٥٢، وأنساب الأشراف، تحقيق المحمودي ٢: ٢٨٩، وتاريخ الطبري ٤: ٥٦٣، وحماسة البحتري ص: ٣٠، والأغاني ٥: ١٢٢، والبدء والتاريخ ٥: ٢٣٤، وشرح نهج البلاغة ٣: ٨٤، ٩٤، ٦: ٣١٤، ١٤: ٣٩، ١٧: ٢٢٧، والحماسة البصرية ١: ١١٤، وتاريخ الإسلام ٢: ١٦٨، والبداية والنهاية ٨: ١٢٨.

(٢) الإصابة ٣: ٦٣٨.

(٣) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٦: ٣٨، وطبقات خليفة بن خياط ص٨٠، والتاريخ الكبير، ٢: ١: ٢٢٥، والمعارف ص: ٣٤٠، والجرح والتعديل ١: ٢: ٤٠٠، والاستيعاب ص: ٤٤٦، وأسد الغابة ٢: ١١٢، الإصابة ١: ٤٢٤، وتهذيب التهذيب ٣: ١٣٩، وتقريب التهذيب ١: ٢٢٣.

(٤) الأغاني ٢٠: ٣٠٧.

(٥) انظر ترجمته في التاريخ الكبير ١: ٢: ٢٥، والشعر والشعراء ١: ٥٤١، والجرح والتعديل ١: ١: ٣١٨، والأغاني ٢٠: ٣٠٧، والاستيعاب ص: ١٢٩، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣: ١٩٠، وأسد الغابة ١: ١٦١، وتهذيب التهذيب ١: ٣٩٢، وتقريب التهذيب ١: ٨٨.

(٦) وقعة صفين ص: ٤٣١، والأخبار الطوال ص: ١٩٤، وشرح نهج البلاغة ٢: ٢٣١.

(٧) طبقات ابن سعد ٦: ٣٩، والاستيعاب ص: ١٢٩، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣: ١٩١، وأسد الغابة ٢: ١١٢، والإصابة ١: ٤٢٤.

لا أُقاتِلَ مُسْلماً». وقال نصر بن مزاحم[1]: «كان معاويةُ جعل له فلسطين على أنْ يتابعه ويشايعه على قتال عليٍّ، فبعث إليه أيمن:

ولستُ مقاتلاً رجلا يُصلّي ... على سلطان آخر مِنْ قريشِ
له سلطانُهُ وعليَّ إثْمي ... معاذ الله من سفهٍ وطيشِ
أأقْتُلُ مسلماً غيرِ جُرْمٍ ... فلستُ بنافِعي ما عشتُ عَيْشي»[2].

وقال علي بن خشْرم المروْزي[3]: «قلت لوكيع (بن الجراح الرُّؤاسي): مَنْ سَلِمَ من الفتنة؟ قال: أما المعروفون من أصحاب النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم فأربعة: سعد بن مالك، وعبدالله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، واختلط سائرهم. قال: ولم يشهد أمرهم من التابعين أربعة: الرَّبيع بن خُثيمْ (الثوري الكوفي)، ومسْروق بن الأجدع (الهمْداني الكوفي)، والأسْودُ بن يزيد (النّخعي الكوفي)، وأبو

---

(١) وقعة صفين ص: ٥٠٣، والأخبار الطوال ص: ١٩٤، وشرح نهج البلاغة ٢: ٢٣٢.

(٢) في بعض الروايات أن مروان بن الحكم هو الذي دعا أيمن بن خريم أن يقاتل معه يوم مرج راهط، فأبى وقال تلك الأبيات، قال الشعبي: «أرسل مروان بن الحكم إلى أيمن ألا تتبَعنا على ما نحن فيه؟ فقال: إن أبي وعمي شهدا بدراً، وإنهما عهدا إليّ ألاّ أقاتل رجلا يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ. فإن جئتني ببراءة من النار فأنا معك، فقال: لا حاجة لنا بمعونتك، فخرج وهو يقول: (الأبيات)». انظر أنساب الأشراف المخطوط ٢: ٧٤٩، وأنساب الأشراف ٥: ١٣٥، والاستيعاب ص: ١٣٠، ٤٤٦، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣: ١٩١، وأسد الغابة ١: ١٦١، ٢: ١١٢، والإصابة ١: ٤٢٤.
وذكر ابن قتيبة ان عبدالملك بن مروان هو الذي سأل أيمن بن خريم أن يحارب معه عبدالله بن الزبير، فرفض، وقال تلك الأبيات، يقول: «قال عبدالملك بن مروان لأيمن بن خريم: إنّ أباك كانت له صحبة ولعمك، فخذ هذا المال وانطلق فقاتل ابن الزبير، فأبى وقال: (الأبيات)». انظر الشعر والشعراء ١: ٤٥٢، والمعارف ص: ٣٤٠.
وروى ابن سعد الأبيات، ولكنه لم يحدّد المناسبة التي قيلت فيها، انظر طبقات ابن سعد ٦: ٣٨.

(٣) الاستيعاب ص: ٧٧.

عبدالرحمن (عبدالله بن حبيب) السُّلمي (الكوفي)[1]».

«قال أبو عمر (ابن عبدالبر): أما أبو عبدالرحمن السُّلَميُّ فالصحيح عنه أنه كان مع علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه[2]. وأما مسْروق فذكر عنه إبراهيم النَّخعي أنه ما مات حتى تاب إلى الله تعالىٰ مِنْ تَخلُّفه عن عليٍّ كرَّم الله وجهه[3]. وصح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما من وجوهٍ أنه قال: ما آسى على شيءٍ كما آسى أني لم أقاتل الفئة الباغية مع عليٍّ رضي الله عنه[4]».

وكان من المرجئة الأوَّلين جماعة من الغزاة رجعوا إلى المدينة بعد قتل عثمان بن عفان فوجدوا المسلمين يقتتلون، فهالهم اقتتالهم، فاعتزلوهم، وأخذوا أنفسهم بالحَيْدة، قال ابن عساكر[5]: «إنهم الشُّكاك الذين شكُّوا،

---

(١) وقال الذهبي في ترجمة عمران بن حصين الخزاعي: «مات في عام هو وأبو أيوب الأنصاري، وأبو بكرة الثقفي، وكعب بن عجرة، ومعاوية بن حديج الأمير، وخمستهم من الصحابة الذين اعتزلوا صفين، رضي الله عنهم، على خلاف في أبي أيوب». (انظر تذكرة الحفاظ ١: ٣٠).

(٢) قال الواقدي: «شهد مع علي صفين، ثم صار عثمانيا». (تهذيب التهذيب ٥: ١٨٤).

(٣) قال وكيع بن الجراح الرؤاسي: «لم يتخلف مسروق عن حروب علي». (انظر تهذيب التهذيب ١٠: ١١١).

وروى ابن سعد من طرق مختلفة أنّ مسروقاً اعتزل في صفين، وكان يدعو إلى الكف عن الحرب، قال الشعبي: «كان مسروق اذاً قيل له أبطأت عن علي وعن مشاهده، ولم يكن شهد معه شيئاً من مشاهده، فأراد أن يُناصُّهم الحديث قال: أذكركم بالله، أرأيتم لو أنه حين صفّ بعضكم لبعض، وأخذ بعضكم على بعض السلاح يقتل بعضكم بعضاً فتح باب من السماء وأنتم تنظرون، ثم نزل منه ملاك، حتى إذ اكان بين الصفّين قال: «يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلّا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيماً» (النساء: ٢٩)، أكان ذلك حاجزاً بعضكم عن بعض! قالوا: نعم. قال: فوالله لقد فتح الله لها باباً من السماء، ولقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم ﷺ، وإنها لمحكمة في المصاحف ما نسخها شيء». (انظر طبقات ابن سعد ٦: ٧٧).

(٤) انظر الاستيعاب ص: ٩٥٣، وأسد الغابة ٣: ٢٣٨.

(٥) تاريخ دمشق، مخطوطة التيمورية جـ٢٠، الورقة: ٥٧٧.

وكـانـوا في المغازي، فلما قدموا المدينة بعد قتل عثمان، وكان عهدهم بالناس وأمرهم واحدٌ ليس بينهم اختلاف، فقالوا: إنا تركناكم وأمركم واحدٌ، وليس بينكم اختلاف، وقدمنا عليكم وأنتم مختلفون، فبعضكم يقول: قُتِلَ عثمـان مظلوماً، وكان أوْلىٰ بالعدل وأصحابه، وبعضكم يقول: كان عليٌّ أوْلىٰ بالحق، وأصحابه كلهم ثقة، وكلهم مصدق، فنحن لا نتبرّأُ منهما، ولا نلعَنُهما ولا نشهد عليهما، ونُرْجِئُ أمرهما إلى الله حتى يكون الله هو الذي يحكمُ بينهما».

ويبدو من النُّصوص السابقة أنَّ المُرْجئة الأولين كانوا يعتقدون بتأجيل أمر الناس إلى يوم القيامة، وترْك الحُكْم على أعمال العباد لله وحده، وأنهم اعتزلوا الفتن، ولم يريدُوا أنْ يُريقوا دماءَ فريقٍ من المسلمين، ويحقنُوا دماء فريقٍ آخر، ولا أنْ يحكموا بتخطئة جماعة، وتصويب جماعةٍ ثانيةٍ، لأن أمرَ المسلمين المُتَقاتلين بِصَفِّين قد أشْكَلَ عليهم، فلم يَتَبَيَّنُوا وجهَ الحق فيه.

وكـان اختـلاف الأحـزاب في الخلافة سببَ نُشوءِ المُرْجئة، فلولا الخـلافـة ما كانت خوارج، ولا شيعـةٌ، ولا كانت مُرْجئـةٌ. وكان المرجئةُ يُسالمون جميع الأحزاب، ويَرَوْنَ أنَّ بعضهم مُصيبٌ، وبعضهم مخطيء، وأنهم لا يستطيعون أن يُعَيِّنُوا المُصيب، فوكّلوا أمرهم إلى الله، وفيهم بنو أمية فهم يشهـدون أنْ لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، فهم ليسوا كُفَّاراً، ولا مُشْركين، بل هم مُسْلِمُون يُرْجَأُ أمرهم إلى الله الذي يعرف سرائِر الناس، ويُحاسبهم عليها. وقد نتجَ عن ذلك تأييدهم لبني أمية تأييداً سلبياً، فهم وإنْ لم ينحازوا إليهم، ولم يُقاتلوا معهم، فإنَّهم لم يُعارضوهم، ولم يُناهضوهم، بل أقرُّوا بأنَّ حكومتهم حكومةٌ شرعيةٌ، لا يصحُّ الخروجُ

عليها[1].

وكان الإرجاء في أول ظهوره مذهباً سياساً صِرْفاً، ثم أخذ أصحابُهُ يخوضون في الإيمان والكُفرِ، وقد دعاهم إلى ذلك أنهم رأوا الخوارج يجعلون العمل جزءاً من الإيمان، ولا يفصلون بينهما، ويقولون: إنَّ أحدهما لا يُغْني عن الآخر، وأنهم على اختلاف فِرَقهم يُجْمعون على تكفير عليٍّ، وعثمان، وأصحاب الجَمل، والحَكَمين، ومن صوَّبهما، أو صَوَّب أحدهما، أو رضي بالتحكيم[2]. ودعاهم إليه أيضاً أنهم أبْصرُوا غُلاة الشيعة ومُتطرِّفيهم يُكفِّرون الصحابة لأنهم تركوا بيْعةَ عليٍّ[3]، وأن الشيعة كانوا يَرَوْنَ أنَّ معْرفةَ الإمام رُكْنٌ من أركان الدين[4]، فقال كثير من المُرْجئة: إنَّ الإيمان هو التَّصْديق بالقلْب، فمن آمن بقلبه فهو مؤمنٌ[5]، وقال بعضهم: إنَّ الإيمان تصديقٌ بالقلب وإقرار باللسان[6]. واتَّفق المرجئة الخالصة على تأخير العمل عن الإيمان[7]، وأن مرتكب الكبيرة لايُخلَّدُ في النار، لأنه ليس بكافر[8]، وأن الإيمان لا يتبعَّضُ، ولا يزيدُ ولا ينقصُ، ولا يتفاضلُ أهلهُ فيه[9]، وقال بعضُهم: «إنَّ الوعدَ ليس فيه استثناء، وإنَّ الوعيد فيه استثناء

(١) انظر فجر الإسلام ص: ٢٨٠، وضحى الإسلام ٣: ٣٢٤، والعقيدة والشريعة، لجولدتسهر ص: ٧٦.

(٢) مقالات الإسلاميين ١: ١٥٦، والفرق بين الفرق ص: ٤٥، والملل والنحل ١: ١٠٦، وانظر مروج الذهب ٣: ١٤٥.

(٣) الفرق بين الفرق ص: ٢٢، ٣٥، ١٥٢.

(٤) مقالات الإسلاميين ١: ١١٩، والفرق بين الفرق ص: ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، والملل والنحل ١: ١٣١، وانظر خطبة أبي حمزة الشاري في البيان والتبيين ٢: ١٠٣، والأغاني ٢٣: ٢٣٤

(٥) مقالات الإسلاميين ١: ١٩٧، ١٩٨، والفرق بين الفرق ص: ١٢٤، والملل والنحل ١: ١٢٥.

(٦) مقالات الإسلاميين ١: ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، والفرق بين الفرق ص: ١٢٢، ١٢٤، والملل والنحل ١: ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.

(٧) مقالات الإسلاميين ١: ١٩٧، والفرق بين الفرق ص: ١٢٢، والملل والنحل ١: ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨.

(٨) مقالات الإسلاميين ١: ٢١١، والفرق بين الفرق ص: ١٢٤، ١٢٥، والملل والنحل ١: ١٢٨.

(٩) مقالات الإسلاميين ١: ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، والفرق بين الفرق ص: ١٢٣، والملل والنحل ١: ١٢٩.

مضمرٌ، وذلك جائزٌ في اللغة عند أهلها، لأن الرَّجلَ قد يوعد عبْدَه أنْ يضربهُ، ثم يعفو عنه، ولا يرون ذلك كذباً للضمير الذي قال في الوعيد»[1]، أي: «إنَّ وعد الله لا يتخلّفُ، ووعيده قد يتخلَّفُ، لأن الثَّواب فضلٌ فيفي الله به، لأن الخُلْفَ في الوعد نقصٌ، والعقاب عدلٌ، وله أنْ يتصرّف فيه كما يشاء، ولا يعدُّ الخُلْفُ في الوعيد نقصاً»[2].

وتكوِّنُ هذه الآراء وحدة فكرية متّسقةً، لا تناقُضَ فيها، ولا تعارُضَ بينها، وهي تنبثقُ من مذهب المُرْجئة السياسي، وتتَّفق معه، فكل من آمن بقلبه، أو بقلبه ولسانه، سواء أكان من الخوارج والشيعة أم من بني أمية، فهو مؤمن، وليس من الصواب الحكم عليه بالكُفْرِ والخُلود في النار.

ولكن المرجئة لم يلبثوا أنْ تعرَّضوا لمسألة الجبْر والاختيار، وراجعوا آراءهم فيها، فآنقسموا ثلاث فِرَقٍ، فرقة ظلّت على إرجائها الخالص، وفرقة قالت بالإرْجاء والجَبْر، وفرقة قالت بالإرجاء والقدَر[3].

وقد انتشر مَذْهَبُ المُرْجئة بخراسان في العصر الأموي، وكَثُرَ أتْباعُهُ فيها، وكان بعضهم ممن عاش في العصر الأموي، وكان سائرهم ممن أدرك الـدَّوْلتين، وكانوا فرقتين، أما الفرقة الأولى فهم المرجئة الخالصة، وكانوا يزعمون أن أداءَ الفُروُض والطاعات ليس من الإيمان، وكانوا يُوادعون بني أمية، وغيرهم من الأحزاب، ولا يُكَفِّرون أحداً منهم.

ومن رجال المرجئة الخالصة بخراسان في العصر الأموي مُقَاتلُ بن

---

(١) مقالات الإسلاميين ١: ٢٠٨.

(٢) ضحى الإسلام ٣: ٣١٩.

(٣) الفرق بين الفرق ص: ٢٠: ١٢٢، والملل والنحل ١: ١٢٥.

سليمـان مولى الأزْد البَلْخيُّ المَـروْزي ثم البصريُّ البغداديُّ المتوفى سنة خمسين ومائة[1]، وكان من مُشَبِّهة المرجئة[2]، وكان أصحابه يقولون[3]: إنَّ الله جِسْمٌ، وإنَّ له جُمَّةً، وإنه على صورة الإنسان، لحمٌ ودمٌ وشعرٌ وعظمٌ، له جوارحُ وأعضاء من يدٍ ورِجْلٍ ورأسٍ وعينيْن مُصْمَتٌ، وهو مع هذا لا يُشْبهُ غيرَهُ ولا يُشْبِهُهُ غيرَهُ». وقال الشهرستاني[4]: «يُحْكىٰ عن مقاتل بن سليمان أن المعْصية لا تضُرُّ صاحب التوحيد والإيمان، وأنه لا يدْخُلُ النار مُؤْمن»، والصحيح من النَّقْلِ عنه «أنَّ المؤمن العاصي رَبَّهُ يُعَذِّبُ يومَ القيامة على الصِّراط، وهو على مَتنِ جهنَّم، يصيبه لَفْحُ النار وحرُّها ولهيبُها، فيتألَّمُ بذلك على قدْرِ معْصيتـه، ثم يدْخُـل الجنَّـة. ومثَـلِ ذلك بالحبَّة على المِقْلاةِ المُؤجَّجة بالنار».

وكان عُمَّالُ بني أمية على خراسان يَثِقُون به ويَطْمئنُّون إليه، فكان أثيراً عنـدهم مُقـدَّماً لديهم، وكان يتولَّى لهم الحكوماتِ في الخُصُومات التي كانت تَنْشَبُ بينهم وبين المنـاوئين لهم ولبني أمية، إذ عيَّنه نصر بن سيّار اللَّيْثي أحد الممثّلَيْنِ اللَّذيْنِ اختارهما ليُنوبا عنه، عندما رجع الحارث بن سُريجٍ إلى مَروْ الشاهجان، وناصب نصراً العداء، سنة ثمانٍ وعشرين ومائةٍ، ثم تصالحا على أن ينتخب كل منهما رجالاً يذكرون لهما أسماء طائفةٍ من أهل الوَرع والتقوىٰ والصَّلاح يعملون بالكتاب والسُّنَّة، ليقوموا بأمور

(١) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧: ٢٧٣، والتاريخ الكبير ٤: ٢: ١٤، والجرح والتعديل ٤: ١: ٣٥٤، وتاريخ بغداد ١٣: ١٦٠، وحياة الحيوان الكبرى ١: ٣٥٤، ووفيات الأعيان ٦: ٢٥٥، وميزان الاعتدال ٤: ١٧٣، وتهذيب التهذيب ١٠: ٢٧٩، وتقريب التهذيب ٢: ٢٧٢، وشذرات الذهب ١: ٢٢٧، وراجع مذاهب التفسير الإسلامي ص: ٧٦، وتاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، ٤: ٩، وتاريخ التراث العربي، لفؤاد سيزكين ١: ١: ١٩٨.

(٢) وفيات الأعيان ٥: ٢٥٧، وتهذيب التهذيب ١٠: ٢٨٤، وتقريب التهذيب ٢: ٢٧٢.

(٣) مقالات الإسلاميين ١: ٢١٤، وانظر الملل والنحل ١: ٩٦.

(٤) الملل والنحل ١: ١٢٨.

خراسان[1].

ومنهم عبدالعزيز بن أبي روّاد الأزدي الخراساني ثم المكي المتوفى سنة تسع وخمسين ومائة[2]، قال ابن سعد[3]: «كان مُرْجئاً»، وقال الجوزجاني[4]: «كان غالياً في الإرجاء».

ومنهم خارجة بن مصعب الضُّبَعي السَّرَخْسيُّ المتوفى سنة ثمان وستين ومائة[5]، قال ابن قتيبة[6]: كان من المُرْجِئة.

وأما الفِرْقةُ الثانية منهم فهم مُرْجئةُ الجَبْرية، وهم يقولون: إن العملِ جزءٌ من الإيمان، ويروْن أنَّ الإيمان لا يتمُّ إلاَّ بأداء الفُرُوض والطَّاعات. وهم يعتقدون أن الأمور المُشْكلة هي التي يجب أنْ يُؤجَّل النَّظر فيها، والحكمُ عليها، وأمّاالأمور البيِّنةُ فإنهم يُعْلنون رأْيهم فيها، ويقطعونَ به قَطْعاً.

وكان رجالُ هذه الفرقة ينتقدون بني أمية، ويندِّدون بمفاسدهم وأخطائهم، ويدعون إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والمالي، وقد

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٣١، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٢.

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٥: ٤٩٣، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٧١١، والتاريخ الكبير ٣: ٢: ٢٢، والجرح والتعديل ٢: ٢: ٣٩٤، وتهذيب التهذيب ٦: ٣٣٨، وتقريب التهذيب ١: ٥٠٩، وشذرات الذهب ١: ٢٤٦.

(٣) طبقات ابن سعد ٥: ٤٩٣، والمعارف ص: ٦٢٥، والجرح والتعديل ٢: ٢: ٣٩٤، وميزان الاعتدال ٢: ٦٢٨، وتهذيب التهذيب ٦: ٣٣٨، وتقريب التهذيب ١: ٥٠٩، وشذرات الذهب ١: ٢٤٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٦: ٣٣٩، وكان ابنه عبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي روّاد مرجئاً أيضاً. (انظر التاريخ الكبير ٣: ٢: ١١٢، والمعارف ص: ٦٢٥، والجرح والتعديل ٣: ١: ٦٤، وتهذيب التهذيب ٦: ٣٨١، وتقريب التهذيب ١: ٥١٧).

(٥) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧: ٣٧١، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٨٣٥، والتاريخ الكبير ٢: ١: ٢٠٥، والمعارف ص: ٤٦٨، والجرح والتعديل ١: ٢: ٣٧٥، وميزان الاعتدال ١: ٦٢٥، وتهذيب التهذيب ٣: ٧٦، وتقريب التهذيب ١: ٢١١، وشذرات الذهب ١: ٢٦٥.

(٦) المعارف ص: ٢٥.

ثاروا عليهم في العراق[1] وخراسان، وحاولوا الإطاحة بهم.

ومن مُرْجئة الجبريَّة بخراسان في العصر الأموي ثابت قُطْنةٍ الأزدي المتوفى سنة عشرٍ ومائة[2]، قال أبو الفرج الأصفهاني[3]: «كان ثابت قُطْنةٍ قد جالس قوماً من الشُّراة وقوماً من المُرْجئة، كانوا يجتمعون فيتجادلون بخراسان، فمال إلى قولِ المُرْجئة وأحبَّه».

ولـه قصيدةٌ طويلة في الإرجـاء، وهي وثيقـة تاريخية مهمـة، لأنها تتضمّن مقالة مُرْجئةِ الجَبْرية، وتكشف عن الفرق بين آرائهم وآراء المرجئة الخالصة، وهي تتوالىٰ على هذا النَّحْو[4]:

يا هنـدُ إنِّـي أظنُّ العيْشَ قد نَفِـدا ... ولا أرى الأمـرَ إلَّا مُدبـراً نِكـدَا[5]

إنِّـي رهـينـةُ يومٍ لستُ سابِقَـهُ ... إلَّا يكُـنْ يوْمُنـا هذا فقـد أفِـدا[6]

بايعْـتُ ربِّـيَ بيْعـاً إنْ وفـيْتُ بهِ ... جاورْتُ قتْلىٰ كِراماً جاورُوا أُحَـدا[7]

يا هنـدُ فاسْـتـمِعي لي إنَّ سِيرَتَنـا ... أنْ نعْبَـد الله لم نُشْـرِكْ به أَحَـدا

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٦: ٢٦٣، ٢٦٥، وتاريخ خليفة بن خياط ١: ٣٢٧، وتاريخ اليعقوبي ٢: ٢٩٠، وتاريخ الطبري ٦: ٤٨٨، ٧: ٥٥، والكامل في التاريخ ٥: ١٤٨، والأغاني ١٤: ٢٦٩، ٢٧٨، ووفيات الأعيان ٢: ٣٧٢، والبداية والنهاية ٩: ٩٦، والفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص: ٢٧١.

(٢) انظر ترجمته في الشعر والشعراء ٢: ٦٣٠، والاشتقاق ص: ٤٨٣، والأغاني ١٤: ٢٦٣، ووفيات الأعيان ٦: ٣٠٧، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١: ٩، وخزانة الأدب للبغدادي ٤: ١٨٤، والفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص: ٧٢٤، والعصر الإسلامي لشوقي ضيف ص: ٢٣٩، والشعر العربي بخراسان في العصر الأموي ص: ٢٣٧.

(٣) الأغاني ١٤: ٢٦٩.

(٤) الأغاني ١٤: ٢٧٠.

(٥) نفد: فني.

(٦) أفد: قرب ودنا.

(٧) أحد: جبل بالمدينة كانت عنده غزوة أحد المشهورة.

نُرْجي الأمـورَ إذا كانـت مُشَبَّـهـةً ... ونَصْدُقُ القوْلَ فيمن جارَ أو عَنَدَا[1]

الـمـسلمـونَ علىٰ الإسـلامِ كُلُّهُمُ ... والمُشْـرِكُـونَ أشَتُّـوا دينَهُمْ قِدَدَا[2]

ولا أرَى أنَّ ذَنْـبـاً بالـغْ أحَـداً ... مِ النـاسِ شِرْكاً إذا ما وَحَّدَ الصَّمَدا

لا نَسْـفِـكُ الـدَّمِ إلَّا أنْ يُرادَ بنـا ... سَفْـكُ الـدِّماءِ طريقاً واحداً جَدَدا[3]

مَنْ يَتَّـقِ اللهَ في الـدُّنْـيَا فإنَّ لَهُ ... أجْـرَ التَّقيِّ إذا وَفَّى الحسـابَ غَدا

وَمَـا قَضَـى اللهُ منْ أمْـرٍ فليسِ لهُ ... رَدٌّ ومـا يَقْضِ مِنْ شَيْءٍ يكنْ رَشَـدَا

كلُّ الـخـوارجِ مُخْطِئٍ في مَقـالتِـهِ ... ولـو تَعَبَّـدَ فيمـا قالَ واجْتَـهـدا

أمّـا عليٌّ وعـثـمـانُ فإنّـهـمـا ... عَبْـدانِ لم يُشْـرِكَـا باللهِ مُذْ عَبَـدا

وكـان بينهمـا شَغْبٌ وقـد شَهِـدَا ... شَقَّ العَصـا وبِعَيْنِ اللهِ ما شهِـدا[4]

يُجْـزَى عليٌّ وعـثـمـانُ بسعيهمـا ... ولـسـتُ أدْري بِحَـقٍ أيَّةَ وَرَدَا

اللهُ يَعْـلَمُ ماذا يَحْـضُـرانِ بهِ ... وكـلُّ عَبْـدٍ سَيَلْقَـىٰ اللهَ مُنْـفَـرِدَا

فقد كان مُرْجئة الجَبْريَّة يعتقدون أنَّ الإيمان هو التَّصْديقُ بالقلب، والإقرارُ باللسان. ويظهر أنهم كانوا يعتقدون أيضاً أنَّ العمل ركنٌ من أركان الإيمان، وأية ذلك أنَّ ثابت قُطْنةٍ أشار إلى الجزاء، وأنَّ المؤمن يحاسب على أعماله، فيثابُ على عمل الخير، ويُعاقبُ على عمل الشرِّ. ومن أقوىٰ الأدلـة على ذلـك أنَّ مُرْجئـة الجبـرية لم يسكتوا عن ممارسات بني أمية وسياسـاتهم المختلفـة، بل أَخْضعُـوهـا للنَّقدِ والتَّقويم، وجعلوا صلاحَها ومُوافقتها للكتاب والسُّنَّةِ أساساً لطاعتهم والرِّضا عنهم، وفسادها ومُفارقتها للكتاب والسُّنَّة سبباً لِعِصْيانهم والثورة عليهم. وعندما أبَوْا أن يَهْتدُوا بسيرة الرسول الكريم وسيرة أصحابه شَهَّروا بمساوئهم، وهتفوا بمخالفتهم لمبادىء

(١) عند: عرف الحق فأباه ومال عنه.

(٢) أشتوا: فرّقوا. وقدداً: جمع قدة، أي فرقاً مختلفة الأهواء.

(٣) الجدد: الطريق الواضحة المستوية.

(٤) الشغب: تهييج الشر، وشق العصا: تفرق الجماعة.

الإسلام، ثم حاربوهم، وسعوا إلى إسقاطهم.

وقد حَرَّم مُرْجئة الجبريّة إراقة دماء المسلمين، ولم يُحِلُّوها، إلا إذا اعْتُدِيَ عليهم، واسْتُبِيحَتْ دماؤهم، فإنهم كانوا يُدافعون عن أنفسهم. وهم يُخالفون المُرْجئة الخالصة في ذلك، لأنهم كانوا يُؤَخِّرُون العمل عن الإيمان، ولأنهم كانوا يُسَالمُون بني أمية، ويُصافُون غيرهم من الأحزاب.

وذهب مُرْجئة الجبريَّة إلى أن مُرْتكبَ الكبيرة ليس بكافرٍ، وأنه لا يَخْلُدُ في النار، بل يُعَذَّبُ على قدْرِ ذنبه، ثم يدخلُ الجنَّة. وخطَّأَ ثابتُ قُطْنةٍ الخوارج، لأنهم كانوا يُكَفِّرُون مُرْتكبي الكبائر، ولأنهم كانوا يُكَفِّرُون علياً وعثمان، وهو يرى أنهما مؤمنان موحِّدان لم يُشْركَا بالله أحداً، وأن ما حدثَ من شقاقٍ ونزاعٍ بينهما، وما كان من افْتراقِ المسلمين واقتتالهم في أيَّامهما لا يُلْغي إيمانهما. ولكنه يُصَرِّح بأن أمرهما قد خَفِي عليه، وأنه لا يعرفُ الصَّواب فيه، ولذلك كان يُرْجِئُهُ إلى يوم القيامة، ليحاسبهما الله على أعمالهما، ويحكم عليهما بما يشاء. وهم يوافقون المُرْجئة الخالصة في ذلك.

وكان مُرْجئة الجبرية يقولون: إن الإنسان مُجبرٌ غير مخيَّرٍ، وإنه لا يملك من أمره شيئاً، ولا يستطيع صُنْعَ أفْعالهِ، وإنَّ إرادة الله نافذةٌ لا رادَّ لها. ولم يؤثَرْ عن المرجئة الخالصة أنهم تعرَّضوا لمسألة الجبر والاختيار، ولم يذكر لهم رأيٌ فيها.

وأحجم مُرْجئة الجبرية عن إبداء رأيهم في المسائل الملتبسة، وأجَّلُوها إلى يوم القيامة، ليقضي الله فيها ما يريد، وأما المسائل الواضحة

كالظُّلم البيِّن، والعناد الظَّاهر، فإنهم كانوا يُصْدرون أحكامهم عليها، ويُحَدِّدُونَ مواقفهم منها. وهم يخالفون المُرْجئة الخالصة في ذلك، لأنهم لم يفرّقوا بين المشكل والواضح من الأمور، بل سوَّوْا بينها، وأرْجأوا الحكم عليها لله.

وكانت طائفةٌ من مُرْجئة الجبرية قد ثارت مع يزيد بن المهلَّب بالعراق سنة إحدى ومائة[1]. فكتب ثابت قُطْنة إلى يزيد بن المهلب يحرّضه على قتال يزيد بن عبدالملك، ويحثُّه على خلعه[2].

وأيَّد ثابت قُطْنة العجم المسلمين من أهل سمرقند سنة عشرٍ ومائة، ودعا إلى أنْ يكونوا مكافئين للعرب المسلمين، وأنْ توضع عنهم الجزية، وأنْ يُسْتوفىٰ منهم الخراجُ كما يُسْتوفى من العرب، وجاهد معهم عمَّال أشرس بن عبدالله السُّلمي والي خراسان لهشام بن عبدالملك، لأن أشرس وعدهم برفع الجزية عمن أسلم، فانكسر الخراج، فوضع عليهم الجزية، وكتب إلى ابن أبي العمرطة الكندي، وكان على حَرْب سمرقند وخراجها[3]: «إنَّ في الخراج قوةً للمسلمين، وقد بلغني أن أهل السُّغْد وأشباههم لم يسلموا رغبةً، وإنما دخلوا في الإسلام تعوذاً من الجزْية، فانْظُر مَن آختتنَ، وأقام الفرائض، وحسُنَ إسلامه، وقرأ سورةً من القرآن، فارفعْ عنه خراجه (جزيته)». ثم عزل ابن أبي العمرطة عن الخراج، وصيَّره إلى هانىء بن هانىء، وضَمَّ إليه الأشحيذ، فقال ابن أبي العمرطة لأبي الصَّيْداء صالح بن طريف مولى بني ضَبَّةَ، وكان أشرس وجَّهه إلى سمرقند ليدعو أهلها إلى

(١) تاريخ الطبري ٦: ٥٩٣، والكامل في التاريخ ٥: ٨٠، ٨٤.
(٢) الأغاني ١٤: ٢٧٨.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ٥٥، والكامل في التاريخ ٥: ١٤٧.

الإسلام على أنْ لا تؤخذ الجزية ممن أسلم منهم: لست من الخراج الآن في شيء، فدونك هانئاً والأشحيذ، فقام أبو الصيداء يمنعهم من أخذ الجزية ممن أسلم، فكتب هانىء إلى أشرس: إنَّ الناس قد أسلموا وبنوا المساجد. فجاء دهاقين بخاري إلى أشرس، فقالوا: ممن تأخذ الخراج (الجزية)، وقد صار الناس كلهم عرباً؟ فكتب أشرس إلى هانىء وإلى العمّال: خذوا الخراج (الجزية) ممن كنتم تأخذونه منه، فأعادوا الجزية على مَنْ أسلم، فامتنعوا، واعتزل من أهل السُّغْد سبعة آلاف، فنزلوا على سبعة فراسخ من سمرقند، وخرج إليهم أبو الصيداء، وربيع بن عمران التميمي، والقاسم الشيباني، وأبو فاطمة الأزدي، وبشر بن جرموز الضبي، وخالد بن عبدالله النَّحْوي، وبشر بن زنبور الأزدي، وعامر بن قشير الخجندي، وبيان العنبري، وإسماعيل بن عقبة لينصروهم. فعزل أشرس ابن أبي العمرطة عن الحرب، واستعمل مكانه المجشر بن مزاحم السلمي، وضم إليه عميرة بن سعد الشيباني. فلما قدم المجشر كتب إلى أبي الصيداء يسأله أنْ يقدم عليه هو وأصحابه، فقدم أبو الصيداء، وثابت قطنة فحبسهما. فقال أبو الصيداء: غدرتم ورجعتم عما قلتم! فقال له هانىء: ليس بغدر ما كان فيه حقن الدماء، وحمل أبا الصيداء إلى أشرس، وحبس ثابت قطنة عنده، فلم يزل ثابت قطنة في حبس المجشر حتى قدم نصر بن سيّار والياً على المجشر، فحمل ثابتاً إلى أشرس فحبسه، ثم أطلقه بكفالة عبدالله بن بسطام، ووجّهه معه لقتال التُّرك، فقتل ببيكند[1].

ومن مُرْجئة الجبرية بخراسان في العصر الأموي الحارث بن سُرَيْج

(١) تاريخ الطبري ٧: ٥٥ ـ ٥٨، والكامل في التاريخ ٥: ١٤٧ ـ ١٥٠.

التَّميمي المقتـول سنة ثمانٍ وعشرين ومائة[1]، قال ابن جرير الطبري[2]: «كان الحارث يرى رأي المُرْجئة». وهو أكبر قادتهم، وأشهر ثُوَّارهم، وأخباره في الصَّدْر الأول من حياته مجهولة، ويبدو أنه كان بخراسان في العُشْرِ الأول من القـرن الثـاني، فقد قاتل أهل السُّغْد وبخاري والترك مع أشرس بن عبدالله السُّلمي ببيكند سنة عشر ومائة، حين ارتدُّوا عن الإسلام وكفروا، لأن أشرس فرض عليهم الجزية، وتشدَّد في قبول إسلامهم، وأبلى الحارث وفرسان قبيلته من تميم في القتال بلاء حسناً، وعصموا العرب من الهلاك عطشاً[3].

وتنقطع أخبار الحارث بعد ذلك، ثم يظهر بالنُّخذ[4] سنة ست عشر ومائةٍ، وقد اعتقد مذهب مُرْجئة الجبريَّة أصحَّ اعتقادٍ وأشدَّه، ولَبِسَ السَّواد، وسـوَّد راياتـه، وكان السَّواد شعار رسول الله ﷺ. ويخرج على عاصم بن عبدالله الهلالي والي خراسان لهشام بن عبدالملك، ويندفع إلى بلخ، وكان عليها التُّجيبي بن ضبيعة المريُّ، ونصر بن سيَّار اللَّيثي، فيستولي عليها، ويطردهمـا عنهـا. ويزحف منها إلى الجوزجان والفارياب والطالقان ومَرْوِ الرُّوذ، فيسيطرُ عليها جميعاً، ثم يُقْبِلُ إلى مَرْو الشاهجان في ستين ألفاً، ومعـه الأزدُ وتميم، ودهـاقين الجوزجان والفارياب ومرو الشاهجان وملك الـطالقان، فيحاصرها ويكاتبه من بها من العرب، ويتصلون به، ويعلنون

---

(١) انظر بعض أخباره في تاريخ الطبري ٧: ٩٤ - ١٢٥، ٣٢٩ - ٣٤٢، والعيون والحدائق ٣: ١٨٤، ١٨٨، والكـامـل في التـاريخ ٥: ١٨٣ - ١٨٩، ٣٠٧ - ٣٠٨، ٣٤٢ - ٣٤٦، والبداية والنهاية ٩: ٣١٣، ١٠: ٢٦، والسيادة العربية لفان فلوتن ص: ٦٠-٦٨، وتاريخ الدولة العربية لفلهاوزن ص: ٤٤٢-٤٤٦، ٤٥٩-٤٦٢.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٠٠.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٥٨، والكامل في التاريخ ٥: ١٥٠.

(٤) النخذ: ناحية خراسانية بين نواح عدة منها الفارياب وزم واليهودية وآمل.

تأييدهم له. ويرسل إلى عاصم رسلاً يسألونه العمل بالكتاب والسُّنَّة والبيْعة للرِّضا. ويكاد عاصم أنْ يهرب من مِرْو الشاهجان إلى نيسابور، ليستقر بين قومه من قيس، ويكتب منها إلى هشام بن عبدالملك أنْ يمدَّهُ بعشرة آلاف من أهل الشام، ليكافح الحارث ويقضي عليه. ويعتذر له من معه من قادة بني تميم وسادتهم عن مكاتبتهم للحارث، ويعاهدونه على قتاله حتى الموت. ثم يتصدَّوْن للحارث، ويقتلون كثيراً من أصحابه، ويميل من كان معه من الأزد وتميم إلى قبائلهم، ويلتحقون بها، ويؤازرون عاصماً عليه، وينفضُّ عنه من خرج معه من دهاقين خراسان، ويمضون إلى بلادهم، فيعجز عن اقتحام مرو الشاهجان واحتلالها، ويكفُّ عاصم عنه، ويضمن له أنْ يرتحل عنها بأمان[1]. ويقيم الحارث بقرية زرق على مقربة من المدينة، ثم يعود لمحاربة عاصم، ولا يتمكن من قهره والانتصار عليه[2].

وحمل نصر بن سيَّار الَّليثي في شعره على الحارث ومذهب المرجئة، إذ يقول فيه[3]:

دَعْ عنك دُنْيا وأهلاً أنت تاركهُمْ ... ما خيرُ دنيا وأهل لا يدومونا!
إلاَّ بقيّة أيام إلى أجلٍ ... فاطلب من الله أهلاً لا يموتونا!
أكثرْ تُقىً الله في الإسرار مجتهداً ... إنَّ التُّقىٰ خيرُهُ ما كان مكنُونا
واعلمْ بأنَّك بالأعمالِ مُرْتَهَنٌ ... فكُن لذاك كثير الهمِّ محزوناً

(١) تاريخ الطبري ٧: ٩٤-٩٨، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٣-١٨٤.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٠١.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ١٠٠.

إني أرىٰ الغَبن المُـودي بصـاحبـهِ ... من كان في هذه الأيام مغبـونـا[1]

تكـونُ للمـرء أطـواراً فتمـنحـهُ ... يومـاً عِثـاراً ويومـاً تمنـحُ اللّينـا

بينـا الفتى في نعيم العيشِ حوَّلـه ... دهـر فأمسى به عن ذاك مزبـونـا[2]

تحـلو له مرةً حتـى يُسَـرَّ بهـا ... حينـاً وتمقـرُهُ طعمـاً أحـايينـا[3]

هل غابـرٌ مِنْ بقـايا الـدَّهـر تنـظره ... إلَّا كمـا قد مضى فيمـا تقضُّـونـا[4]

فامنـح جهـادك مَنْ لم يرْجُ آخـرةً ... وكـن عدوّاً لقـوم لا يُصَـلُّونـا

واقتـلْ مُواليهُمْ منَّـا ونـاصِـرَهُمْ ... حينـاً تكـفِّـرهُـمْ والْـعَـنْـهُمْ حِينَـا

والـعـائـبينَ علينـا دينَنَـا وَهُـمُ ... شرُّ الـعبـاد إذا خابـرْتَـهُـمْ دينَـا

والـقـائـلين سبـيلُ الله بُغْـيَتُـنَـا ... لبُعْـدَ ما نكبـوُا عمَّـا يقـولـونـا[5]

فاقـتـلْهُـمُ غضبـاً لله منـتـصـراً ... منـهم به ودع المـرتـاب مفتـونـاً

إرجـاؤكُـمْ لزَّكُـمْ والشِّـرْكَ في قَرَنٍ ... فأنتمُ أهـلُ إشْـراكٍ ومُـرْجـونـا[6]

لا يبعـد الله في الأجـداثِ غيركُـمُ ... إذ كان دينكم بالشِّـرْك مقـرونـا[7]

ألـقىٰ به الله رعبـاً في نحـوركُـمُ ... والله يقـضـي لنـا الحُسْنىٰ ويعلينَـا

كيمـا نكـون المُـوالي عنـد خائفـةٍ ... عمَّـا تروم به الإسـلام والـدِّينـا

وهـل تعـيبـون منـا كاذبـين به ... غالٍ ومهتضمٍ حسبي الـذي فينـا

يأبىٰ الـذي كان يُبـلي الله أوَّلـكُـمْ ... علىٰ الـنِّـفـاق ومـا قد كان يُبْلِينَـا

---

(١) الغبن: ضعف الرأي، والمودي: المهلك، والمغبون: ضعيف الرأي والعقل والدين.

(٢) المزبون: المدفوع الممنوع.

(٣) تمقره: تجعله مرّاً.

(٤) الغابر: الباقي.

(٥) نكبوا: عدلوا ومالوا.

(٦) لزكم: شدكم وألصقكم. والقرن: الحبل الذي يقرن به بعيرك.

(٧) الأجداث: جمع جدث، وهو القبر.

فهو يُكَفِّرُ الحارث بن سُرَيْجٍ وأنصاره لأنهم اعتنقوا مذهب المرجئة، ويقرِّر أنهم مشْركون فارقوا جماعة المسلمين، لأنهم أخَّروا العمل عن الإيمان، وعطَّلوا الفروض والعبادات. ويحضُّه على الجهاد في سبيل الله، ونشر كلمة الله في الأرض، ومقاتلة الكفَّار الذين لا يؤمنون بالله، ولا يقيمون الصلاة، ويحاربون العرب المسلمين، ويحاولون دحرهم عن خراسان.

وهو يتَّهم الحارث بأنه من المرجئة الخالصة، ويزعم أنه كان يذهب الى أنَّ الطاعة ليست من الإيمان. وذلك وهم، لأن الحارث من مرجئة الجبرية الذين جعلوا العمل جزءاً من الإيمان، وأسَّسوا على ذلك موقفهم من سيرة بني أمية.

وربما كان نصر عالماً بمذهب الحارث، وأنه كان من مرجئة الجبرية، ولكنه أشاع أنه من المرجئة الخالصة مكراً به، وكيداً له، حتى يصرف أنصاره عنه، ويؤلِّبهم عليه، وحتى يمنع العرب بمروْ الشاهجان من الانضمام إليه، ويغريهم بالتَّصدِّي له.

وكانت خراسان تابعة لعامل العراق منذ الفتح إلى أيام هشام بن عبدالملك، ففصلها هشام عن عامل العراق، وجعلها خاضعة للخليفة بالشام. وفكر عاصم بن عبدالله الهلالي في جسامة الأمر الذي أُلقي على عاتقه، وفي ضخامة المشكلات المالية التي أثارت الموالي من أهل خراسان وما وراء نهر جيْحون، كما أثارت العرب بخراسان أيضاً، ودفعتهم إلى تأييد الموالي، وقدَّر أنْ يقترح على هشام بن عبدالملك أن يردَّ خراسان إلى عامل

العـراق، فكتب إليه[1]: «إنَّ خراسان لا تصلحُ إلَّا أنْ تُضمَّ إلى صاحب العراق، فتكون موادُّها ومنافعها ومعونتها في الأحداث والنوائب من قريب، لتبـاعـد أمير المؤمنين منها، وتباطؤ غياثه عنها». فعزل هشام عاصماً عن خراسان، وكتبَ إلى خالد بن عبدالله القسري عامل العراق أنْ يبعث أخاه أسداً والياً عليها، ليصلح ما أفسد الحارث من أمرها. وبلغ عاصماً أن أسداً قد أقبل «فصالح الحارث، وكتب بينه وبينه كتاباً على أن ينزل الحارث أيَّ كور خراسان شاء، وعلى أنْ يكتبا جميعاً إلى هشام يسألانه كتاب الله وسنَّة نبيّه، فإنْ أبىٰ اجتمعا جميعاً عليه[2]». ووافقه رؤساء القبائل من الأزد وتميم على ذلك، وختموا على الكتاب، إلَّا يحيى بن الحُضَيْن البكري، رئيس بكر، فإنه خالفه، وأبىٰ أنْ يختم، وقال: هذا خلْعٌ لأمير المؤمنين[3]، فلم يتم لعاصم والحارث ما أرادا من الانفصال عن الدولة، والاستقلال بخراسان.

وناصرت فرقة الزَّيْدية من الشيعة ثورة الحارث بن سريج التميمي على بني أمية بخراسان، وبعث الكميت بن زيد الأسدي الكوفي شاعر الزَّيْدية بهذا الشعر إلى أهل مرو الشاهجان[4]:

ألا أبْـلِغْ جمـاعـة أهـل مروٍ ... علىٰ ما كان مِنْ نأيٍ وبـعـد
رسـالـة ناصـح يهـدي سلامـاً ... ويأمـرُ في الـذي ركـبـوا بجـدِّ
وأبْـلِغْ حارثـاً عنَّـا اعـتـذاراً ... إلـيه بأنَّ مَنْ قبـلي بجـهْـدِ

(١) تاريخ الطبري ٧: ٩٩، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٦.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٠١، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٧.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ١٠١، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٧.
(٤) تاريخ الطبري ٧: ١٠٠.

ولــولا ذاك قدْ زارتــك خيلٌ مِنَ المصْــرَيْن بالفــرســانِ تَرْدي[1]
فلا تهــنــوا ولا ترضــوا بخــسفٍ ولا يغــرركُــم أســدٌ بعــهــدِ
وكــونــوا كالــبــغــايا إنْ خدعــتم وإنْ أقــررْتــم ضيمــا لوغــدِ[2]
وإلَّا فارفــعــوا الــرَّايات سُوداً على أهــل الــضَّــلالــة والتَّعــدي
فكيف وأنــتــم سبــعــون ألــفــاً رمــاكــم خالــد بشــبــيه قرد
ومَــنْ ولَّــىٰ بذمَّــتــه رزينــاً وشــيعــتــه ولــم يوف بعــهــد[3]
ومَــنْ غشَّى قضــاعــة ثوب خزي بقــتــل أبــي سلامــان بن سعــد
فمــهــلاً يا قُضَــاعَ فلا تكُــونــي تَوابِــعَ لا أُصُــولَ لهــا بِنَــجْــد[4]
وكــنــت إذا دعــوت بنــي نزار أتــاك الــدَّهــم مِنْ سبط وجَعْــدِ[5]
فجــدِّع مِنْ قضــاعــة كلَّ أنــفٍ ولا فازت على يوم بمــجــد[6]

فهو يَحُضُّ الحارث وأصحابه من مرجئة الجبرية ومِنْ أوىٰ إليه من العرب مِنْ أهل مرْو الشاهجان على المضيِّ في الثورة، والجدِّ في القتال، والاستبســال في النضــال حتى يقضي على بني أمية، ويقــوِّض دولتهم، ويخلِّص الناس من شرِّهم وظلمهم. ويعتذر إليه عن تخلُّف الزَّيْديَّة من أهل الكوفة والبصرة عن نجدته ومساندته، فهم محاصرون مطوَّقون قد سامهم خالد بن عبدالله القسري سوء العذاب، وأرهقهم من أمرهم عسراً. وما يزال

(١) تردي: تعدو رديانًا، وهو أن ترْجم الخيل الأرض بحوافرها في سيرها وعدوها.
(٢) الوغد: الدنيء.
(٣) ولَّى بذمته رزينا: أقبل عليه ورضي عنه. ورزين الذي ذكر كان خرج على خالد بن عبدالله القسري بالكوفة، فأعطاه الأمان، ثم لم يف به. (تاريخ الطبري ٧: ١٠٠).
(٤) يقال: هذا أصل وغيره توابع: أي له نسب ثاقب، وغيره ملحق به.
(٥) الدَّهم: العدد الكثير، والسبط: المسترسل الشعر، وهو كناية عن العجمة، لأن سبوطة الشعر هي الغالبة على شعور العجم من الروم والفرس. والجعد: قصير الشعر، وهو كناية عن العروبة، لأن جعودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب، يريد مولاهم وصريحهم.
(٦) جدع: قطع.

به يحمِّسه ويبعث الأمل في نفسه، ويربط على قلبه، فقد تكاثف مؤيِّدوه، وأصبحوا جيشاً جراراً يبلغ سبعين ألفاً، واقترب يوم النَّصر. ويحذِّره أنْ يجنح إلى مسالمة أسد بن عبدالله القسري ومفاوضته، وأنْ يطمئن إلى وعوده ومواثيقه، ويخوّفه غدره وخيانته، فهو كأخيه خالد ينقُضُ العهدَ ولا يفي به.

وكان الكميت يتوخَّىٰ من هذا الشعر أن يشغل خالداً بثورة مرجئة الجبرية في خراسان، حتى يحول بينه وبين ملاحقة الزَّيْدية والشيعة في العراق، ويخفِّف وطأته عليهم، وحتىٰ يُهَيِّئَ لهم الفرصة للانتفاض على بني أمية والإدالة منهم(١).

وليس ببعيد أنْ يكون الكميت قد خدع برايات الحارث السُّود، ومناداته بالبيعة للرِّضا، فتوهَّم أنه يريد أن يرجع الخلافة إلى العلويين! وتدل هاشمياته على أنه كان غافلاً عما يدبِّرُ له العباسيون في هذه المرحلة من تاريخ دعوتهم، إذ خُيِّل إليه أنهم وأبناء عمومتهم من العلويين حزبٌ واحد، وأنهم يسعون لردِّ الخلافة إلى العلويين(٢)! وقد اغترَّ غيره من شعراء الزيديَّة من مخضرمي الدولتين برايات العباسيين السُّود، ودعوتهم إلى البيعة للرِّضا من آل محمد(٣)، فظنّوا أيضاً أنهم يعملون لإعادة الخلافة إلى العلويين(٤)!

وقدم أسد بن عبدالله القسري خراسان وما يملك عاصم بن عبدالله الهلالي منها إلاَّ مرو الشَّاهجان وناحية نيسابور، فحبس عاصماً لأنه وافق الحارث على خلع الخليفة إن لم يعمل بالكتاب والسُّنَّة، وأخرج عمال

---

(١) انظر التطور والتجديد في الشعر الأموي ص: ٢٧١-٢٧٢.
(٢) هاشميات الكميث ص: ١١٨
(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٨٠، وأخبار الدولة العباسية ص: ٢٨٧، والكامل في التاريخ ٥: ٣٨٠.
(٤) انظر الشعراء من مخضرمي الدولتين ص: ٢٠٣ - ٢٠٦.

الجُنَيْد بن عبدالرحمن المري القيسيين من السجن، وسوَّى بين اليمانية والرَّبعية والمضرية في الوظائف العسكرية، وتخلَّىٰ عن العصبية القبلية[1].

ثم أخذ يتأهَّب لمناجزة الحارث وقادته الذين استولوا على أكثر مدن خراسان ومدن ما وراء نهر جيحون، ولم يلبث أنْ أرْسل عبدالرحمن بن نعيم الغامدي في أهل الكوفة وأهل الشام إلى الحارث بمرو الرُّوذ، وسار هو إلى خالد بن عبدالله الهجري بآمل، فهزم طلائع المتمردين من أهلها، وألجأهم إلى المدينة، ثم حصرهم، ونصب عليهم المجانيق، فاستسلموا له على أن يعمل بالكتاب والسُّنةِ، وأنْ لا يأخذ أهل المدن بجنايتهم، وولَّى عليهم يحيى بن نعيم الشيباني. ثم توجَّه إلى بلخ، فنزلها، واتخذ منها سفناً، وقصد التِّرمذ، فوجد الحارث يحاصر سناناً الأعرابي السُّلمي بها، ومع الحارث السَّبل ملك الخُتَّل، فعسكر دون النهر، ولم يطق العبور إلى أهل الترمذ، ولا أنْ يمدَّهم فرجع إلى بلخ. وكان بشر بن جرموز الضبيُّ وأبو فاطمة الأزدي ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب التِّرمذ، فيبكون ويشكون بني مروان وجوْرهم، ويسألونهم النزول إليهم على أن يمالئوهم على حرب بني مروان، فيأبون عليهم. فأخفق الحارث في فتحها واحتلالها، وتركه السَّبل وأتىٰ بلاده، وجعل أنصاره يتفرَّقون عنه. ثم خرج إليه أهل التِّرمذ فهزموه وقتلوا عدداً من رؤوس أصحابه وأهل البصائر منهم، فارتحل عنها إلى طخارستان، واستقرّ بها[2].

ثم فصل أسدٌ من بلخ إلى سمرقند، فلما وصل إلى زمَّ على نهر جيحون، بعث إلى الهيثم الشيباني، وهو من أصحاب الحارث، وكان

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٠٤، ومعجم الشعراء ص: ١١٨، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٨.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٠٥ ـ ١٠٦، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٨.

معتصماً بحصن من حصونها، فقال له: إنكم إنما أنكرتم على قومكم من بني أمية سوء سيرتهم، ولم يبلغ ذلك السَّبْي، ولا استحلال الفروج، ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند، ورغَّبه في الطاعة، ورهَّبه من المعصية، فخرج الهيثم إليه، فآمنه، وسار معه إلى سمرقند، فأعطى أهلها عطاءين، ثم ارتفع إلى ورغسر، وماء سمرقند منها، فَسَدَّ الوادي، وصرفه عن سمرقند[1]. ثم رجع إلى بلخ، وسيَّر منها جديع بن علي الكرماني الأزدي إلى الحارث بقلعة التَّبُوشكان من طخارستان العليا، وكان الحارث نزلها، ولاذ بأصهاره من بني بَرْزَى التَّغلبيين، فحصرهم الكرماني حتى فتحها، فقتل مقاتلتهم، وقتل بني بَرْزَى، وسبى عامة أهلها من العرب والموالي والذراري، وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ[2].

واتَّخذ أسدٌ بلخ داراً ومقراً في سنة ثماني عشرة، ونقل الدواوين إليها، وغزا طخارستان ففتح وأصاب سبياً[3]. ثم أغار في السنة التالية على الخُتَّل بشاطىء نهر جيحون الشرقي، مقابل بلخ، فاسْتَغاثَ أميرها بخاقان الترك، فأغاثه، فأرسل أمير الخُتَّل إلى أسد يعلمه بقدوم خاقان، وينصح له بمغادرة بلاده لئلا يوقع التُّرك به، فاستجاب أسدٌ له بعد تردُّد، وقدَّم الأثقال، فقطعت النهر، ولكن خاقان أدرك من تأخَّر منهم، فقاتلهم، ثم عبر النهر إلى الضفة الغربية، وهاجم مقدِّمتهم التي نزلت بالأثقال في بطن وادٍ، ونجا أسدٌ ومَنْ معه مِنَ المقاتلة بمشقة بالغة[4].

وعسكر خاقان بطخارستان، وكان الحارث ما يزال بها، فانضمَّ إلى

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٠٦-١٠٧، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٩.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٠٩، والكامل في التاريخ ٥: ١٩٧.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ١١١، والكامل في التاريخ ٥: ١٩٨.
(٤) تاريخ الطبري ٧: ١١٣-١١٩، والكامل في التاريخ ٥: ٢٠٠-١٠٢.

خاقان، ثم زحفا إلى الجوزجان، فأجلى أسدٌ العرب منها، وأنزلهم ببلخ، وقاد بنفسه جيشاً كبيراً من أهل فلسطين وقنسرين، وحمص، ودمشق، ومن الأزد، وتميم، وربيعة من أهل خراسان، ومن أهل الجوزجان، وقارع خاقان في مواقع كثيرةٍ، وظل يقارعه حتى هزمه هزيمةً منكرةً، وسبى وغنم. ولبث خاقان بفلوله في طخارستان زمناً، ثم رجع إلى بلاده، ورحل معه الحارث. وبعد رجوعه اغتاله أحد اعوانه، فاختلفت الترك وتشتّت، وعاد أسدٌ إلى بلخ[1]. فضعف جانب الحارث، وأقام ببلاد الترك حتى توفي أسد سنة عشرين ومائة.

ثم وَلِيَ نصر بن سيار الَّليثي خراسان، فاستهلَّ ولايته بمقاتلة الترك، إذ غزا ما وراء نهر جيحون من جهة باب الحديد، ثم قصد سمرقند، ثم سار منها إلى الشاش، فمنعه كور صول التركي، والحارث بن سريج التميمي من قطوع نهر الشاش، وكان مع نصر جيش كبير من القبائل الخمس بخراسان، ومن أهل الشام، وكان معه أهل بخارى وسمرقند وكسَّ وأشروسنة، وهم عشرون ألفاً، فظهر على كور صول التركي وأسره، ثم قتله وصلبه وأحرقه. وسار إلى الشاش، فاعترض الحارث طريقه، ونصب المجانيق على جيشه، فكانت تلقاء بني تميم، فنقلها فنصبها على الأزد أو على بكر بن وائل، ورماهم بها. ولكنه أقلع بعد حين عن مجابهة نصر نفوراً من مقاتلة جنده من تميم، وصيانة لدمائهم، وحماية لحياتهم، فهم والحارث أبناء قبيلة واحدة، وهم جميعاً أهل حميّة لأنفسهم، وعصبيّة على أعدائهم. فسهل ذلك الأمر على نصر، وأتاح له اجتياز النهر، فتلقَّاه ملك الشاش بالصُّلح والهدية والرُّهن، وكان من شروط الصلح أنْ يخرج الحارث من بلده، فأخرجه إلى

(١) تاريخ الطبري ٧: ١١٩-١٢٥، والكامل في التاريخ ٥: ٢٠٣-٢٠٥.

فاراب وراء نهر سيحون. ومضى نصر إلى فرغانه، فصالحه صاحبها، ثم عاد نصر إلى مرو الشاهجان[1].

وأخذ الحارث يشيع في أنصاره من العرب والموالي أنه المهديُّ الذي بعثه الله لإنقاذ المضطهدين وإنصاف المظلومين[2]. ومن المحتمل أنه وضع حديثاً في ذلك تأكيداً لزعمه، وتوطيداً لدعوته، وهو حديث مشهور رواه أبو داود فقال: [3] «يخرج رجل وراء النهر يقال له الحارث، حرَّاثٌ على مقدِّمته رجل يقال له: منصور، يوطِّىء أو يمكِّن لآل محمدٍ كما مكَّنت قريش لرسول الله ﷺ، وجب على كل نصره».

ولبث الحارث في منفاه بفاراب ستَّ سنين، حتى إذا وقعت الفتنة بين اليمانية والربعية وبين المضرَّبة بمرو الشاهجان سنة ستٍّ وعشرين ومائةٍ، واندلعت الحرب بينهم، وجعل بعضهم يفني بعضاً، خاف نصر أنْ يستغل الحارث اضطراب الأمر بخراسان، فيهجم عليه بأنصاره من العرب والموالي ومن التُّرك، فيزيده ضعفاً على ضعف، بعد أنْ نابذه جُدَيْعُ[4] بن علي الكرماني رئيس الأزد، وثار عليه، فقرَّر أنْ يؤمن الحارث، وطمع في مناصحته ومساعدته على خصومه من اليمانية وحلفائهم من الربعية. فأرسل إليه وفداً ليردُّوه عن بلاد الترك، وبعث إلى يزيد بن الوليد بن عبدالملك يسأله أن يعفو عنه ويؤمِّنه. فأجابه إلى ما سأل، وكتب إلى الحارث كتاباً بذلك، يقول فيه: «أما بعد، فإنا غضبنا لله، إذ عطّلت حدوده، وبُلِغَ بعباده

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٧٣-١٧٨، والكامل في التاريخ ٥: ٢٣٦-٢٣٩.

(٢) السيادة العربية ص: ٦٢، ١٢٧.

(٣) سنن أبي داود ٤: ٤٧٧، وكتاب النهاية أو الفتن والملاحم ١: ٢٨، وتاريخ ابن خلدون ١: ٥٥٩، ومختصر تذكرة القرطبي ص: ١٣٣.

(٤) انظر ضبط اسمه في الاشتقاق ص: ٥٠٢، وجمهرة أنساب العرب ص: ٣٨١.

كل مبلغ، وسفكت الدماء بغير حلِّها، وأُخذت الأموال بعير حقِّها، فأردنا أن نعمل في هذه الأمة بكتاب الله جلَّ وعزَّ، وسُنَّة نبيِّه ﷺ، ولا قوَّة إلا بالله، فقد أوضحنا لك عن ذات أنفسنا، فأقبل آمناً أنت ومن معك، فإنكم إخواننا وأعواننا. وقد كتبت إلى عبدالله بن عمر عبدالعزيز بردّ ما كان اصطفى من أموالكم وذراريكم»[1].

ووافىٰ الحارث مرو الشاهجان لثلاث بقين من جمادىٰ الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة، فاستقبله نصر، وبالغ في ملاطفته والاحتفاء به، «فأنزله قصر بخاراخذاه، وأجرى عليه نزلاً خمسين درهماً في كل يوم، . . . وأطلق من كان عنده من أهله، أطلق محمد بن الحارث، والألوف بنت الحارث، وأم بكر»[2]. وأرسلت إليه امرأة نصر لباساً من فراء ثمين ليستدفىء به من البرد، فباعه بأربعة آلاف دينار، وقسمها في أصحابه بالسَّويَّة»[3]. وكان يجلس على برذعة وتثنى له وسادة غليظة. وعرض نصر عليه أن يولِّيه ويعطيه مائة ألف دينار، فلم يقبل، وأرسل إلى نصر: «إني لست من هذه الدنيا، ولا من هذه الملذات، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء، وإنما أسأل كتاب الله عزَّ وجلَّ، والعمل بالسُّنَّة، واستعمال أهل الخير والفضل، فإن فعلت ساعدتك على عدوِّك»[4]. وأرسل إلى الكرماني: «إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله، وما سألته من استعمال أهل الخير والفضل عضدته وقمت بأمر الله، وإن لم يفعل استعنت بالله عليه، وأعنتك إن ضمنت لي ما أريد من

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٢٩٣-٢٩٤، والكامل في التاريخ ٥: ٣٠٧-٣٠٨.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٢٧.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٩.

(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٢٨، وانظر البداية والنهاية ١٠: ٢٦.

القيام بالعدل والسُّنَّة»[1].

وكان الحارث كلما دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه، فبايعه نفر من سادتهم، فيهم بشر بن جرموز الضَّبيُّ، وانضم إليه ثلاثة آلاف من أهل مرو الشاهجان[2]. وظلّ يناوىء نصراً، ويأبى أن يدخل في طاعته كلما سأله ذلك. ويقول له: «خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور، وأنت تريدني عليه»!

فلمّا توفِّي يزيد بن الوليد بن عبدالملك، واستخلف مروان بن محمد، وبايع نصر له، توجَّس الحارث ريبة، وخشي أنْ يغدر به، فقال لنصر: إنما آمنني يزيد بن الوليد، ومروان لا يجيز أمان يزيد، فلا آمنة. فدعاه نصر إلى البيعة فامتنع. وكان نصر حريصاً على اكتساب مودة الحارث، مخلصاً في السَّعي لاستمالته إليه، حتى لا تتصدَّع صفوف بني تميم، ولا تختلف كلمتهم، وهم أكثر المضرية عدداً، وأشدهم بأساً، وهم سند نصر، وأقوى مؤيِّديه الذين يعتمد عليهم في مقاومة خصومه من اليمانية والربعية. فسفر بينهما السفراء من سادة بني تميم، وألحُّوا على الحارث أن يتابع عشيرته في مؤازرة نصر، وأن لا يفارق أمرها، ولا يشتت جماعتها، فلم يوافقهم على ما أرادوا، وقال لهم[3]: «اني لأرى في يد الكرماني ولايةً، والأمر في يد نصر».

ثم خرج الحارث إلى حائط، بإزاء القصر الذي كان ينزل به فعسكر، وقال لنصر: «اجعل الأمر شورى»، فأبى، فانتقل الحارث إلى دور أصحابه

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٢٨.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٠٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٢٨.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٠.

فتحصَّن بهـا، وكتب سيرته وما يدعو إليه، وأمر دعاته أن يقرأوها للناس، فقرأوها، فلما سمعوها انضافوا إليه، فكثر من معه ومن تبعه[1].

وكان الحارث يظهر أنه صاحب الرايات السُّود، فأرسل إليه نصر: «إن كنت كما تزعم، وأنكم تهدمون سور دمشق، وتزيلون أمر بني أمية، فخذ مني خمسمائة رأس، ومائتي بعير، واحمل من الأموال ما شئت، وآلة الحرب وسِرْ، فلعمري لئن كنت صاحب ما ذكرت إني لفي يدك. وإن كنت لست ذلك، فقد أهلكت عشيرتك! فقال الحارث: قد علمت أنَّ هذا حقٌّ، ولكن لا يبايعني عليه من صحبني. فقال نصر: فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك، ولا لهم مثل بصيرتك، وأنهم هم فسّاق ورعاع، فاذكر الله في عشرين ألفاً من ربيعة واليمن سيهلكون فيما بينكم، وعرض نصر على الحارث أن يولِّيه ما وراء النهر، ويعطيه ثلاثمائة ألف، فلم يقبل. فقال له نصر: فإن شئت فابدأ بالكرماني، فإن قتلته فأنا في طاعتك، وإن شئت فخلِّ بيني وبينه، فإن ظفرت به رأيت رأيك، وإن شئت فسر بأصحابك، فإذا جزت الرَّيَّ فأنا في طاعتك»[2].

ولم يزل الحارث ونصر يتراسلان على ما بينهما من تباعد في الرأي، واختلاف في الغاية حتى اتّفقا على أن ينتخبا رجالاً يسمُّون لهما قوماً يعملون بكتاب الله. فاختار نصر مقاتل بن سليمان البلخي، ومقاتل بن حيان النبطي البلخي، واختار الحارث المغيرة بن شعبة الجهضمي، ومعاذ بن جبلة. وأمر نصر كاتبه أنْ يكتب ما يرضونْ من السُّنن، وما يختارونه من العمَّال، فيولِّيهم الثَّغرين: ثغر سمرقند، وثغر طخارستان، ويكتب إلى مَنْ عليهما ما يرضونه

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٠، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٢.
(٢) تاريخ الطبري ٣٣١٠٧، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٣، والبداية والنهاية ١٠: ٢٦.

من السَّير والسُّنن[1].

ثم تناظر الحارث ونصر، فتراضيا أنْ يحكم بينهم مقاتل بن حيان، وجَهَم بن صفوان، فحكما بأن يعتزل نصر، ويكون الأمر شورى، فلم يقبل نصر[2]. فخالفه الحارث، وأمر أن تقرأ سيرته في الأسواق والمساجد، فقرئت، فانضم إليه خلقٌ كثيرٌ، وقرأها رجلٌ على باب نصر، فضربه غلمان نصر، فنابذه الحارث، وأعلن أنه عزم على محاربته، ثم اقتحم مرو الشاهجان، واستولى على بعض أحيائها، وأرسل إلى نصر: «إنا لا نرضى بك إماماً، فأرسل إليه نصر: كيف يكون لك عقلٌ، وقد أفنيت عمرك في أرض الشِّرك، وغزوت المسلمين بالمشركين! أتراني اتضرَّع إليك أكثر مما تضرَّعت»! ثم ناجزه قادة نصر، فاستردُّوا ما استولى عليه، وهزموه، وأسروا بعض دعاته فقتلوهم[3]. فتحوّل الحارث إلى الكرماني، فبايعه، وقاتل معه المضريَّة حتى سيطر على أكثر نواحي مرو الشَّاهجان[4].

وعندما تقهقر المضرية وانكسروا أخذت الحارث العزَّة بالعصبية القبلية لقومه من بني تميم، فعدل عن مظاهرة الكرماني ومساعدته على نصر والمضرية، وأرسل إلى نصر: «إنَّ اليمانية يُعَيِّرونني بانهزامكم، وأنا كاف، فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرماني، فبعث إليه نصر يزيد النّحوْي يتوثَّق منه أنْ يفي له بما أعطاه من الكفِّ. ويقال: إنما كفَّ الحارثَ عن قتال نصر أنَّ عمران بن الفضل الأزدي وأهل بيته، وعبدالجبار العدوي، وخالد بن عبيد الله بن حبيب العدوي، وعامة أصحابه نقموا على الكرماني فعله بأهل

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٣١، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٢.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٣١، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٣، والبداية والنهاية ١٠: ٢٦.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٤-٣٣٥، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٤، والبداية والنهاية ١٠: ٢٦.
(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٦، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٤.

التَّبوشكان، وذلك أنَّ أسداً وجَّهه إليهم، فنزلوا على حكم أسد، فبقر بطون خمسين رجلا، وألقاهم في نهر بلخ، وقطع أيدي ثلاثمائة منهم وأرجلهم، وصلب ثلاثة، وباع أثقالهم فيمن يزيد، فنقموا على الحارث عونه الكرماني، وقتاله نصراً»[1].

ولكن نصراً عزم على الرَّحيل عن مروالشاهجان، لأنه استنتج أنَّ مضر لا تجتمع له ما كان الحارث مع الكرماني، فتنحَّى عنها إلى نيسابور، وأخذ ينتظر أنْ يختلف الحارث والكرماني ويتنازعا، وأنْ يفتك أحدهما بالآخر. فخلصت المدينة للكرماني، فدمَّر منازل المضرية، وسلب أموالهم، فأنكر الحارث عليه هدم الدور، وانتهاب الأموال، فهمَّ الكرماني به، ثم تركه[2].

وكان بشر بن جرموز الضَّبيُّ أكبر أنصار الحارث، فعاب مساندته للكرماني، وتورُّطه في العصبية القبلية، وغفلته عن مبادىء مرجئة الجبرية، وما يبتغون من العمل بكتاب الله وسنَّة نبيِّه، وانشقَّ عنه، وقال له: [3] «إنما قاتلت معك طلبَ العدل، فأما إذ كنت مع الكرماني، فقد علمتُ أنك تقاتل ليقال: غلب الحارث! وهؤلاء يقاتلون عصبية، فلست مقاتلاً معك! واعتزل في خمسة آلاف وخمسمائة، ويقال: في أربعة آلاف، وقال: نحن الفئة العادلة، ندعوا إلى الحقِّ، ولا تقاتل إلاَّ مَنْ يقاتلنا».

فتزعزع موقف الحارث، فأتى الكرماني فدعاه إلى أنْ يكون الأمر شورى، فأبى، ثم سار الكرماني إلى بشر بن جرموز الضَّبيِّ خارج المدينة، فعسكر الحارث مع الكرماني، وصمَّم الكرمانيُّ على قتال بشر، فنهاه

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٧، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٢.
(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٥.
(٣) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٥.

الحارث، وندم على اتِّباعه، وقال له: لا تعجل إلى قتالهم، فإني أردُّهم إليك، وخرج إلى عسكر بشر، فأقام معهم، وقال لهم: ما كنت لأُقاتلكم مع اليمانية! وجعل المضريون ينسلون من عسكر الكرماني إلى الحارث، حتى لم يبق معه منهم غير رجلين اتَّهما الحارث بالغدر. فقاتل الكرماني بِشْرَ بن جرموز الضبيَّ مراراً، فلم ينتصر عليه. فارتحل الحارث فنقب سور مرو الشاهجان ودخلها، وتبعه الكرماني فدخلها أيضاً. وترجَّل الحارث على كره منه، فافتتل المضرية والكرماني، فقتل الحارث وأخوه، وبِشْرَ بن جرموز الضبيُّ، وعدة من فرسان تميم، وانهزم الباقون، وصلب الحارث على باب المدينة يوم الأحد لستٍ بقين من رجب سنة ثمان وعشرين ومائة[1]. واحتاط الكرماني على حواصله وأمواله، وأخذ أموال من خرج معه[2]. وصفت المدينة لليمانية، فهدموا دور المضرية، وتسلَّطوا عليهم وأهانوهم واستعبدوهم.

وبذلك أخفقت أكبر ثورة لمرجئة الجبرية بخراسان، وصرع زعيمها، وجماعة من دعاتها وقادتها، وطائفة من جنودها وحماتها[3]. وما كان لها أنْ تنجح، لأن نصر بن سيَّار الَّليثي آخر ولاة بني أمية على خراسان حاول أنْ ينهي المنافسة بين القبائل العربية في الوظائف السياسية، والفوائد المادية، وكانت أهم الأسباب التي أدَّت إلى افتراقها وتصادمها، فقد عزف عن العصبية القبلية بعد أربع سنوات من ولايته، ونزع عن التَّحيُّز للمضرية ومحاباتهم، والتَّحزُّب على اليمانية واضطهادهم، وأشرك جميع القبائل في الحكم، وقسم فيها المناصب، وسوَّى بينها في الحقوق، ووزَّع عليها

(١) تاريخ الطبري ٧: ٣٤١، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٦.

(٢) البداية والنهاية ١٠: ٢٧.

(٣) ذكر ابن كثير أنه قتل مائة من أصحاب الحارث. (انظر البداية والنهاية ١٠: ٢٧).

المنافع[1]. وكان قد افتتح ولايته بحلِّ المشكلات المالية المستفحلة التي كان الموالي يعانون منها، وكانت أقوى الدوافع التي حملتهم على التبرُّم والتَّسخُّط والثورة، فرفع الجزية عمن أسلم منهم، وحوَّلها إلى أهل الذِّمة، ثم صنَّف الخراج حتى وضعه مواضعه، ثم وظَّف الوظيفة التي جرى عليها الصُّلح[2]. فاستقامت أحوال الموالي وحسنت وانتعشت، وقلَّ تضجُّرهم وتمرُّدهم. ولذلك كانت استجابتهم لدعوة الحارث ضعيفة فاترة، فلم يؤيدوه حين خرج على نصر بن سيَّار اللَّيثي كما أيدوه حين خرج على عاصم بن عبدالله الهلالي، بل ابتعد أكثرهم عنه، ولزموا الحيدة.

وأفضى بها إلى الإخفاق اشتعال العصبية القبلية بخراسان في آخر ولاية نصر، وقد اجتهد الحارث أنْ يستفيد منها، فتنقّل بين اليمانية والمضرية، واستغل اختلافهم وتنازعهم، فالتحق بالكرماني، وآزر اليمانية، وخاصم قومه من المضرية، ثم كبر عليه أن يقاتل قومه مع الكرماني، فانفصل عنه، وحاربه مع المضرية. وبذلك انحرف عن تعاليم مرجئة الجبرية وأهدافهم، وشغل عنها، وظل يمالىء قومه، ويتعصَّب لهم، حتى لقي حتفه وهو يناضل عنهم! ونجم عن ذلك تفرُّق أنصاره، وانفضاضهم من حوله، ولومهم له، وتنديدهم به. ونجم عنه أيضاً انصراف كثير من العرب والموالي عن الإيمان بدعوته، والانضمام إليه، والقتال معه!! وكان الموالي خاصةً في ريب مما يدعو إليه، لأنهم أبصروا التناقض بين قوله وعمله، فقد كان يرفع الشعارات الإسلامية، ويمنّي بتطبيقها، وكان يخضع للعصبية القبلية، وينهمك فيها، ولا ينجو من سلطانها، ولا يتخلَّص من تأثيرها،

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ١٥٧، ٢٧٨، والكامل في التاريخ ٥: ٢٢٧، ٢٩٨.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ١٧٣، والكامل في التاريخ ٥: ٢٣٦.

فكـانت دعوته دون ما يرجون من التغيير والإصلاح، فأحجموا عن اعتناق مقالته، وأعرضوا عن الانتظام في ثورته، وتخلَّفوا عن نصرته!

وانتهى بهـا إلى الإخفاق أيضاً أنَّ دعاة بني العباس كـانـوا وردوا خراسان منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً، فقد انبثُّوا في مدنها وقراها سنة مائة، وأخذوا يؤلِّبون الناس على بني أمية، ويبشِّرون بحكومة إسلامية، ويدّعون للرِّضـا من آل محمـدٍ. فاستهـووا بأفكـارهم الإسـلامية العـرب والموالي المتـذمِّرين النَّاقمين وتألَّفوهم، ثم اجتذبوهم إلى صفوفهم واستوعبوهم. وكانت الدعوة العباسية في آخر مراحلها السريَّة حين عاد الحارث بن سريج التميمي إلى مرو الشاهجان، وكان شيعتها مؤمنين بمبادئها إيماناً عميقاً، وكانوا مرتَّبين ترتيباً دقيقاً[1]. وكانت شعارات الحارث ورايـاته تشبه شعارات بني العبـاس ورايـاتهم، فلم يكن فيها أفكار جديدة سديدة تغري بالإقبال عليها والتَّحوُّل إليها إلاَّ مناداته بأن يكون الأمر شورى بين المسلمين. وكانت دعوته أقل من دعوتهم في التنظيم والإحكام، فثبَّط ذلك الناس عن الاعتقاد بهـا والـدِّفاع عنها. ولكن تشتُّت أفكاره وتضاربها، وتذبذبه بين المبادىء الإسـلامية والعصبية القبلية زاد من تعلُّقهم بدعوة بني العباس، وإيمانهم بها، وإخلاصهم لها، فلم يكترثوا لدعوته وثورته، ولم يعبأوا بمصيره ونهايته. ومضى دعـاة بني العبـاس وقـادتهم يتربَّصون به، وينتفعون بانغماسه في العصبيَّة القبليَّة، وتمـزيقـه لوحـدة العـرب، وإنهـاكه لقوتهم، واستهلاكه لطاقتهم، ومعاداته لبني أمية، ومناهضته لعاملهم على خراسان، حتى يحين الوقت لإعلان ثورتهم، وتأسيس دولتهم!

(١) انظر في الدعوة العباسية العصر العباسي الأول للدكتور عبدالعزيز الدوري ص: ٢٠، والعباسيون الأوائـل للدكتور فاروق عمر ص: ٣٣، والعصر العباسي الأول للدكتور شوقي ضيف ص: ٩، والشعراء من مخضرمي الدولتين ص: ٧٩.

وقد تبيّن نصر بن سيَّار الَّليثيُّ وأَحَدُ خاصَّته ممن لهم صلة بدعاة بني العباس أنَّ ثورة الحارث مهَّدت السبيل لانتهاء الدولة الأموية، وابتداء الدولة العباسية، قال أبو جعفر عيسى بن جرز[1] لنصر حين وفد إلى نيسابور، وعاتب مَنْ بها من اليمانية على ما صنع الكرماني، ولامَهُ اليمانية على تقديمه للمضرية[2]: «أيها الأمير، حسبك من هذه الأمور والولاية، فإنه قد أطلَّ أمر عظيم، سيقوم رجل مجهول النَّسب، يظهر السَّواد، ويدعو إلى دولة، فيغلب على الأمر وأنتم تنظرون وتضطربون! فقال نصر: ما أشبه أنْ يكون، لقلَّة الوفاء، واستجراح[3] الناس، وسوء ذات البين، وجّهتُ إلى الحارث وهو بأرض التُّرك، فعرضت عليه الولاية والأموال فأبى وشغب، وظاهر علي. فقال أبو جعفر عيسى: إن الحارث مقتول مصلوب، وما الكرماني من ذلك ببعيد»!

وقال نصر يعبّر عن فرحته ومسرَّته بقتل الحارث وصلبه، لأنه انحاز إلى اليمانية، وأساء إلى العرب، وأضرَّ بهم، ومكَّن اليمانية من قهر المضرية، وهم عدَّة الدولة الأموية وسندها في آخر عهدها[4]:

يامدخل الذُّلِّ على قومه ... بعداً وسحقاً لك من هالك
شُؤْمك أرْدى مُضَرَاً كلَّها ... وعضَّ مِنْ قومك بالحارك[5]
ما كانت الأزد وأشياعها ... تطمع في عمرو ولا مالك[6]

---

(١) هو من أهل قرية على نهر مرو. (انظر تاريخ الطبري ٧: ٢٣٨).
(٢) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٨، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٥.
(٣) استجرح: استحق أن يجرح.
(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣٤٢، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٦، والبداية والنهاية ١٠: ٢٧.
(٥) عض: كسر. والحارك: أعلى الكاهل.
(٦) بنو عمرو ومالك وسعد من عشائر بني تميم الكبيرة القوية.

ولا بنـي سعـد إذا ألْـجَـمُـوا كلَّ طمـرٍ لونـه حالـك[1]

ومن مرجئة الجبرية بخراسان في العصر الأموي إبراهيم بن طهمان الهرويُّ النِّيسابوريُّ البغداديُّ ثم المكيُّ المتوفى سنة ثلاث وستين ومائة[2]، وهـو من كبـار رجـالهم[3]. قال أبو الصَّلْت عبدالسلام بن صالح القرشي الهروي[4]: سمعت سفيان بن عينية يقول[5]: «ما قدم علينا خراساني أفضل من أبي رجاء عبدالله بن واقد الهروي. قلت له: فإبراهيم بن طهمان؟ قال: كان ذاك مرجئاً. قال أبو الصلت: لم يكن إرجاؤهم هذا المذهب الخبيث: أنَّ الإيمان قول بلا عمل، وأنَّ ترك العمل لا يضرّ بالإيمان، بل كان إرجاؤهم أنهم كانوا يرجون لأهل الكبائر الغفران، ردّاً على الخوارج وغيرهم الذين يكفِّـرون النـاس بالـذُّنوب، فكانوا يرجون، ولا يكفّرون بالذّنوب، ونحن كذلك». وقال ابن حجر العسقلاني[6]: «لم يثبت غلوّه في الإرجاء، ولا كان داعية إليه». وكان شديداً على الجهميّة المعطّلة[7]، وقد نقل أهل سرخس من قول جهم بن صفوان مولى بني راسب إلى الإرجاء[8].

---

(١) الطمر: الفرس الجواد المستفز للوثب المستعد للعدو.

(٢) انـظر ترجمتـه في طبقـات خليفـة بن خياط ص: ٨٣٥، والتاريخ الكبير ١ : ١ : ٢٩٤، والجرح والتعـديـل ١ : ١ : ١٠٧، وتاريخ بغداد ٦ : ١٠٥، والكامل في التاريخ ٦ : ٦٢، وميزان الاعتدال ١ : ٣٨، والبـدايـة والنهـاية ١٠ : ١٤٦، وتهذيب التهذيب ١ : ١٢٩، وتقريب التهذيب ١ : ٣٦، وشذرات الذهب ١ : ٢٥٧.

(٣) تاريـخ بغـداد ٦ : ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، وميـزان الاعتـدال ١ : ٣٨، وتهـذيب التهـذيب ١ : ١٣٠، وتقريب التهذيب ١ : ٣٦، وشذرات الذهب ١ : ٢٥٧.

(٤) ذكر ابن حجر العسقلاني عن شيوخه أنه روى حديث: «الإيمان إقرار بالقول»، وهو متّهم بوضعه، لم يحدث به إلاّ من سرقه منه، فهو الابتداء في هـذا الحديث». (انظر تهذيب التهذيب ٦ : ٣٢١).

(٥) تاريخ بغداد ٦ : ١٠٩.

(٦) تهذيب التهذيب ١ : ١٣١، وانظر تاريخ بغداد ٦ : ١١٠، وتقريب التهذيب ١ : ٣٦.

(٧) تاريخ بغداد ٦ : ١٠٨، وميزان الاعتدال ١ : ٣٨، وتهذيب التهذيب ١ : ١٣٠.

(٨) تاريخ بغداد ٦ : ١٠٧، ١٠٩.

ومنهم أبو حمزة محمد بن ميمون السُّكريُّ[1] المروزيُّ المتوفي سنة ثمان وستين ومائة أو قبلها[2]، قال ابن سعد[3]: «كان قديماً»، يريد أنه كان من المعمّرين، عاش في الدولة الأموية زمناً طويلاً، وعاش في الدولة العباسية حوالي خمسة وثلاثين عاماً. وقال أبو حاتم الرازي[4]: «شيخان من خراسان مرجئان ثقتان أبو حمزة السكري وإبراهيم بن طهمان».

وكان يؤمّل الصّفح والعفو عن أهل الكبائر والمعاصي[5]، ولا يفصل بين العمل والإيمان، وكان شيخ بلده في الحديث والفضل والعبادة[6]. وقد التبس أمره على بعض العلماء من أهل بلده، فظنُّوا أنه من الجماعة، وعدّوه من السّلف الصالح، ونفوا أن يكون من المرجئة، قال علي بن الحسن بن شقيق المروزيّ[7]: «سئل عبدالله بن المبارك عن الأئمة الذين يقتدىٰ بهم؟ فذكر أبا بكر وعمر حتى انتهى إلى أبي حمزة، وأبو حمزة حيٌّ». وقال يحيى بن أكثم التميمي المروزي[8]: «سئل ابن المبارك عن الاتباع؟ فقال: الاتباع ما كان عليه حسين بن واقد، وأبو حمزة». وقال علي بن الحسن بن

---

(١) لقّب بالسكري لحلاوة منطقه وكلامه، لا لأنه كان يبيع السكر. (انظر ميزان الاعتدال ٤: ٥٣، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٨٧، وشذرات الذهب ١: ٢٦٤).

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧: ٣٧١، وطبقات خليفة بن خياط ص: ٨٤١، والتاريخ الكبير ١: ١: ٣٤، والجرح والتعديل ٤: ١: ٨١، وميزان الاعتدال ٤: ٥٣، والبداية والنهاية ١٠: ١٥٠، وتهذيب التهذيب ٩: ٤٨٦، وتقريب التهذيب ٢: ٢١٢، والنجوم الزاهرة ٢: ٥٦، وشذرات الذهب ١: ٢٦٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٧: ٣٧١.

(٤) تاريخ بغداد ٦: ١٠٨.

(٥) ذلك أحد معاني الإرجاء، وهو إعطاء الرجاء، (انظر الملل والنحل ١: ١٢٥).

(٦) شذرات الذهب ١: ٢٦٤.

(٧) تهذيب التهذيب ٩: ٤٨٧.

(٨) تهذيب التهذيب ٩: ٤٨٧.

شقيق المروزي[1]: «قيل لابن المبارك: من الجماعة؟ قال: محمد بن ثابت، والحسين بن واقد، وأبو حمزة السكري». قال أحمد بن شبويه الخزاعي المروزي»[2]: «ليس فيهم شيء من الإرجاء».

أولئك هم أشهر رجال المرجئة بخراسان في العصر الأموي، وأقلهم من المرجئة الخالصة، وأكثرهم من مرجئة الجبرية. ولم تكن خراسان مهيّئة لانتشار مذهب المرجئة الخالصة وذيوعه فيها، إذ كان لها مشكلاتها السياسية والاجتماعية والمالية المتأصّلة الفادحة. وهي مشكلات كانت تَتَطلَّبُ عنايةً بالغةً عاجلةً، ولا تَحْتمل مُخادعةً ولا مُمَاطَلةً، وكان حَلُّها يَسْتَدْعي قراراتٍ عادلةً فاصلةً. ولم يكن المرجئة الخالصة أهلاً لذلك، لأن فكرهم السياسي كان سقيماً عقيماً، وعاجزاً قاصراً، وكان أصحابه مسالمين محايدين، وصامتين متخاذلين. وقد ساقهم تأخيرهم العمل عن الإيمان إلى التحرّج من تقويم أعمال العباد، وترك الحكم عليها لله يوم القيامة. وكان سكوتهم عن بني أمية، وإعراضهم عن نقد سيرتهم، وإحجامهم عن التشهير بمفاسدهم ومساوئهم أقرب إلى القبول بهم والرِّضا عنهم، وأشبه بالميل إليهم والانتصار لهم.

وإنما كانت خراسان بيئة صالحة لازدهار مذهب مرجئة الجبرية وشيوعه فيها، لأنَّ فكرهم السياسي كان سليما قويماً، وراشداً قاصداً، وكان أصحابه ثائرين مقاتلين، ومتمرّدين مناضلين. وقد قادهم وصلهم بين العمل والإيمان إلى النّظر في أعمال العباد ومحاسبتهم، فكانوا يعلنون رأيهم في المسائل الجليّة البيّنة، ويحترسون من التّعَرُّض للحُكْم في القضايا الغامضة

(١) تهذيب التهذيب ٢ : ٣٧٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٢ : ٣٧٣.

المبهمة. وكانوا يعرفون أحوال خراسان السيئة، ومشكلاتها المتفاقمة، فتصدّوا لها، وصارحوا عمّال بني أمية القول فيها، وصدقوهم النّصح في حلّها. فلما عجزوا عن إقناعهم بخطرها، ولم يتمكّنُوا من دفعهم إلى إصلاحها، خرجوا عليهم وعلى بني أمية، وأسرع أهل خراسان من العرب والموالي إلى الانضمام إليهم، وهبُّوا إلى تأييدهم، ودعوا إلى العدل السياسي والإجتماعي والمالي، فقد وجدوهم يتجاوزون تعاليم الإسلام في الحكم، ويبتدعون نظام ولاية العهد، ويستبدّون بأمر المسلمين، ويتوارثون الخلافة، ويتعاقبون عليها، حتّى حولوا الإمامة إلى ملك كسرويّ، والخلافة إلى منصب قَيْصَريّ[1]، فنادوا بأن تكون الخلافة شورى بين المسلمين، يتقلّدها أجدرهم بها، وأقدرهم عليها. وقد دعا الحارث بن سريج التميمي إلى البيعة للرِّضا[2] من الأمّة[3]، وإلى جعل الأمر شورى بين المسلمين[4]، فوافق في ذلك الخوارج[5] والقدريّة[6]، وخالف أهل السُّنَّة والجماعة الذين كانوا يرون أنَّ النَّسب شرط في الخلافة، وأنها لا تصلح إلاَّ في قريش[7].

---

(١) كتاب استحقاق الإمامة برسائل الجاحظ للسندوبي ص: ٢٩٢.

(٢) تاريخ الطبري ٧: ٩٥، والكامل في التاريخ ٥: ١٨٣.

(٣) يرى فان فلوتن أنّ العبارة يجب ان تكون: «البيعة للرّضا من آل النبي». (انظر السيادة العربية ص: ٦٣). ولا حجة له على ما ذهب إليه، وقد أورد الطبري وابن الأثير العبارة خالية من الزيادة التي اقترحها. والعبارة كما يراها شعار بني العباس خاصة لا شعار مرجئة الجبرية!! (انظر الأخبار الطوال ص: ٣٣٥).

(٤) تاريخ الطبري ٧: ٣٣٠، ٣٣٩، والكامل في التاريخ ٥: ٣٤٢، ٣٤٥. وذكر المسعودي أن أكثر المرجئة يذهبون إلى أن الإمامة لا تجوز إلاّ في قريش فقط. (انظر مروج الذهب ٣: ٢٣٧).

(٥) مروج الذهب ٣: ٢٣٦، والملل والنحل ١: ١٠٧، وشرح نهج البلاغة ٩: ٨٧.

(٦) الملل والنحل ١: ١٢٧.

(٧) الفرق بين الفرق ص: ٢١١، ومقالات الإسلاميين ٢: ١٣٥، ومروج الذهب ٣: ٢٣٧، وشرح نهج البلاغة ٩: ٨٧.

وألْفَوْهُمْ يفرِّقون بين المسلمين من العرب والعجم، ويقدّمون العرب على الموالي، فطالبوا بالمساواة بين الفريقين في المكانة الاجتماعيّة، وفي الوظائف الإداريّة والعسكريّة.

وأبصروهم يميّزون بين العرب والموالي في الشؤون الماليّة، فنادوا بمعاملتهم جميعاً معاملةً واحدةً، وبوضع الجزية عمن أسلم من العجم، وفرضها على أهل الذمّة. وقد صوّب ثابت قطنة الأزديّ، والحارث بن سريج التميمي شكوى الموالي من جور عمّال بني أمية في جباية الجزية ممن دخل من العجم في الإسلام، وتجبّرهم في استخراجها منهم، وثار كلٌّ منهما مؤازرةً للموالي، وانتصافاً لهم، وردّا للظُّلم عنهم!

مصـــادر البحـــث ومراجعـــه

(١) أخبار الدولة العباسية، لمؤلف مجهول من موالي العباسيين من رجال القرن الثالث، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري والدكتور عبدالجبار المطلبي، طبع دار الطليعة بيروت ١٩٧١.

(٢) الأخبـــار الـــطوال، لأبي حنيفـة الـدينـوري (ت٢٨٢هـ)، تحقيق عبدالمنعم عامر، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ١٩٦٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر (ت٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة.

(٤) أسـد الغـابـة في معـرفـة الصحابة، لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، نشر المكتبة الإسلامية ببيروت.

(٥) الاشتقاق، لابن دريد (ت٣٢١هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، طبع مؤسسة الخانجي بمصر ١٩٥٨.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢)، طبع مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٨هـ.

(٧) الأغـاني، لأبي الفـرج الأصفهـاني (ت٣٥٦هـ)، طبـع دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٨) الإمامة والسياسة، لمؤلف مجهول من أهل المشرق من رجال القرن الثالث، طبع مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٦٩.

(٩) أنساب الأشراف، القسم الثاني، أبو طالب وولده، للبلاذري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ببيروت ١٩٧٤.

(١٠) أنساب الأشراف، الجزء الخامس، للبلاذري (ت٢٧٩هـ)، اعتنى بنشره غويتين، طبع القدس ١٩٣٦.

(١١) أنساب الأشراف المخطوط، للبلاذري (ت ٢٧٩هـ)، مصوّرة الجامعة الأردنية عن مخطوطة استانبول رقم ٥٩٧ـ٥٩٨.

(١٢) البدء والتاريخ، للمقدسي (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع) اعتنى بنشره كلمان هوار، طبع باريز ١٨٩٩ ـ ١٩١٩.

(١٣) البداية والنهاية في التاريخ، لابن كثير (ت٧٧٤هـ) طبع مكتبة المعارف ببيروت ١٩٦٦.

(١٤) البيان والتبيين، للجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق حسن السندوبي، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٢.

(١٥) تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، للدكتور شوقي ضيف، طبع دار المعارف بمصر١٩٦٣.

(١٦) تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، للدكتور شوقي ضيف، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٥.

(١٧) تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، الترجمة العربية، طبع دار المعارف بمصر.

(١٨) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، للذهبي (ت٧٤٨هـ) نشر مكتبة القدسي بالقاهرة.

(١٩) تاريخ بغداد، للبغدادي (ت٤٦٣هـ) طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٣١.

(٢٠) تاريخ التراث العربي، المجلد الأول، القسم الأول، للدكتور فؤاد سيزكين، نقله إلى العربية الدكتور فهمي أبو الفضل، طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة ١٩٧١.

(٢١) تاريخ ابن خلدون، لابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، طبع دار الكتاب اللبناني ببيروت ١٩٥٧.

(٢٢) تاريخ مدينة دمشق المخطوط، لابن عساكر (ت٥٧١هـ)، الجزء العشرون، مخطوط محفوظ بمكتبة أحمد تيمور بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٢٣) تاريخ الدولة العربية، ليوليوس فلهاوزن، نقله إلى العربية الدكتور محمد عبدالهادي أبو ريدة، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥٨.

(٢٤) تاريخ الطبري، للطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار المعارف بمصر.

(٢٥) التاريخ الكبير، للبخاري (ت٢٥٦هـ)، طبع حيدر آباد الدكن ١٣٦١هـ.

(٢٦) تذكرة الحفاظ، للذهبي (ت٧٤٨هـ)، طبع حيدر آباد الدكن ١٩٥٨.

(٢٧) التطور والتجديد في الشعر الأموي، للدكتور شوقي ضيف، طبع دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٥.

(٢٨) تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، طبع دار المعرفة ببيروت ١٩٧٥ .

(٢٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر، لابن عساكر (ت٥٧١هـ)، طبع دار المسيرة ببيروت ١٩٧٩ .

(٣٠) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، طبع حيدر آباد الدكن ١٣٢٥هـ .

(٣١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ)، طبع حيدر آباد الدكن ١٩٥٢ .

(٣٢) جمهرة أنساب العرب، لابن حزم (ت٤٥٦هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .

(٣٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، طبع دار الكتاب العربي ببيروت ١٩٦٧ .

(٣٤) حماسة البحتري، للبحتري (ت٢٨٤هـ)، تصحيح الأب لويس شيخو، طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩١٠ .

(٣٥) الحماسة البصرية، للبصري (ت٦٥٩هـ)، تحقيق الدكتور مختار الدين أحمد، طبع حيدر آباد الدكن ١٩٦٤ .

(٣٦) حياة الحيوان الكبرى، للدميري (ت٨٠٨هـ)، نشر المكتبة الإسلامية ببيروت .

(٣٧) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي (١٠٩٣هـ)، طبع المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٩٩هـ .

(٣٨) رسائل الجاحظ، جمعها ونشرها حسن السندوبي، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٣ .

(٣٩) سنن الترمذي، للترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٧.

(٤٠) سنن أبي داود، لأبي داود (ت٢٧٥هـ)، أعده وعلق عليه عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، طبع دار الحديث بحمص.

(٤١) سنن ابن ماجة، لابن ماجة (ت٢٧٥هـ)، اعتنى بنشره محمد فؤاد عبدالباقي، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٥٢.

(٤٢) السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، لفان فلوتن، ترجمه الدكتور حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٥.

(٤٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، طبع مكتبة القدسي بالقاهرة ١٣٥٠هـ.

(٤٤) شرح شواهد المغني، للسيوطي (ت٩١١هـ)، طبع لجنة التراث العربي بدمشق ١٩٦٦.

(٤٥) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد (ت٦٥٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٦٥.

(٤٦) الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٦.

(٤٧) الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي، للدكتور حسين عطوان، طبع دار الجيل ببيروت ١٩٧٤.

(٤٨) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، للدكتور حسين عطوان، طبع دار الجيل ببيروت ١٩٧٥.

(٤٩) صحيح البخاري، للبخاري (ت٢٥٦هـ)، طبع المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٥هـ.
(٥٠) صحيح مسلم، لمسلم القشيري (ت٢٦١هـ)، اعتنى بنشره محمد فؤاد عبدالباقي، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.
(٥١) ضحى الإسلام، لأحمد أمين، طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦١.
(٥٢) طبقات خليفة بن خياط، لخليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٨.
(٥٣) طبقات الفقهاء، للشيرازي (ت٤٧٦هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبع دار الرائد العربيْ ببيروت ١٩٧٠.
(٥٤) الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت٢٣٠هـ)، طبع دار صادر ببيروت ١٩٥٧.
(٥٥) العباسيون الأوائل، للدكتور فاروق عمر، طبع دار الإرشاد ببيروت ١٩٧٠.
(٥٦) العصر العباسي الأول، للدكتور عبدالعزيز الدوري، طبع مطبعة التفيض ببغداد ١٩٤٥.
(٥٧) العقيدة والشريعة في الإسلام، لجولدتسهر، ترجمة محمد يوسف موسى ورفاقه، طبع دار الكاتب المصري بالقاهرة ١٩٤٦.
(٥٨) العيون والحدائق في أخبار الحقائق، لمؤلف مجهول من رجال القرن الرابع، اعتنى بنشره دي خويه، طبع ليدن ١٨٦٩.
(٥٩) فجر الإسلام، لأحمد أمين، طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٥.

(٦٠) الفرق بين الفرق، للبغدادي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، طبع مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع بالقاهرة.
(٦١) الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، للدكتور النعمان القاضي، طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠.
(٦٢) الكامل في التاريخ، لابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، طبع دار صادر ببيروت ١٩٧٩.
(٦٣) كتاب النهاية أو الفتن والملاحم، لابن كثير (ت٧٧٤هـ) تحقيق الدكتور طه محمد الزيني، طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦٩.
(٦٤) مختصر تذكرة القرطبي، للشعراني (ت٩٧٣هـ)،طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة.
(٦٥) مذاهب التفسير الإسلامي، لجولدتسهر، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار، نشر مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٥.
(٦٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر، للمسعودي (ت٣٤٦هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبع مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨.
(٦٧) مسند أحمد بن حنبل، لابن حنبل (ت٢٤١هـ)، طبع المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ببيروت.
(٦٨) المعارف، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق ثروت عكاشة، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٦٠.
(٦٩) معجم الشعراء، للمرزباني (ت٣٨٤هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٤٩.

(٧٠) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للأشعري (ت٣٣٠هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٠.

(٧١) الملل والنحل، للشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تخريج محمد بن فتح الله بدران، نشر مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٦.

(٧٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (ت٧٤٨هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة ١٩٦٣.

(٧٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي (ت٧٨٤هـ)، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٧٤) هاشميات الكميت، شرح عبدالمتعال الصعيدي، طبع مطبعة الرسالة بالقاهرة.

(٧٥) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت٦٨١هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبع دار صادر ببيروت.

(٧٦) وقعة صفين، لابن مزاحم (ت٢١٢هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، طبع المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ١٣٨٢هـ.

استشارة واستنارة

للدكتور عبدالرحيم بدر

توطئة

في سنة ١٩٨١ أصدرت لي وزارة الثقافة والإعلام العراقية كتاب "دليل السماء والنجوم". وهو – على حدّ علمي– أول كتاب في اللغة العربية يبحث في الفلك العملي، أي في شؤون المراقبة والرصد. وكان لزاماً عليّ أن أذكر أسماء النجوم والكوكبات، كما يجب أن تكتب، وكما ذكرها الفلكيون العرب في كتب التراث. وعلى الرغم من دراساتي الطويلة في هذا الموضوع، إلّا أنني كنت أخشى الوقوع في الخطأ، مهما كان الخطأ بسيطاً. ولهذا لجأت إلى الدكتور بول كونيتش، وطلبت منه مراجعة المخطوطة قبل الطباعة. ففعل مشكوراً. والدكتور كونيتش هو أستاذ الدراسات السامية في جامعة ميونيخ، وعضو أكاديمية العلوم البافارية، وقد تخصّص في الكتابة عن الفلك العربي وأسماء النجوم وعلاقة ذلك بالفلك الإغريقي.

وبتصحيح الدكتور كونيتش للكتاب، يصبح ليس كتاب دليل لرصد السماء وحسب، وإنما كتاباً في التراث العربي أيضاً. ففيه قد ذكرت معظم أسماء النجوم كما عرفها الفلكيون العرب، وأمام كلّ نجم اسمه بالأجنبية كما هو معروف في الفلك الحديث.

وفي هذه الآونة، أضع كتاباً في الفلك العملي أيضاً، سمّيته "رصد السماء" وقد أشرفت على الانتهاء منه. غير أنني في أثناء العمل فيه صادفت كثيراً من

القضايا التي اعترضتني، سواء في التراث أو في أصول الترجمة ووضع المصطلحات. وقد تصرّفت في كلّ قضية بالشكل الذي رأيته مناسباً.

وحيث إنني أحرص الحرص كلّه على إبراز التراث في مجاله الواسع في هذا العالم، وحيث إنني أؤمن باللغة العربية كلغة التدريس الوحيدة في جميع العلوم وفي جميع الجامعات في العالم العربي، وحيث إن الكتاب موضوع الحديث هو أول كتاب شامل في الفلك العملي في اللغة العربية، لهذا كلّه، أحببت أن أعرض بعض القضايا التي واجهتني فيه على علماء اللغة العربية وعلماء التراث، أستشيرهم واستنير بآرائهم، فيكبحون جماحي إن شططت، ويسكنون عنّي سكوت الرضى إذا أحسنت.

مميزات علم الفلك

تتميّز العلوم التجريبية والفكرية عن الآداب والفنون بأن تاريخها مترابط متماسك، يتكوّن من حلقات كلّ حلقة تعتمد على سابقتها. وكلّ حلقة لها أهميّتها ولها دورها الفعّال، بحيث لو تأخرت حلقة عن الظهور في موعدها فإن العلم نفسه يتأخر في مسيرته، منتظراً ظهورها لكي يواصل اندفاعه. هذا الترابط المتسلسل قد نجد شيئاً منه في الآداب والفنون، لكنه لا يصل إلى الدرجة التي هو عليها في العلوم.

ويتميّز الفلك عن غيره من العلوم الأخرى بأن تاريخه يظهر لك من بين السطور في أثناء دراسته. وإذا فعلت فإنك سترى أن أسماء الكوكبات إغريقية وأن أسماء النجوم عربية، وستجد أسماء العلماء من مختلف الأمم منتشرة هنا وهناك. فهناك أقمار غاليلو وقوانين كبلر وخط كاسيني ومرقب نويتن ودليل مسييه ونطاق فان ألن... وإذا فاتك اسم عالم في هذه الدراسة فإنك ستجد اسمه في الغالب على فوّهة من فوّهات القمر.

إن دراسة الفلك بطبيعتها أو طبيعة الفلك نفسه تندمج مع ما فيه من تراث.

ولا أكتم عن القارئ سرّاً حين أقول له إنني في البداية كنت – ولا أزال – هاوي فلك. ولمّا كان يتعذّر وجود المراجع القيمة في اللغة العربية، فقد رحت ألجأ إلى اللغة الإنجليزية. وكانت أسماء النجوم العربية تتلاعب أمام عيني بالأحرف اللاتينية آناء الليل وأطراف النهار، سواء عند القراءة في الكتب والمجلات الإنجليزية أو عند الرصد ومراجعة الأطالس. وكان لزاماً عليّ أن أفتش على كتب التراث وأبحث عن أصول هذه الأسماء.

وهذه القصة لم تحدث معي وحدي. بل إنها حدثت مع الأستاذ أمين فهد معلوف، وهو يذكر ذلك في مقدمة كتابه "المعجم الفلكي" مبيّناً أنها هي التي دفعته لوضع المعجم. وكذلك قد حدثت مع الأستاذ منصور حنّا جرداق، ويذكرها في مقدمة كتابه "القاموس الفلكي" مبيّناً أنها هي التي دفعته لوضع القاموس.

ومن الجدير بالذكر أن المعجم والقاموس المذكورين قد وضعا في النصف الأول من هذا القرن العشرين.

غير أن هناك أمراً يدعو إلى الاستغراب فعلاً.

الظاهرة الغريبة

كان النصف الثاني من القرن العشرين بداية تحوّل كبير في العالم العربي، لا من الناحية السياسية واستقلال الدول وحسب، بل من الناحية الحضارية والثقافية أيضاً. فقد ازدهرت الثقافة وازداد عدد الجامعات في طفرة واسعة وكثر الذين يتقنون اللغات الغربية ويحصلون على شهادات عالية في العلوم والفنون المختلفة.

لكن يبدو أن أحداً من هذه الملايين المثقفة لم يقرأ شيئاً عن الفلك ولم يستشفّ من خلال قراءاته أن للعرب يداً فيه، وبصمة على كلّ صفحة من صفحاته.

وكأنّ الفلك في وسط هذه الأمواج الزاخرة من الثقافة لا وجود له.

يبدو أن انشغال العالم العربي بالأحداث السياسية قد صرف العلماء عن متابعة البحث والدراسة في هذا الموضوع، من ناحية، لكني أرى أن السبب الرئيسي في هذا الإهمال هو التدريس في الجامعات باللغات الأجنبية. فقد استشرى هذا الداء الخبيث في كلّ الجامعات العربية – باستثناء جامعة دمشق– بحيث خفّف من انتماء العلماء والمثقفين إلى العروبة، التي أصبحت مجرّد شعار سياسي لا أثر له في النفوس.

ويجب أن أذكر في هذا الصدد الأستاذ قدري حافظ طوقان، فقد كان يشتغل في هذا الحقل، لكن كتابه "التراث العربي في الفلك والرياضيات" نشرت الطبعة الأولى منه في النصف الأول من هذا القرن.

وفي هذا الصدد أيضاً يجب أن أذكر الأستاذ عبدالحميد سماحة، فقط كانت بحوثه وأرصاده في مرصد حلوان ذات قيمة كبيرة، ومحاولة وضعه بعض الأسماء العربية لنجوم في كوكبات جنوبية تنسجم مع مفاهيم العرب عن تلك الكوكبات، جهد يجب أن يقدّره له الباحثون في التراث. لكن معظم بحوثه كانت أيضاً في النصف الأول من هذا القرن.

الفلك في العالم العربي في النصف الثاني من القرن العشرين:

على القارئ أن يأخذ معلوماتي في هذه الفقرة بحذر. ففي هذه الفترة نشبت خلافات بين معظم الدول العربية أدت إلى انقطاع أخبار النشاط الثقافي بين بلد وآخر، وكانت الكتب والمجلات تصل متقطعة، وإذا وصل منها شيء فهو أقلّ من أن يفي بالحاجة.

وبناء على ذلك فإن حديثي هو من معلوماتي الشخصيّة التي أحملها الآن.

لم يكن هناك رصد عمليّ على ما أعرف. وحين أتيحت لي الفرصة أن أزور مرصد حلوان لم أجد فيه برنامجاً للعمل. (كان ذلك سنة ١٩٦٣). ولم أعرف إذا كان هناك في العالم العربي من يزاول الرصد ولو على نطاق شخصيّ ضيّق، إلّا فلكياً واحداً اسمه ميخائيل عبدالأحد من البصرة، كان يرصد الشمس ونشر عن ذلك في مجلة "السماء والمرقب" الأمريكية. ولم أستطع الاتصال به.

وقد قمت بنحت مرقبي سنة ١٩٦٢ وأقمت مرصداً في مدينة أريحا. كان المرصد صغيراً، ولكني كنت أتعاون مع الجمعية الفلكية الألمانية، فأرصد بعض الظواهر الفلكية – لكن على أساس الفلك الغربي. فقد كنت أجهل التراث العربي في الفلك.

ويجب أن أذكر هنا أن كليّة بيرزيت (التي أصبحت فيما بعد جامعة بيرزيت) قد ساهمت في هذا الخط. فقد قام طلبة الفيزياء بنحت مرقب مثل مرقبي، بتوجيه من الأستاذ جابي برامكي، وكنا نتعاون معاً في رصد بعض الظواهر الفلكية.

وقد سمعت عن إقامة مرصد كبير في سيناء – مصر. ولا أعلم في الحقيقة ما تمّ في أمره.

وإذا كانت معلوماتي هذه قريبة من الحقيقة، كان معنى ذلك أن العالم العربي خال من الفلك العمليّ.

ولا يزال كذلك حتى الآن.

وفي هذه الحالة لن يكون هناك إلحاح على التراث العربي في الفلك لإدخال الأسماء والمصطلحات.

أمّا بشأن البحث في التراث الفلكي فقد كان مقتصراً على ما تصدره مجامع اللغة العربية من تحقيقات على فترات متباعدة. وعليّ أن أذكر هنا سلسلة "العلوم

البحرية عند العرب" التي أصدرها مجمع اللغة العربية في دمشق في السبعينات. وقد تبيّن من هذه السلسلة أن البحارة العرب في المحيط الهندي قد استغلّوا مطالع النجوم ومغاربها في وضع نظام خاصّ بهم سمّوه (الاخنان) كان على أرقى المستويات التقنيّة.

المعاجم الفلكيّة في النصف الثاني من القرن العشرين

لم تظهر معاجم فلكيّة في كتب مستقلّة، وإنّما ظهرت المعاجم التالية في مجلة "اللسان العربي" التي تصدر في الرباط عن مكتب تنسيق التعريب.

١- معجم الفلك – في العدد الخامس عشر من المجلة.

٢- مصطلحات الفلك في التعليم العالي – في العدد الخامس عشر أيضاً. وكلاهما لا يستحقّان أن يسمّيا بهذا الاسم. فهما مجرد وضع أحرف عربية أمام الأحرف الأجنبية للاسم دون أي تعريف مفيد.

٣- مصطلحات الفلك – فرنسي، إنجليزي، عربي للأستاذ محمد بني زيّان، نشر في العددين ١٥ و ١٦ من مجلة اللسان العربي.

ويبدو التعب والعناية في إعداد هذا المعجم. لكن يبدو أن الأستاذ زيّان غير ضليع في علم الفلك، ولم يطّلع على الكتب المنشورة في التراث العربي. ولهذا نجد فيه أخطاء كثيرة، منها ما يتعلّق بالفلك نفسه كعلم له مصطلحاته ومنها ما يتعلّق بأخطاء في أسماء النجوم والكواكب. وإذا أصلحت هذه الأخطاء فيه فسيكون معجماً قيّماً ذا فائدة كبيرة.

نرى من هذا كلّه، أن التراث العربي المنشور في العالم العربي هو أقلّ من أن يعطينا فكرة شاملة عمّا قدمه الفلكيون العرب من ناحية وعن المصطلحات والأسماء التي كانوا يستعملون. غير أن الذي أعطى الدفعة الكبرى لفهمنا عنه

وإعطائنا فكرة شاملة قريبة من الحقيقة، هو ما قامت بنشره وتحقيقه هيئات غير عربية.

التراث العربي الذي نشره غير العرب في النصف الثاني من القرن العشرين

في هذا الشأن، كان الباع الطويل لمجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد – الدكن– الهند. فقد قامت في الخمسينات بنشر تحقيقات من عيون التراث، ليس في الفلك وحسب، بل في العلوم الأخرى أيضاً كالطب والرياضيات والهندسة، وفي الآداب ودواوين الشعر... إنها في الواقع قد نشرت مكتبة غنيّة بشتّى أنواع التراث العربي.

وكان مما نشرته في الفلك القانون المسعودي للبيروني، وهو موسوعة كاملة عن علم الهيئة (الفلك) تعطينا فكرة كاملة شاملة عن هذا العلم عند العرب من نواح كثيرة كنظرتهم إلى الأمور وطرق معالجتها والأساليب المبتكرة لحلّ المسائل التي تصادفهم. هذا بالطبع بالإضافة إلى مدى المعلومات الفلكيّة التي توصّلوا إليها.

كان ممّا نشرته دائرة المعارف الإسلامية أيضاً، كتاب "صور الكواكب الثمانية والأربعين" للصوفي. ومن هذا الكتاب ومن القانون المسعودي عرفنا الكوكبات السماوية وما فيها من نجوم، كلّ نجم في السماء حددوا طوله وعرضه (ما يسمونه في الفلك الصعود المستقيم والميل)، وبهذا أصبح كلّ نجم معروفاً لا مجال للخطأ فيه بينه وبين نجم آخر. لقد دخلنا الآن في الفلك العملي والقياسات والرصد الدقيق وقد وجدنا علماً له قواعده وأصوله ونستطيع أن نقارن بين أرصاده وأرصاد الفلك الحديث.

والواقع أن هذين الكتابين يجب أن يظلّا المرجع الأساسي لكلّ من يريد أن يكتب في الفلك الحديث متوخياً أن يجاري الفلك العربي في الأسماء والمصطلحات.

هناك كتب أخرى في الفلك العربي نشرتها دائرة المعارف العثمانية في الهند، لابن قرّة وابن الهيثم والمنصور بن عراق وكوشيار الجيلي وغيرهم، أعطتنا فكرة جيّدة عن البحوث العربية في الفلك. لكن الكتابين المذكورين سابقاً هما الأساس في تحديد المصطلحات وأسماء النجوم.

وقد نشر باللغات الأجنبية الكتب التالية:

١- Star Names: Their Lore and meaning – Richard أسماء النجوم، ومعانيها ورواياتها. وضعه ريتشارد هنكلي ألن Hinckly Allen ونشر للمرة الأولى سنة ١٨٩٩، وأعيدت طبعته سنة ١٩٦٣.

والكتاب يبحث في أسماء النجوم عامّة وكان لزاماً عليه أن يتطرّق إلى أصول العربية منها. وفي لهجة الكتاب شيء من التحامل، وفيه الكثير من الأخطاء، معظمها يرجع إلى أن المؤلف كان يجهل اللغة العربية.

٢- Arabische Sternnamaen In Europa- Paul Kunitzch أسماء النجوم العربية في أوروبا. للدكتور بول كونيتش. ظهر ١٩٥٩,

٣- Unter Suchungen Zur Sternnomen Klatur Der Araber بحث في تسمية النجوم عند العرب. للدكتور بول كونيتش أيضاً. ظهر سنة ١٩٦١.

بهذه الكتب الثلاثة يصبح أمام الباحث ذخيرة مستفيضة عن النجوم، وبالكتب التي سبق ذكرها يصبح لديه ذخيرة عن المصطلحات والتعابير.

القضايا المطروحة

مهما أتقن المرء معرفة المصطلحات والأسماء التي استعملها الفلكيون العرب، فإنه عند التطبيق وفي أثناء الكتابة ستمرّ عليه مشاكل لم يكن يتوقّعها. وستبرز هذه المشاكل إذا كان يضع أمام عينيه الأهداف التالية:

١- أن يعرف دائماً أنه يكتب في الفلك الحديث على أسسه المعروفة الآن، وأن كتابه ما هو إلّا إحدى الخطى التي سيعتمد عليها القارئ للانطلاق في دراسته وبحوثه. وأنه ينتظر من قارئه بعد ذلك أن يتصل مع الجمعيات والمعاهد الفلكية العالمية ليتعاون معها، ولهذا يجب أن يكون على علم بالمصطلحات والأسماء التي تعارف عليها كلّ الفلكيين في العالم.

٢- أن يكون المصطلح دائماً من كلمة واحدة، خاصّة ذلك الذي يتردّد كثيراً.

٣- إذا كان المصطلح الموجود في التراث العربي يدعو إلى الالتباس في ذهن القارئ، عليه أن يحاول تغييره إلى مصطلح عربي آخر غير ذلك الموجود في التراث.

وبناء على ذلك أطرح القضايا التالية:

أولاً – الكوكبة:

الكوكبة هي بضعة (أو عدة) نجوم متقاربة في السماء تعطي شكلاً معيّناً. عرف الأقدمون هذه الأشكال وأطلقوا عليها أسماء تتناسب معها، مثل الدب والعقرب والأسد وما إلى ذلك.. سجّل بطلميوس هذه الأشكال في (المجسطي) ورسم عليها صورة تدلّ على ما هو مفهوم من ذلك الشكل. وكان عنده ٤٨ صورة

أو شكلاً.. وقد أخذ العرب هذا التقسيم نفسه، وسمّوا كلّ صورة (كوكبة)، فكان لديهم ٤٨ كوكبة.

ولمّا جاء الفلك الحديث سار على التقسيم نفسه أيضاً، إلّا أنه أجرى بعض التعديلات، فقسّم الكوكبات الكبيرة، ووضع النجوم الخافتة التي كانت بين الكوكبات السابقة في أشكال أي كوكبات جديدة، وكانت الحضارة قد وصلت إلى المناطق الجنوبية فرتّب الكوكبات التي أخذت تظهر له في السماء الجنوبية في كوكبات جديدة أخرى، وأصبح لدينا في الفلك الآن ٨٨ كوكبة، بحدود دقيقة معروفة فيما بينها. وأصبحت الكوكبة في الفلك الحديث تسمّى (Constellation).

وعلى الرغم من جمال كلمة (كوكبة) وصدق دلالتها على المعنى المقصود منها إلّا أن استعمالها يثير لبساً من نواح كثيرة.

فالكوكب الثابت هو ما يعرف الآن بالنجم.

والكوكب السيّار (أو كلمة كوكب في الفلك الحديث) هو الجرم الذي يدور حول الشمس، كالأرض وعطارد والزهرة والمريخ.

والنظام الكوكبي هو ذلك النظام الذي يكون فيه نجم في المركز تدور حوله كواكب سيارة.

والسديم الكوكبي هو السديم الحلقي الذي يكون فيه الغاز على شكل دائرة، في مركزها نجم.

والكويكبات هي تلك الأجرام الصلبة من الصخور التي تدور في مدار حول الشمس يقع بين مداري المشترى والمريخ.

نرى من هذا أن هناك أجراماً كثيرة تقع تحت اسم كوكبة أو كوكب ومشتقاتها. وهذا ما قد يسبّب تشويشاً للقارئ لا سيّما إذا كان في بداية دراسته.

ونجد أن بعض الكتب الجادّة في علم الفلك تحاول أن تستعمل تعابير أخرى للدلالة على كلمة (Constellation).

فالأستاذ وجيه السمّان في كتاب (قصة المادة السيبرنية والكون) لألبير دوكروك، يترجمهما (الصورة النجمية).

والدكتور محمد رضا مدور في كتابه (علم الفلك) يترجمها (كوكبة نجومية).

وفي كتاب (بدائع السماء) الذي قمت بترجمته لجيرالد هوكنز، ترجمتها (مجموعة).

وكذلك في كتابي (دليل السماء والنجوم) ترجمتها (مجموعة).

أمّا في الكتاب الذي هو موضع الاستشارة، فإني أترجمها (كوكبة) كما قالتها العرب، وأحاول أن أفرّق بينها وبين الكوكب السيّار في صيغة الجمع. فأجمع الكوكب السيّار على كواكب، بينما أجمع الكوكبة على كوكبات. ولكني أجد أن الصوفي يجمعها على (كواكب) فهي واردة في اسم كتابه (صور الكواكب الثمانية والأربعين). وبهذا تفشل محاولتي في التشبّث بهذه الكلمة.

إن الالتباسات التي تترتب على استعمال كلمة (كوكبة) تستدعي البحث عن كلمة غيرها تدلّ على المقصود منها وتكون ترجمة لكلمة (Consterllation).

وقد رأيت أن الدكتور فايز فوق العادة في كتابه (ارتحال إلى أعماق الكون) يستعمل كلمة (برج) للدلالة على (الكوكبة).

إن كلمة (برج) تطلق على تلك الكوكبات التي تقع على مدار البروج، وعددها اثنا عشر برجاً، وقد أعطاها المنجمون هذا الاسم تمييزاً لها عن الكوكبات الأخرى لأن الكواكب السيّارة والشمس والقمر تمرّ فيها. ولمّا كان الحساب في التنجيم يقوم على مواقع هذه الأجرام في هذه الكوكبات، لهذا رأى المنجمون أن يعطوها هذا الاسم المميّز. وقد كان الفلكيون العرب يؤمنون بالتنجيم، فأبقوا كلمة برج لتدلّ على الكوكبة التي تقع على هذا المدار. فنجد بين الكوكبات الثمانية والأربعين التي عرفوها ستاً وثلاثين كوكبة واثني عشر برجاً. والبرج في الإنجليزية هو (Sing of the Zodiac) ولا أجد من المناسب استعمال كلمة (برج) للدلالة على (Consterllation).

إن كثرة استعمال هذا التعبير في الفلك – حديثاً أو كتابة– يوجب أن يكون من كلمة واحدة فقط. ولا أرى أمامنا غير أربعة اصطلاحات: كوكبة، مجموعة، صور، برج.

فالموضوع إذن جدير بأن يطرح أمام العلماء في اللغة والمجامع العلمية، لمدّ يد العون.

ثانياً– أسماء الكوكبات

الكوكبات عند بطلميوس والفلكيين العرب هي ثمانية وأربعون. والواقع أن العرب أخذوها عن بطلميوس وترجموا أسماءها، وبقيت أسماء الأعلام إغريقية. وفيما يلي أسماؤها كما هي في الفلك الحديث، وكما عرفها العرب.

الاسم	في الفلك الحديث	الاسم عند الفلكيين العرب	ملاحظات

الاسم	في الفلك الحديث	الاسم عند الفلكيين العرب	ملاحظات
١)	Ursa Minor	الدب الأصغر	
٢)	Ursa major	الدب الأكبر	
٣)	Draco	التنّين	
٤)	Cepheus	قيقاوس	يجب أن تكون قيفاوس (الحرف الأوسط فاء) وسمّوه أيضاً (الملتهب).
٥)	Boötes Borealis	العوّاء	أسماؤه الأخرى (الصبّاح) و(البقّار) و(حارس الشمال)، والبيروني يسميّه (الصايح).
٦)	Corona	الإكليل الشمالي	وهي (الفكّة).
٧)	Hercules	الجاثي على ركبتيه	ويسمّى (الراقص) أيضاً.
٨)	Lyra	اللورا	عند البيروني (اللوراس). نقل

الاسم	في الفلك الحديث	الاسم عند الفلكيين العرب	ملاحظات
			حرفي للاسم الإغريقي. وتسمّى (الصنج) و(الأوز) و(السلباق) و(المعزقة) و(السلحفاة).
٩)	Cygnus	الدجاجة	سمّاها العرب (الطائر) أو (الدجاجة) أي أنهم قدّموا اسم (الطائر). أفضل (الدجاجة) خشية الالتباس مع كوكبة رقم (١٦).
١٠)	Cassiopeia	ذات الكرسي	
١١)	Persues	برشاوس	وهو حامل رأس الغول.
١٢)	Auriga	ممسك الأعنّة	ويسمّى (العنان أيضاً وفي القانون المسعودي (ممسك العنان).
١٣)	Ophiuchus	الحوّاء	
١٤)	Serpens	الحيّة	
١٥)	Sagitta	السهم	وفي القانون المسعودي (النول) أيضاً.
١٦)	Aquila	العقاب	وهو (النسر الطائر).
١٧)	Delphinus	الدلفين	
١٨)	Equuieus	قطعة الفرس	
١٩)	Pagasus	الفرس الأعظم	وفي القانون المسعودي (الفرس

الاسم	في الفلك الحديث	الاسم عند الفلكيين العرب	ملاحظات
			المجنّح).
٢٠)	Andromeda	المرأة المسلسلة	وفي المسعودي (اندروميدا)
٢١)	Triangulum	المثلث	
٢٢)	Aries	الحمل	في المسعودي (الكبش) أيضاً.
٢٣)	Taurus	الثور	
٢٤)	Gemini	التوأمان	
٢٥)	Cancer	السرطان	
٢٦)	Leo	الأسد	
٢٧)	Virgo	العذراء	وهي (السنبلة).
٢٨)	Libra	الميزان	
٢٩)	Scoupuis	العقرب	
٣٠)	Saggitarius	الرامي	ويسمّى (القوس أيضاً).
٣١)	Capricornus	الجدي	
٣٢)	Aquarius	الدلو	وهو (ساكب الماء).
٣٣)	Pisces	الحوت	وهو (السمكتان).
٣٤)	Cetus	قيطس	وفي المسعودي (قيطس سبع البحر).
35)	Orion	الجبّار وهو	إني أفضل (الجوزاء).

الاسم	في الفلك الحديث	الاسم عند الفلكيين العرب	ملاحظات
		الجوزاء	
٣٦)	Eridanus	النهر	
٣٧)	Lepus	الأرنب	
٣٨)	Canis Major	الكلب الأكبر	
٣٩)	Canis Minor	الكلب الأصغر	
٤٠)	هذه الكوكبة التي سمّاها الفلكيون العرب (السفينة) قسّمت في الفلك الحديث إلى أربع كوكبات، فلا داعي لإدخال اسمها في الجدول.		
٤١)	Hydra	الشجاع	
٤٢)	Crater	الباطنية	
٤٣)	Corvus	الغراب	
٤٤)	Centaurus	قنطورس	
٤٥)	Lupus	السبع	
٤٦)	Ara	المجمرة	
٤٧)	Corona Australis	الإكليل الجنوبي	
٤٨)	Piscis Austrinus	الحوت الجنوبي	

هذه الكوكبات السبع والأربعون (بعد استثناء كوكبة السفينة) لا تزال موجودة في الفلك الحديث، تحتفظ بأسمائها الأجنبية الموجودة في العمود الأول. ومن الواجب أن تبقى لها الأسماء التي وضعها الفلكيون العرب، وهي الموجودة في العمود الثاني. غير أني سمحت لنفسي عند الكتابة عنها أن أقوم بتجاوز بسيط أعتبر أن فيه بعض الفائدة. فهناك بعض الكوكبات يقول عنها الفلكيون العرب أن اسمها (كذا) وهي (كذا). إنهم بالطبع يفضّلون الاسم الأول، ولكني لأسباب سأذكرها فضّلت الاسم الثاني. وقد حدث ذلك في الأمثلة التالية:

أ- الكوكبة رقم (٩) في اللائحة، سمّاها العرب (الطائر) أو (الدجاجة). فضّلت استعمال الدجاجة، لأن اسم الطائر قد يحدث لبساً مع الكوكبة رقم (١٦) العقاب أو النسر الطائر.

ب- الكوكبة رقم (٣٢)، فضّلت استعمال (الدلو) على (ساكب الماء) لأنها كلمة واحدة، وأكثر شيوعاً.

ج- الكوكبة رقم (٣٣) فضّلت استعمال (الحوت) على (السمكتين)، لأنها أكثر شيوعاً.

د- الكوكبة رقم (٣٥) فضّلت استعمال (الجوزاء) على (الجبار) مخافة الالتباس مع برشاوس الجبار و(كلب الجبار).

هذه هي الحدود التي سمحت لنفسي أن أتصرف بها.

وفي هذا المجال أودّ أن ألفت الانتباه إلى خطأين شائعين جداً في معظم الكتب الفلكية التي صدرت في العقود الأربعة الأخيرة، يتعلّقان بأسماء الكوكبات:

أ- إن أقرب نجم إلينا هو (ألفا قنطورس) (Alpha Centauri) وهذا تكثر الإشارة إليه في كثير من الكتب الفلكية التي تصدر، عند ذكر أبعاد النجوم أو أقدارها. والغالبية من الكتاب يسمّونه (ألفا الصنتوري) أو (ألفا السنتوري). وإني أعترف أني في أول كتابين صدرا لي كنت أستعمل هذه الصيغة، إذ لم أكن أعرف الاسم العربي للكوكبة التي فيها هذا النجم (قنطورس).

ب- أول نجم قاس الفلكيون بعده كان (٦١ الدجاجة) (61 Cygni). وقد قام بهذا العمل الفلكي الألماني بيسيل سنة ١٨٣٨. وترجمة الاسم الأجنبي (Cygnus) هي في الحقيقة (البجعة). ولهذا نجد في كلّ الكتب التي تذكر هذه الحادثة (٦١ البجعة). وهذا غير صحيح ما دام هناك اسم عربي .

القبّة الفلكية في الفلك الحديث مقسّمة إلى ثمان وثمانين كوكبة. سبع وأربعون منها عن الفلك القديم، وهي التي لها أسماء عربية. أما الكوكبات الباقية وعددها واحد وأربعون، فأستعمل أسماءها المترجمة، منها ما ترجمته بنفسي ومنها ما وجدت غيري قد ترجمه. ومعظم هذه الكوكبات في المناطق الجنوبية والكثير منها في الدائرة القطبية الجنوبية بحيث لا نراها من بلادنا العربية. وترجمتها لا علاقة لها بالتراث الفلكي العربي.

ثالثاً- أسماء النجوم

أ)- تسمية النجوم بالأرقام والحروف.

منذ أن وضع بطليموس صور الكوكبات ورسم النجوم على كل صورة، أعطى النجوم في كلّ كوكبة أرقاماً متسلسلة تبتدئ من واحد وتنتهي بعدد نجوم تلك الكوكبة. وإذا كانت هناك نجوم خارج الصورة أعطاها أرقاماً متسلسلة أيضاً.

وقد أخذ العرب هذه الطريقة عن بطلميوس فرسموا الصور نفسها ووضعوا الأرقام بالحروف بحسب الطريقة المتّبعة في تلك الأيام.

وعلى ذلك فإذا قال فلكيّ في العصور الوسطى عن النجم السادس والسابع من كوكبة الدب الأصغر، فإن المستمع إليه ينظر في الصورة فيرى أنه يتكلم عن الفرقدين. وهكذا. فكلّ نجم معروف برقم معيّن في كوكبته.

واستمرت هذه التسمية حتى سنة ١٦٠٣ ميلادية. آنذاك أصدر الفلكي الألماني (باير) أطلسه الشهير. فترك طريقة الأرقام، ورمز لكل نجم في الكوكبة بحرف من الأبجدية اليونانية. وكان عادة يطلق الحرف الأول (الفا) على أشد النجوم لمعاناً في الكوكبة، والحرف الثاني (بيتا) على النجم الذي يليه في اللمعان، وهكذا. إلّا أن ذلك ليس شرطاً.

ومنذ ذلك الحين أخذ الفلكيون جميعاً، وفي جميع أنحاء العالم، يسمون النجوم بالحروف اليونانية وقد أصبحت هذه التسمية عالمية، ولم يعد لنا خيار إلّا في اتباعها. فإذا قال فلكيّ الآن (بيتا الدب الأصغر) و(جاما الدب الأصغر) فإن أي فلكي آخر يعرف أنه يعني الفرقدين.

وفي الحالة التي تكون فيها النجوم في الكوكبة أكثر من الحروف الأبجدية اليونانية فهم يستعملون أرقاماً.

وقد وجدت في كتاب (قصة المادة السيبرنية والكون) الذي ترجمه الأستاذ وجيه السمّان عن الفرنسية، أن الأستاذ وجيه يحاول أن يترجم هذه الحروف إلى العربية. فترجم (الفا) إلى (ألف) و(أبسلون) إلى (هـ) و(دلتا) إلى (د). وأنا لا أوافقه على ذلك. فالحرف اليوناني، مقروناً باسم الكوكبة، أصبح اسماً عالمياً للنجم. ولا مجال لترجمته.

ب) أسماء النجوم الأعلام

إن تسمية النجوم بالحروف اليونانية والأرقام تشمل كلّ نجم تراه العين في السماء. غير أن الشعوب منذ القدم كانت تتعرّف على النجوم المتلألئة في السماء وتطلق عليها أسماء خاصة. فالعرب في الجاهلية، قبل أن يعرفوا علم الفلك، كانوا يعرفون نجوماً كثيرة وضعوا لها أسماء جميلة. من هذه الأسماء – الدبران، والفرقدان، والنسر الواقع، والنسر الطائر، والشعرى اليمانية، والشعرى الشامية، والسماك الرامح، والسماك الأعزل... إلخ. هذه الأسماء بقيت لاصقة بنجومها، حين تطوّر الفلك عند العرب، فأصبح للنجم اسمان: اسم بالرقم الذي وضعه بطلميوس، والاسم الخاص الذي عرف عنه في الجاهلية.

وليس ذلك وحسب. بل إن الفلكيين العرب حين كانوا يكتبون عن النجوم، كانوا يذكرون رقم النجم ويصفون موضعه في الصورة قائلين إنه، مثلاً، على الصدر أو على المرفق أو على الجناح، وهكذا.

وقد أخذ الأوروبيون الفلك عن العرب مباشرة دون أن يكونوا على علم ببطلميوس. وحين ترجموا عن النجوم ذكروا الصفات التي وصفها بها العرب على

أنها أسماء. فالذي على الجناح مثلاً، سمّوه (الجناح) والذي على المرفق سمّوه المرفق، وهكذا. وقد حدث الكثير من التحوير والتغيير والخطأ في النسخ على مدى الأجيال العديدة التي تم عنها نقل هذا العلم. وظهر عند الأوروبيين علماء في اللغة العربية وفي الفلك أيضاً، رأوا أن يغيّروا بعض الأسماء العربية إلى أسماء عربية وضعوها هم. ونتيجة ذلك كلّه وصلت إلينا في قالبها النهائي أسماء للنجوم في الفلك الحديث.

إن هناك أسماء عربية صرفة وضعها الفلكيون الغربيون ولم يكن يعرفها الفلكيون العرب، مثل (اللسعة) الذي وضعوه للنجم (أوبسلون العقرب) (Upsilon Scorpii) (Lesuth) وهذا الاسم ليس بموضع استشارة، لأن النجم لم يكن له اسم عند العرب وليس أمامنا.

لكن الفلكيين قاموا أيضاً بوضع أسماء عربية لنجوم كانت لها أسماء عربية، وقد درج الاسم الجديد الذي وضعه الفلكيون الأوروبيون في الفلك الحديث. فإذا نظرنا في الأطالس والكتب إلى بعض هذه النجوم نجد أنها تحمل اسماً عربياً، لكنه غير الاسم الذي عرفه عنه الفلكيون العرب. من أمثلة ذلك:

١- (ألفا التنّين) (Alpha Draco) فقد سمّاه العرب (الذيخ) وهو ذكر الضباع ولكن الفكليين الأوروبين سمّوه (Thuban) (الثعبان)، وأنت تجده باسمه هذا في كل الأطالس والكتب.

٢- ذنب الدبّ الأكبر مكوّن من ثلاثة نجوم في خط ملتو. النجم الأوسط من هذه الثلاثة سمّته العرب (العناق)، وهو الآن (زيتا الدب الأكبر). ولكن العالم جوزيف سكاليجر الذي كان ضليعاً في

اللغة العربية، وضع له اسماً جديداً هو (المئزر) (Mizar). وهي قطعة القماش التي يلفّ بها الإنسان وسطه. واسم هذا النجم الآن في كلّ الأطالس الفلكية والكتب، هو (Mizar).

٣- وبالمثل، فالنجم الثالث من الذنب الذي هو من جهة جسم الدب، (ابسلون الدب الأكبر) سمّته العرب (الجون). ولكن سكاليجر نفسه سمّاه (Alioth) ويفسّره (ألن) على أنه الألية، أي الدهن في مؤخرة الخروف.

ونحن إذا تصفّحنا الأطالس والكتب الفلكية الآن، ومرّ حديث عن هذه النجوم، نجد أن الأسماء العربية أمامنا هي تلك التي وضعها العلماء الأوروبيون وليست تلك التي عرفها الفلكيون العرب.

وقد استعملت شخصياً فيما كتبت الأسماء الجديدة التي وضعها العلماء الأوروبيون، وقصدي من ذلك هو تبسيط الأمور في عيني طالب الفلك العربي. فمن السهل عليه أن يعرف (Mizar) بأنها (المِئزر) و(Alioth) بأنها (الألية) و(Thuban) بأنها (الثعبان). وسيكون صعباً عليه أن يعرف أن هذه هي (العناق) و(الجون) و(الذيخ).

مهما يكن من أمر، فإن القضية توجب الاستشارة والاستنارة.

تلخيص

عندما يحاول الفلكي العربي أن يكتب في الفلك الحديث، يرى نفسه مضطرّاً إلى الرجوع إلى التراث الفلكي لكثرة ما يجد في مصادره الأجنبية من أسماء ومصطلحات عربية. الأبحاث التي قام بها العرب في التراث الفلكي العربي في

القرن العشرين قليلة جداً لا تكفي لكي يتخذ الكاتب مراجعه منها. معظم الأبحاث في هذا الصدد ومعظم نشر كتب التراث الفلكي العربي قام به غير عرب.

إذا عرف الكاتب هذه الحقائق كلّها أو كثيراً منها، وعزم على الكتابة في الفلك محاولاً إدخال كلّ ما عرف في التراث الفلكي العربي من أسماء ومصطلحات، فإنه سيجد أن بعضها صعب التطبيق وقد يخلق التباساً، أو أن هناك أسماء عربية أخرى وضعها الفلكيون الأوروبيون. فهل يستعمل هذه الأسماء المستحدثة أو تلك التي عرفها العرب؟

كما أن النجوم عند العرب كانت تعرف بالأرقام. لكنها أصبحت في الفلك الحديث تعرف بالأحرف اليونانية على مستوى عالميّ.

إن شرح هذه القضايا وارد في المقال، وموقف الكاتب واضح في كلّ قضيّة. لكن مخالفة التراث الفلكي العربي في بعض المواقف يحتاج إلى استشارة العلماء والاستنارة بآرائهم.

في التذكير وَالتأنيث: نظرة تاريخيّة في هَذه المسألة

للدكتور إبراهيم السامرائي

(عضو مؤازر في المجمع)

كنت قد عرضت لمسألة التذكير والتأنيث في العربية وأشرت إلى تاريخ هذه المادة في العربية وما يتصل منها باللغات السامية. وها أنا ذا أعود اليوم إلى هذه المسألة بسبب ما جدَّ من الاستعمال لبعض من الكلم مما خرج فيه المعربون عن سنن العربية. ومن ذلك ما قرأته وقرأه غيري في صحيفة (الدستور) الأردنية في مقالات متوالية نسبت في "الصحيفة" المذكورة إلى الدكتورة عائشة عبدالرحمن التي نعتت بـ"أستاذ" التفسير في جامعة القرويين. وعجبت أن تكون هذه الصفة "أستاذ" قد عريت من علامة التأنيث، وهي صفة لموصوف مؤنث.

وقد ذكّرني هذا الذي قرأته في "الدستور" الأردنية بما كان في مناقشات مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ سنوات كان الأعضاء يناقشون فيها طائفة من الكلم المعرّب. وكان من هذا الكلم كلمة "الدكتور" للمذكر والمؤنث. وكأن أصحابنا المجمعيين المصريين قد أقروا أن تكون الكلمة مما يستوي فيها المذكر والمؤنث. ولما كانت هذه المواد مادة نقاش انبرى جماعة من غير المصريين وأنا منهم إلى الكلام في هذا، فكان رأيهم أن تحلق هذه الكلمة علامة التأنيث فيقال: الدكتور فلان والدكتورة فلانة، وذلك لأن المعقول أن تتبع هذه الكلمة بعد تعريبها نظام العربية، ولما كنا قد حلّيناها بأداة التعريف فلِمَ نسلبها علامة التأنيث وهي ترجع إلى موصوف مؤنث؟

وبعد مناقشة قصيرة أجمع الأعضاء على أن تلحق هذا المعرّب علامة التأنيث، وقد كنت قرأت بأخرة في "مجلة المجمع العلمي الهندي"[1] بحثاً في مسألة "كتاب إصلاح الغلط في غريب الحديث" لابن قتيبة الدينوري، وصاحبة البحث أستاذة هندية اسمها "جميل النساء" في كلية النساء في الجامعة العثمانية في حيدرآباد، وقد نص في اسمها على "الدكتورة". وعجبت أن يكون أصحابنا الهنود أكثر منا حفاظاً على نظام العربية.

ولا بدّ من عود إلى مادة كلامي في "التذكير والتأنيث" فأقول:

المذكر والمؤنث من المسائل اللغوية التاريخية التي شغلت قسطاً غير يسير من اهتمام اللغويين والنحاة الأقدمين. ومن أجل ذلك حفلت كتب الفهارس القديمة بتصانيف أولئك الأئمة في مادة "المذكر والمؤنث"، فقد شغل "المذكر والمؤنث" أو "التذكير والتأنيث" مكاناً كبيراً من "كشف الظنون" مثلاً. وهذا يعني أن المشكلة ليست واضحة وضوحاً كافياً في أذهان أولئك المعلمين العلماء. وأن فيها شيئاً ينبغي الكشف عنه وتوضيحه. ومن أجل ذلك عمدوا في ذلك إلى ما يعمد إليه المعلم الذي يريد إيصال المعرفة إلى طلابه، فقد صنّفوا في المؤنثات فكان من ذلك "المؤنثات السماعية" فكتبوا فيها رسائل ما زلنا نقرؤها في أيامنا. وكان من ذلك ما أشاروا إليه في باب "ما يستوي فيه المذكّر المؤنّث". ولقد ظفرت العربية بمادة علمية مفيدة حين شارك النحويون أصحابهم اللغويين في ضبط هذه المسألة. ومن أجل ذلك عرفنا عن هذه المسألة في العربية أكثر مما نعرفه عنها في سائر اللغات السامية.

لقد برزت مشكلة المذكر والمؤنث في العربية بشكل واضح على نحو يثير كثيراً من المسائل بخلاف ما تكون عليه هذه المشكلة في اللغات السامية الأخرى،

---

(١) العدد المزدوج ١-٢ سنة ١٤٠٢ هـ، ص ص ٩٢-١٢٥.

ولعل السبب في كل ذلك أن العربية لغة كتبت لها الحياة وظلت قائمة خلال العصور حيّة متطورة، ولم يحدث شيء من هذا في تلك اللغات السامية شقيقات العربية فقد اندثر أغلبها ومات، ولم يبق منها إلا شيء يسير قليل الاستعمال، وذلك لأن هذه العربية الفصيحة قد طغت عليها وغلبتها.

قلت: إن المسألة تثير كثيراً من المسائل، وذلك لأنها تبزر شيئاً من التاريخ اللغوي. لكأن العربية القديمة كانت قد مرّت بمرحلة تاريخية لم تكن فيها مسألة الجنس في التذكير والتأنيث واضحة تمام الوضوح. وسأعرض لما يدلّنا على وجود هذه المرحلة كما لا نعدم النظر في اللغات السامية لنتبين ذلك.

ذكر النحويون الأقدمون أن الصفات على بناء "فَعيل"(٢) و"فَعول" مما يستوي فيها المذكر والمؤنث نحو: جديد، وجريح، وطريد، وكذوب، وصبور، وعدوّ. غير أن اللغة في تطوّرها عبر العصور احتاجت إلى التمييز بين المذكر والمؤنث حتى في هذين البناءين كما تدلّ على ذلك الشواهد الكثيرة، فصرنا نرى: صديقة وعدوّة وعجوزة وقتيلة، قال المتنبي:

لكِ اللهُ من مفجوعةٍ بحبيبها قتيلة شوقٍ غيرِ مُلحقِها وَصْما

وإذا كان المعربون قد وجدوا أن الحاجة تدعو إلى التمييز، ولا بدّ من التفريق بين المذكر والمؤنث بالعلامة الفارقة، فإن هذا يعني أن اللغة ماضية في هذا

---

(٢) ذكروا أنّ "فعيل" بمعنى "مفعول" يستوي فيه المذكر والمؤنث، ولكن الاستقراء دلّنا على أن "فعيل" بمعنى "فاعل" يدخل في هذا الباب، قال الشاعر:

فديتكِ أعدائي كثير وشُقَّتي بعيد وأشياعي لديكَ قليلُ

ومثله قوله تعالى: "إن رحمة الله قريب من المحسنين" ٥٦ سورة الأعراف.

الطريق من التطوّر الحتمي. ومن أمثلة ذلك كلمة "عروس"، وهي نعت يستوي فيه الرجل والمرأة، وفي "الصحاح" ما داما في إعراسهما. يقال: رجل عروس في رجال أعراس وعُرُس، وامرأة عروس في نسوة عرائس، فكأنهم ميّزوا في الجمع بين المذكر والمؤنث. وفي المثل: "كاد العروس يكون أميراً، وفي الحديث: "فأصبحَ عروساً"[٣].

غير أنّ هذه الكلمة خُتمت بعلامة التأنيث في عصرنا في اللغة السائرة في جملة بلدان عربية، فأنت تجد "العروسة" في صحف لبنان وسورية ومصر. وقد بلغ بهؤلاء حرصهم على التمييز أنهم أحدثوا بناء جديداً خاصاً بالمذكر فقالوا: "عَريس" بتخفيف الراء، كما قالوا: "عِرِّيس" بكسر العين وتشديد الراء، وهذه الأخيرة خاصة بالعراقيين.

وفي العربية جمهرة من الصفات مما يجري للمؤنث والمذكر على السواء دون أن يختم المؤنث بعلامة التأنيث. قال الليحاني[٤]: ما كان على "مفعال" فإن كلام العرب والمجمع عليه بغير هاء في المذكّر والمؤنّث إلا أحرفاً جاءت نوادر قيل فيها بالهاء نحو: رجل معطاء وامرأة مِعْطاء، ومن ذلك ناقة مِرْقال، أي شديدة العدو، وناقة مِرسال أي سهلة السير ويجري هذا على المذكر فيقال: جمل مِرقال ومِرسال، ومن ذلك أيضاً قولهم: فرس ممراح وناقة ممراح أي نشيطة، كمال يقال: فرس مِمْرح ومِمروح. ويقال: سيف مئناث، أي حديدية ليّنة، وسيوف مئناثة، وهذا

---

(٣) انظر "اللسان" مادة (ع ر س).

على أن العلامة قد ألحقت ببناء "فَعول" فقد ورد: ناقة "حلوب" أي ذات لبن، فإذا صيّرتها اسماً قلت: هذه "الحلوبة" لفلان، وقد يخرجون الهاء من "الحلوبة" وهم يعنونها، ومثله "الركوبة" و"الركوب" لما يركبون.

(٤) اللسان مادة (ع ط و).

من جملة هذه الألفاظ القليلة التي يختم فيها بناء "مفعال" بعلامة التأنيث. ومنه رجل معطار وامرأة معطار ومعطارة.

وأكبر الظن أن علامة التأنيث لم تحلق هذه الألفاظ القليلة إلّا في حقبة لاحقة للأحقاب الأولى التي لم يسجل فيها هذا الفرق بين المؤنث والمذكر.

وإذا استقرينا أبنية الصفات التي لا تلحقها علامة التأنيث وجدناها كثيرة، فمن ذلك ما كان على "مِفعَل" نحو "مِغشَم"، والمِغشم من الرجال الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عما يريد ويهوى من شجاعته، قال أبو كبير:

ولقد سَرَيتُ على الظلام بمغشَمٍ جَلْدٍ من الفتيان غير مُثَقَّلِ

ومنه ما كان على "مُفعِل" من صفات المؤنث نحو "مُطفِل" وهي ذات الطفل من النساء.

ومنه "مُغْيِل" كقول امرئ القيس:

فمثلُـــكِ حُبلَـــى طَرَقـــتُ ومُرضِـــعٌ	فألهَيْتُهـــا عـــن ذي تمـــائمَ مُغيِـــلِ

و"المطفل" من الإبل ما كان معها أولادها، والجمع "مَطافِل" و"مَطافيل"، وقد جاء في مصادر العربية "مُطفِلة" بالعلامة أيضاً، ويغلب على ظني أن هذا كان قليلاً، وربما كان في لغة الشعر للحاجة إليه كما هو معروف.

ومن ذلك أيضاً "مُرْضِع" كما في بيت امرئ القيس الذي تقدم، و"المُرضع" التي تُرضع ولدها، وكأنها تختلف عن "مرضعة" إلى كل من أرضعت طفلاً أمّاً كانت أم غير أمّ، ومن ذلك ما ورد في لغة التنزيل: "يومَ تَرونها تذهَلُ كلُّ مُرضعةٍ

عمّا أرضَعَت"[٥]، وكذلك قوله تعالى: "وحرَّمْنا عليه المراضع"[٦]، فهي جمع "مُرضعة".

ومن ذلك قولهم: امرأة "مُحيل" وناقة "مُحيل" و"مُحوِل"، وهي من النساء من ولدت غلاماً على أثر جارية، أو جارية على أثر غلام[٧].

ويقال: ناقة "مُبْلِم" "مِبْلام"، وهي التي لا ترغو من شدّة الضَّبعة[٨].

ويقال: امرأة "مُملِص"، وهي التي رمت ولدها لغير تمام، فإن كان ذلك عادة فيها قيل: "مِملاص". وكذلك يقال: ناقة "مُملِص" في المعنى نفسه[٩].

ويقال: جارية "مُعصِر"، وهي التي دنا حيضها، قال عمر بن أبي ربيعة:

وكـــانَ مِجَنّـــي دون أتّقـــيهُمُ ثلاثُ شخوصٍ كاعبانِ ومُعصِرُ[١٠]

ومن أقوالهم: "ما بالدار عَريب ومُعرب" أي ما بالدار من أحد، الذكر والأنثى فيه سواء، ولا يقال في غير النفي[١١].

ويقولون: ناقة "مُمرِج"[١٢] إذا ألقت ولدها بعدما صار غرساً ودماً.

---

(٥) ٢ سورة الحج.

(٦) ١٢ سورة القصص.

(٧) اللسان مادة (حول).

(٨) المصدر السابق مادة (بلم).

(٩) المصدر السابق مادة (ملص).

(١٠) انظر الديوان، واللسان مادة (عصر).

(١١) اللسان مادة (عرب).

(١٢) المصدر السابق مادة (مرج).

ومن الأبنية الخاصة بالمؤنث بناء "فاعل" والاستقراء يدل على هذا. وهذا البناء عار من علامة التأنيث إلّا في أحرف قليلة كما سنتبين ذلك.

ومن هذا ما جاء من صفات المرأة نحو: حامل، وكاعب، وطالق[١٣]، وناشز، وعانس[١٤]، وعائق[١٥]، وغير ذلك مما هو معروف في كتب اللغة ومعاجمها.

ومن صفات الناقة نحو: "حائل" وهي التي حمل عليها فلم تلقح، وقيل: هي الناقة لم تحمل سنة أو سنتين. ومنها "لاقح" ومثلها "القارح"[١٦] وهي اللقوح الحامل، الحامل، ويقال: نخلة "حائل".

ومن صفات الفرس والحصان "سابق" و"لاحق" وهما للذكر والأنثى.

وفي العربية أبنية أخرى تُجرى مجرى النعوت والأسماء معاً، وهي ممّا يستوي فيها المذكّر والمؤنث، ومن ذلك ما جاء على "فَعال" نحو: "حَصان" للعفيف من الرجال والنساء و"وَقاح" للرجل والمرأة.

ومن ذلك أيضاً لفظ "قدَم"[١٧] لمن يتقدّم في الخير، وهي للرجل والمرأة. وكذلك قولهم: "طفل" للذكر والأنثى والجمع[١٨]، ومثل هذا كلمة "وَلَد" للمذكر والمؤنث ولأكثر من واحد[١٩].

---

(١٣) وقد سمع "طالقة" بالعلامة كما في قول الأعشى:

أبا جارتا بيني فإنكِ طالقةْ

(١٤) وقد سمع: رجل "عانس"، إذا طال مكثه ولم يتزوج.

(١٥) وهي التي في بيت أبويها، ولم يقع عليها اسم الزوج، انظر اللسان.

(١٦) انظر اللسان مادة (قرح).

(١٧) وقد ورد: امرأة "قَدَمة"، انظر اللسان (قدم).

(١٨) ومنه قوله تعالى: "أو الطفل الذين لم يَظهَروا على عورات النساء" ٣١ سورة النور، وقالوا "طفلة" للجارية الحسناء.

ولعل بناء "مفعيل" أكثر ما ينصرف للمذكر نحو "مِعطير" و"منطيق"، غير أن "مِسكين" ينصرف للمذكر في حين قالوا: "مسكينة" للمؤنث(٢٠).

وعلى العكس من ذلك نجد "أتراباً" في قوله تعالى: "عُرُباً أتراباً"(٢١)، فتنصرف "الأتراب" وهي جمع "تِرْب" إلى المؤنث على الأكثر، وقيل: "تِرْب" للرجل الذي ولد معه. وكذلك "الظَّئْرْ" للعاطفة على غير ولدها، المرضعة له من الناس والإبل، وقالوا: الذكر والأنثى فيها سواء(٢٢).

ويبدو من هذا العرض لهذه الأمثلة أن المؤنث لا يميّز عن المذكّر تمييزاً تاماً بالعلامة، وليست العلامة إلّا شيئاً لحق الاسم في ألفاظ يسيرة من هذه الأبنية التي أشرنا إليها. وأغلب الظن أن هذا اللحاق حصل في حقبة لاحقة للحالة الأولى التي لم تكن فيها هذه الأبنية قد عرفت العلامة.

ولعلّ هذا يتّضح من البحث في المسائل اللغويّة التاريخية، ومن ذلك أنهم ذكروا أن: "زوج" المرأة بعلها، و"زوج" الرجل امرأته. وقد أثبت اللغويون هذا، وبه قال "الأصمعي وأنكر "زوجة" بالهاء" وزعم الكسائي عن القاسم بن معن: أنه سمع من أزدشنوءة بغير هاء وبالهاء، وحجة الأصمعي أن الكلمة وردت بغير هاء في لغة التنزيل كما في قوله – عز وجل–: "ويا آدَم اسكن أنت وزوجك الجنة"(٢٣)،

---

(١٩) دلالة الولد على الإفراد والجمع بنوعيها كثير وهو يبدو واضحاً في جملة من الآيات وإن كان في الدلالة عموم ينصرف إلى الإبهام كقوله تعالى مثلاً في الآية ٢٣٣ من سورة البقرة: "لا تضارَّ والدة بولدها، ولا مولود له بولده".

(٢٠) وقالوا: "مسكينة" فشبّهوها به "فقيرة"، انظر اللسان (سكن).

(٢١) ٣٧ سورة الواقعة.

(٢٢) انظر اللسان (ظئر).

(٢٣) ١٩ سورة الأعراف.

وقوله تعالى: "أمسِكْ عليكَ زوجك"[٢٤]، وقوله تعالى: "وإن أردتم استبدال زوجٍ مكان زوج[٢٥]، وقالوا: هي بالهاء لغة بني تميم وبهذا قال الفرزدق:

وإن الذي يسعى ليفسدَ زوجتي كساعٍ إلى أُسد الشرَى يستبيلهُا

وقال ذو الرمة:

أذو زوجةٍ بالمِصْرِ أم ذو خصومةٍ أراكَ لها بالبصرةِ العامَ ثاويا

ولا بدّ أن نعود إلى علامة التأنيث لنتبين أصالتها واختصاصها بالتأنيث. لقد ذكر الأقدمون من اللغويين والنحويين أن علامة التأنيث: الهاء والألف المقصورة والألف الممدودة. وقولهم: "الهاء" يشير على أنها الأصل في التأنيث، وأنها تتحوّل تاء "في الكلمة الواقعة في درج الكلام وفي غير الوقف. ومثل هذا في لغات سامية أخرى كالعبرانية مثلاً فالكلمة "شانا" تعنى "سنة" في العربية، وهي كلمة مؤنثة مختومة بالهاء، حتى إذا كانت في حشو جملة تحوّلت الهاء في آخرها كما في الرسم العبري שָׁנָה إلى تاء فصارت "شنت" والهاء في الكلمة العبرية كنظيرتها في العربية لا تنطق.

أقول: لا علاقة بين الهاء أو (التاء) علامةً للتأنيث وبين الألف مقصورة وممدودة علامة أخرى للتأنيث من الناحية الصوتية. وليس في نحو اللغات السامية هذه الألف مقصورة أو ممدودة علامةً للتأنيث إلا ما كان في السريانية من وجود الألف المقصورة فكلمة "ليلا" مؤنثة بمعنى "الليل".

وإذا عدنا إلى الهاء أو التاء علامة التأنيث في العربية وغيرها من هذه اللغات وجدنا أن هذه العلامة تقتضي أن يكون ما قبلها مفتوحاً. ومن هنا كان علينا أن

---

(٢٤) ٣٧ سورة الأحزاب.

(٢٥) ٢٠ سورة النساء.

نعقد صلة صحيحة بين هذا الفتح وبين الألف مقصورة وممدودة من حيث كونها علامة للتأنيث.

وإذا كانت "الهاء" وهي علامة للتأنيث لا تنطق إلّا إذا تحوّلت تاءً في درج الكلام فإن ذلك يدعونا إلى أن نعدّ الفتح علامة للتأنيث في آخر الكلمة(٢٦). وهكذا يكون الفتح قصيراً أم طويلاً من لوازم التأنيث. وإذا علمنا أن الناس يتفاوتون في مدّ الفتح في آخر الاسم أو في أوله أو حشوه، فإننا نستطيع أن نفسر أن الألف المقصورة تتولّد من مدّ الفتحة الأخيرة قليلاً ثم يطول المدّ فتتولد الألف الممدودة(٢٧).

غير أن الألف المقصورة للتأنيث(٢٨) لا تكون في الوصف إلا في مؤنث "أفعَل" أفضل وفُضْلَى. وأوّل وأولى وأكبر وكُبْرى وغيرها. وعلى هذا لا تكون هذه الألف المقصورة منقطعة للتأنيث فقد تختم بها كلمات كثيرة مذكرة وليس بنا حاجة إلى التمثيل فذلك متعالَم متعارف. ومثل هذا يقال في الألف الممدودة فقد ترد علامة للتأنيث كما ترد في كلمات كثيرة ولا تفيد التأنيث. ألا ترى مثلاً أن

---

(٢٦) تظهر الفتحة في آخر الاسم المؤنث قبل العلامة، وهذا صفة غالبة يستثنى من ذلك ما كان ثنائياً أحادي المقطع نحو: بنت وأخت والنون والخاء ساكنان.

(٢٧) قلت: إن الألف المقصورة تتولد من إطالة الفتحة. ومما يؤيد هذا أننا نجد العربية حافلة بالألفاظ التي عرض لها المدّ فتولد من ذلك صورة ممدودة للكلمة نحو قولهم: يَمَن ويمان، وزَمَن وزمان، ومن هذا الكثير من الكلم التي حفلت بها العربية.

(٢٨) إن الألف المقصورة تتولد من إطالة الفتح، ويؤيد هذا ما نجده في العربية من الكلم، ذلك أن "ليلة" تتحول إلى "ليلَى" فاختصت بالعلم المؤنث، ويؤيد هذا أن الكلمة في العبرانية والآرامية مؤنثة وهي "ليلا" وليس في هاتين اللغتين نظير المذكر "ليل" في العربية، وتمد هذه الألف المقصورة (أي الفتح) حتى تتحول إلى ما أسموه ألف التأنيث الممدودة فتكون "ليلاء"، وأجريت مجرى الصفة فقالوا: ليلة ليلاء، وليس هناك وصف على "أليل"، ويدلنا على هذا ما نجده في كتب اللغة نحو: البؤس والبؤسَى والبأساء، والنُعْم والنُعمَى والنعماء. وقد أطالوا الفتح من "سَمحة" فتولدت "سَمْحاء" فقالوا الشريعة السمحاء، وليس في العربية "سَمْحاء".

"خُشَشاء"[٢٩] و"الجمّاء" في قولهم: جاءوا الجمّاء الغفير، ومنه "الحِرْباء" للمذكر والمؤنث[٣٠].

وجاءت هذه الألف في جموع التكسير وأفراد تلك الجموع مذكرة نحو "رُحمَاء" جمع رحيم، و"أطباء" جمع طبيب[٣١].

وقد نخلص من النظر في علامة التأنيث إلى أنها غير مختصة بالمؤنث، ومعنى هذا أنها ليست ذات أصالة في التأنيث. إننا نجد هذه التاء في طائفة كبيرة من الأسماء فلا نتوسم فيها دلالة التأنيث، ومن ذلك التاء في الراوية والباقعة والعلّامة والفهّامة ونحو ذلك. ثم إن هذه التاء تكون في طائفة من أسماء الجمع مما يمكن أن تحلق بأبنية التكسير نحو "المارة"[٣٢] أي المارّون، و"السيّارة" كما في قوله تعالى: "يلتقطه بعض السيّارة"[٣٣] وكالتاء في "الملائكة" و"الأساتذة" و"التلامذة"[٣٤]، والتاء في نحو "البغادة و"المغاربة" وغيرها[٣٥].

وقد تؤدي هذه التاء فوائد أخرى ما خلا التأنيث، فمن ذلك إفادتها الوحدة كالتاء في نحو: "التمرة" و"الشجرة" لكل واحدة من التمر وواحدة من الشجر.

---

(٢٩) الخُشّاء والخُشَشاء عظم بارز خلف الأذن.

(٣٠) أنثوا "الحِرباء" على "الحِرباءة" وكأن التاء جيء بها لإفادة الوحدة.

(٣١) علل النحاة عدم تنوين هذه الجموع المختومة بالهمزة فقالوا: إن ألفها ألف تأنيث ممدودة.

(٣٢) أقول: هذا من أبنية الجموع القديمة في العربية وما زال معروفاً في الفصيحة والألسن الدارجة، فالمعروف أن العراقيين يستعملون "العَمّالة" جمعاً للعامل المختص بالبناء، ومثل هذا الصاغة والباعة جمعا صائغ وبائع، وهو كثير في العربية القديمة ومنه "الراح" و"الهام" و"الساع" و"الساح" وغيرها جموع: راحة وهامة وساعة وساحة، والغريب في هذا أن صيغة هذه الجموع قد سقطت منها علامة التأنيث في الأسماء المفردة.

(٣٣) ١٠ سورة يوسف.

(٣٤) التاء في "الملائكة" و"التلامذة" و"الأساتذة" تشير إلى الأصل الأعجمي.

(٣٥) التاء في "البغادة" ونحوها تشير إلى أن المفرد منسوب "بغدادي".

وقد تلمح هذه التاء معنى القلّة والصغر، وذلك في الأسماء المصغّرة للمؤنثات التي لم تلحقها العلامة وهي مكبّرة مما أطلق على طائفة منها "المؤنثات السماعية"، فمن ذلك قالوا: "سويقة" في تصغير ساق أو سوق[٣٦]، وكذلك "عُيَيْنة" في تصغير "عين"، و"عُيَينة" من أسماء الرجال ومن ذلك سفيان بن عيينة من مشاهير التابعين.

ومن هذا "أُذَينة" تصغير "أُذن" و"أُذَينة" من أسماء الرجال في العربية القديمة، ومن ذلك عروة بن أذينة من الشعراء الإسلاميين.

ومن الغريب أن المعاصرين قد جهلوا هذه القاعدة التي تقضي بإلحاق علامة التأنيث في المصغر الذي خلا أصله من العلامة[٣٧]، ولذلك صغّروا "أُذن" على "أُذَين" فقالوا: "الأُذَين الأيمن" و"الأذَين الأيسر" كما في الكتب المدرسية، وجعلوا هذا المصغّر مقابلاً لـ"بُطَين" في قولهم "البُطين الأيمن" و"البطين الأيسر"، غير أن تصغير "بطن" على "بطين" صحيح لأن "البطن" مذكر في العربية الفصيحة، وهي مؤنثة في الألسن الدارجة، والفصيحة المعاصرة على التجاوز والخطأ.

وكأني ميّال إلى أن أقرّر أن التأنيث بالعلامة طارئ في العربية من الناحية التاريخية كما هو طارئ في غير العربية من اللغات السامية كما سنرى، وعلى هذا نستطيع فهم كثير من أبنيتهم التي عريت عن العلامة من صفات المؤنث كقولهم: امرأة رَداح ورَداحة ورَدوح.

وقولهم: قوس ركوض، وناقة مرواح، وهي التي تبرك من وراء الإبل.

---

(٣٦) حفل "معجم البلدان" بأسماء مواضع وحواضر صدرت بـ"سويقة" تصغير سوق. ومن ذلك: سُوَيقة خالد بباب الشماسية ببغداد، وسويقة العباسة (أخت الرشيد) وغيرهما.

(٣٧) هذه قاعدة شاملة عامة في العربية، ولم أقف على الشواذّ منها إلّا كلمة "قوس" وهي مؤنثة ومن غير علامة ولم يسمع تذكيرها، ولكنهم قالوا في تصغيرها "قُوَيس" ولم يؤثر عنهم "قُويسة".

وقولهم: ناقة مُشمعِلّ، أي سريعة كما قالوا: مشمعلة، وأكبر الظن أن هذه الأخيرة حادثة وليست قديمة.

وقولهم: ناقة شائل، وهي التي تشول بذنبها للفحل، وكنا قد رأينا أن كثيراً من نعوت الناقة قد عريت عن العلامة.

وإذا جئنا إلى الفعل في العربية ونظرنا في مسألة اتصاله بتاء التأنيث في حال كون الفاعل مؤنثاً، وجدنا هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح، وهي أن العلامة ليست شيئاً لازماً، وهذا يوضح لنا شيئاً من التطور التأريخي في تقرير هذه المادة اللغوية. ولنعرض للغة القرآن ونتخذها مادة نخلص منها إلى فائدة تاريخية في هذه المسألة، ولنتلو قوله تعالى في جملة "من الآي الكريم":

"وقال نسوةٌ في المدينة" ٣٠ سورة يوسف.

"يا أيها النبيّ إذا جاءك المؤمنات" ١٣ سورة الممتحنة.

"لقد جاءت رُسُل ربّنا بالحقّ" ٤٣ سورة الأعراف.

"قل قد جاءكم رُسُل من قبلي بالبيّنات" ١٨٣ سورة آل عمران.

"ولقد جاءتهم رُسُلنا بالبيّنات" ٣٢ سورة المائدة.

"فإن زللتُم من بعد ما جاءتكم البيّنات" ٢٠٩ سورة البقرة.

"وجاءَهم البيّنات" ٨٦ سورة آل عمران.

"وقال طائفة من أهل الكتاب" ٧٢ سورة آل عمران.

"فإذا بَرزوا من عندك بيَّتَ طائفة منهم" ٨١ سورة النساء.

أجتزئ بهذا القدر من شواهد لغة التنزيل لأتخذ منها أمثلة على عدم لزوم هذه التاء لبيان المؤنث لزوماً مطلقاً مطرداً، وفي هذا دليل على حدوث هذا وعدم

أصالته. غير أن النحويين قد قرروا ما وجدوه في العربية فأفادوا منه قواعدهم في وجوب تأنيث الفعل وجوازه، كما حاولوا أن يكون استقراؤهم في هذه المسألة مستوعباً جميع الأحوال.

ولنعرض الآن لطائفة من الكلم القديم لنقف فيه على التأنيث والتذكير مع النظر في اللغات السامية.

ولنقف على كلمة "جَمَل" وهو الحيوان المعروف، وهو مذكر والمؤنث هو الناقة، ولكننا لا نعدم أن نجد في العربية أن "الجمل" قد أطلق على المذكر والمؤنث، وقد سُمع من قولهم: "لبن جَمَلي"(٣٨). واللفظ (جمل) gamla في العبرانية والسريانية يدل على المذكر والمؤنث.

ومثل "الجمل" "البعير" يتصرف للمذكر والمؤنث، وهو في العبرانية "بعْير" مذكر، وفي السريانية "بعْيرا" يراد به جملة الدواب العاملة.

ولا بدّ أن نقول: إن كل ما يتصل بالناقة في العربية من أسماء قد خلا من التاء في الغالب.

و"الحصان" مذكر في العربية، و"الفرس" لفظ يطلق على الذكر والأنثى، وذكر سيبويه: أنه يقال في العدد ثلاثة أفراس، وقال ابن سيده: إنها أكثر ما تتصرف للمؤنث.

وفي العبرانية "Parach" مذكر، ومثله "سُوس" بمعنى حصان، ومؤنثه "سوسا"، وأما في السريانية "سوسا" و"سوستا" .

و"الكبش" مذكر، وهو كذلك في العبرانية "كِبِش"، وفي السريانية "كِبشا". وفي هذه الأخيرة لفظ مؤنث هو "نِقيا"، وقد قيل إنه كذلك في اللغة الآشورية.

---

(٣٨) اللسان (ج م ل).

ونجد في العبرانية لفظاً مؤنثاً هو "راحَيل" ويعني "العَنزة"، وربما يقابله في العربية "رِخْل" أو "رَخْل" للأنثى من ولد الضأن، وهي من غير أداة، وقد تختم بالأداة فيقال: "رِخْلة" أو "رَخْلة" .

و"الحِمار" مذكر، والمؤنث "أَتان".

وفي العبرانية " حْمُور" للمذكر، و"أَتُون" للمؤنث، وفي السريانية "حُمارا"، للمذكر و"أتانا" للمؤنث. كما ولّدوا "حْمارتا" بالأداة للمؤنث تمييزاً وتنبيهاً وجرياً على المؤنثات الأخرى المولّدة بعد الأصول القديمة.

وأكبر الظنّ أن "الحِمار" في العربية كان لكلا الجنسين، ثم غلب على المذكر في الاستعمال، ويدلّنا على هذا قولهم: "حِمارٌ جَمَزَى" أي سريعة، وكون الصفة للتأنيث تدل على أن الموصوف مؤنث، كما قالوا: "حمارٌ حَيَدَى"(٣٩)، أي يحيد عن ظلّه لنشاطه. غير أنهم قالوا: "حمارة" بالعلامة تأكيداً للمؤنث واختصاصاً به، كما قالوا: "أتانة" تأكيداً للمسألة نفسها، مع العلم أن "الأتان" مؤنث الحمار.

و"الضَّبُع" مؤنث في العربية، والمذكر "ضِبْعان"(٤٠)، وربّما صرفوا "الضَبُع" للمذكر والمؤنث.

---

(٣٩) اللسان (ح ي د)، قال الأصمعي: لا أسمع "فَعَلَى" إلّا في المؤنث إلّا في قول الهذلي:

كأنّي ورحْلي إذا رُعتُها على جَمَزَى جازئٍ بالرمالِ

وخطّأ الكسائي استعمال "جَمَزَى" صفة للجملِ، وهذا مثل قول الأصمعي. وجاء أيضاً: إن ما جاء على هذا الباب نحو: جَمَزَى وبَشَكَى، وزَلَجَى ومَرَطَى من صفات الناقة دون الجمل (انظر اللسان ج م ل).

(٤٠) في العربية طائفة من هذه الألفاظ المختومة بالألف والنون، من أسماء الحيوان، وكلها مذكر، منها ثُعلبان وأفعوان وغيرها.

وهو "أَيْعَى" في السريانية وهو مؤنث. و"صَبُوع" في العبرانية مذكر ومؤنث. و"السَّبُع" مذكر، والأنثى "لَبُؤَة" كما أن هناك "أَسَد" للمذكر والمؤنث، ولا نعدَم أن نجد "أَسَدة" مختوماً بالعلامة. وفي العربية طائفة من الألفاظ تعني "الأسد" وهي أسماء كما نجد طائفة أخرى من النعوت الخاصة بالأسد. ومن أسماء الأسد "الليث" للمذكر، والمؤنث "لَبْأَة"، ومثل هذا نجد "لايش" في العبرانية للمذكر، و"لا بيأ" للمؤنث.

ومن المفيد أن نعرض لما يسمى "خَلْق الإنسان" لنتبين التذكير والتأنيث في جملة "الأعضاء" ونشير إلى الفوائد اللغوية في مقابلة العربية بغيرها من مجموعة اللغات السامية:

"يَدْ" وهي مؤنثة في العربية، وكذلك في العبرانية إلا شذوذاً، وأما في الآرامية الإنجيلية فهي مذكر ومؤنث.

"رِجْل" وهي مؤنثة في أغلب اللغات السامية.

"كَتِف" وهي مؤنثة في العربية، وكذلك في العبرانية والسريانية.

"ذراع" وهي مؤنثة في العربية والعبرانية، ولكنها مذكر في السريانية "ذرْاعا".

"أُذُن" مؤنثة في العربية وسائر اللغات السامية.

"سِنّ" مؤنثة في العربية والسريانية، ولكنها تتردد بين التذكير والتأنيث في العبرانية.

ونفيد من هذا العرض الموجز لهذه الطائفة من الأسماء أن التأنيث والتذكير مادة غير مستقرة في اللغات السامية، وليست العلامة واضحة كل الوضوح في طائفة كبيرة من الألفاظ، وعلى هذا فإننا نستطيع أن نقرر ما كنا قد أشرنا إليه في أول هذا البحث فنقول: إن المؤنث اكتسب صورته الأخيرة حين ختم بالعلامة، وذلك بعد أن تطوّرت هذه اللغات تطوراً اقتضى التمييز في هذه المسألة.

غير أن النحويين حاولوا أن ينظروا نظرة أخرى فيخضعوا الأحوال الغالبة إلى ما يشبه القواعد، ولكنهم لم يفلحوا كثيراً، فقد حملوا على الشذوذ كل ما لم يستطيعوا القول فيه، أو أنهم قالوا: إن ذلك خاص بالشعر.

لقد ذكروا في باب الفاعل: أنه إن كان مؤنثاً أنِّث فعله بتاء ساكنة في آخر الفعل الماضي، وبتاء المضارعة في أول المضارع.

ويجب ذلك في مسألتين:

إحداهما أن يكون ضميراً منفصلاً، نحو: "هند قامت، أو تقوم" و"طلعت الشمس أو تطلُعُ" بخلاف المنفصل نحو: "ما قام إلّا هي"، ويجوز تركها في الشعر إن كان التأنيث مجازياً كقول عامر بن جُوين الطائي:

فـــلا مزنـــةٌ ودَقَـــت وَدْقَهـــا ولا أرض أبقَـــلَ إبقالُهـــا

وكقول الأعشى:

فأمـــا ترينـــي ولـــي لِمّـــةٌ فـــإنّ الحـــوادثَ أودَى بهـــا

والثانية: أن يكون متصلاً حقيقي التأنيث نحو: "قالت فاطمةُ" أو "تقول فاطمة". وشذّ: "قال فلانةُ".

ويجوز الوجهان في مسألتين: إحداهما: المنفصل كقول جرير:

لقد وَلَدَ الأخيطلَ أمُّ سوءٍ .....

ونحو قولهم في مثالهم المصنوع: "حَضَر القاضي اليومَ امرأة" وقالوا: هنا التأنيث أكثر، فإن كان الفصل بـ"إلّا" فالتأنيث ممتنع، وورد في الشعر كقول الراجز:

ما برئت من ريبةٍ وذمِّ في حربنا إلّا بنات العَمِّ

وجوّزوه في النثر كقراءة من قرأ: "إن كانتْ إلّا صيحةٌ" ٢٩ سورة يس.

وكقوله تعالى: "فأصبحوا لا تُرى إلّا مساكنُهم" ٢٥ سورة الأحقاف.

والثانية: المجازي التأنيث، وحشروا في هذا القسم ما كان اسم جنس واسم جمع وجمعاً نحو قوله تعالى: "كذَّبَت قبلهم قوم نوح" ١٠٥ سورة الشعراء.

وقوله تعالى: "قالت الأعراب" ١٤ سورة الحجرات.

وقوله تعالى: "وكذَّبَ به قومُك" ٦٦ سورة الأنعام.

وقوله تعالى: "وقال نسوة..." ٣٠ سورة يوسف.

كما نجد قوله تعالى: "... إلّا الذي آمنت به بنو إسرائيل" ٩٠ سورة يونس. وقوله تعالى: "إذا جاءك المؤمنات" ١٢١ سورة الممتحنة. وجملة هذه النصوص أفاد منها النحويون فوضعوا قواعدهم دون أن يحاولوا تفسيرها أو تعليلها. وهم في هذه المسألة كانوا مقررين قد وصفوا ما وجدوه واستقروه على غير عادتهم التي جروا عليها.

وذكروا في باب الإضافة: أن المضاف يكتسب من المضاف إليه التأنيث واستشهدوا بمثلهم المصنوع: "قُطِعت بعضُ أصابعه"، وكان عليهم أن يرجعوا إلى

النصوص الفصيحة ليجدوا بديلاً له في قوله تعالى: "وجاءت كلُّ نفسٍ معها سائق وشهيد" ٢١ سورة ق.

وما أظنّ أن قول النحويين في هذه المسألة وجيه، إذ ليس المضاف مكتسباً للتأنيث، وحقيقة الأمر أن سليقتهم ساقتهم إلى مراعاة الفاعل في المعنى وهو "نفس" وليس "كلّ".

وذكروا أيضاً أن المضاف يكتسب التذكير من المضاف إليه وجعلوا منه قوله تعالى: "إنّ رحمة الله قريب من المحسنين" ٥٦ سورة الأعراف.

وليس الأمر كذلك، فلم يكتسب المضاف تذكيراً، وذلك لأن الإخبار بـ"فعيل" هو الذي جرّهم إلى هذا القول الضعيف. وقد أشرنا إلى أن "فعيل" من أبنية الصفات لا تلحقه الأداة سواء كما بمعنى "فاعل" أو "مفعول"، وفي النصوص القديمة ما يؤيد هذا تأييداً تامّاً كما بيّنا. وعلى هذا نستطيع أن نحمل الشاهد النحوي القديم:

خبيرٌ بنو لِهْبٍ فلاتك مُلغياً مقالةَ لِهْبيٍّ إذا الطيرُ مرَّتَ

ولا حاجة أن نبتعد كثيراً في التوجيهات النحوية التي لم تسلم من التكلّف البيّن. وقد أسلفت أن التأنيث في العربية بالأداة غير واضح، وأن مسألة التأنيث والتذكير لكثير من الألفاظ مسألة اعتبارية، ونستطيع أن نختم هذه النظرة بما عرف عند اللغويين بالمؤنثات السماعية التي لم يتفق على الكثير منها، فقد قالوا مثلاً:

"النفس" مؤنثة على قدر اللفظ، ومذكرة على قدر الرجال، فيقال:

ثلاث أنفس وثلاثة أنفس.

و"الروح" مذكر، وعلى مذهب النفس مؤنثة. و"الروح" جِبريل مذكر، و"الروح" عيسى – عليه السلام – مذكر.

و"العُنُق" يذكر ويؤنث، والتذكير أغلب.

و"اللسان" يذكر ويؤنث، والجمع على التذكير "ألسنة" وعلى التأنيث "ألسن".

و"الذراع" مذكر ومؤنث.

و"المتن" مذكّر ومؤنث.

و"القضا" يذكّر ويؤنث.

و"الضِّرْس" مذكر، وربّما أنثوه على معنى السن.

و"الأضحى" يؤنث ويذكر (وهو جمع الأضحاة بمعنى الضحية أو الأُضحية).

و"الخَمر" مؤنثة، ويقال: "خمرة"، وقد تذكَّر.

و"السلطان" يذكّر ويؤنّث.

و"السبيل" يذكّر ويؤنّث.

و"الطريق" يذكّر ويؤنّث.

و"الشّاء" مذكر (والهمزة بدل) وقد تؤنّث على مذهب الغنم.

و"القَليب" مذكر ومؤنث، وجمعه أقلبة وقُلُب.

و"الذَّنوب" يذكّر ويؤنث، والجمع أذنبة.

و"الحال" مؤنثة وتذكّر، ويقال لها: الحالة.

و"الدِّرع" مؤنثة وتذكّر.

و"الفردوس" مذكر، فإن قصدَت الجنّة أنَّثت.

و"السوق" مؤنثة وقد تذكَّر.

و"الصاع" مذكر ومؤنّث.

و"السكِّين" مذكر وقد يؤنث. فأما "سكّينة " فجديد محدث، وقد أنّثت إرادة الآلة والأداة.

و"السِّلمُ" مذكر، وبعض العرب يؤنث، وبذلك تشعر الآية الكريمة:

"فإن جَنَحوا للسِّلم فاجنَح لها".

و"السَّمَك" مذكرٌ وقد يؤنث.

و"الطاغوت" مذكر ويؤنث.

و"الحانوت" مذكّر ويؤنث.

و"الفُلك" واحد وجمع، ومذكر ومؤنث، وشواهده في لغة التنزيل تؤيد ذلك قال تعالى:

"والفُلْك التي تجري في البحر بما ينفع الناس" ١٦٤ سورة البقرة.

"حتى إذا كنتم في الفُلك وجَرَينَ بهم" ٢٢ سورة يونس.

"وترى الفلك مواخرَ فيه" ١٤ سورة النحل.

"فأنجيناه ومن معه في الفُلك المشحون" ١٩ سورة الشعراء.

ومثل "الفلك" "النخل" في لغة التنزيل، ومنه قوله تعالى:

"ومن النخل من طلعها قِنوان دانية" ٩٩ سورة الأنعام.

"والنخل باسقاتٌ لها طلع نضيد" ١٠ سورة ق.

"كأنهم أعجازُ نخلٍ مُنقعر" ٢٠ سورة القمر.

"كأنهم أعجاز نخل خاوية" ٧ سورة الحاقة.

فأنت ترى أن النخل مفرد مذكر ومفرد مؤنث وجمع مؤنث.

ومثل "النخل" في هذا التردد "السحاب" في لغة التنزيل كقوله تعالى:

"والسحاب المسخَّر بين السماء والأرض" ١٦٤ سورة البقرة.

"ويُنشِئ السحابَ الثقال" ١٢ سورة الرعد.

"الله الذي يُرسل الرياحَ فتثير سحاباً فيبسطه في السماء" ٤٨ سورة الروم.

فأنت ترى أن السحاب مفرد مذكر بدلالة الصفة، والضمير، ثم أنه جمع مؤنث.

و"اليمين" من الحلف مؤنثة، ومن اليد والرجل مؤنثة أيضاً وكذلك من كل شيء.

و"النوى" من النيّة مؤنثة، والنَوَى من التمر ونحوه مذكر.

و"المَنون" مؤنثة، وقد تذكر.

و"الخِرْنِق" ولد الأرنب مؤنثة وربما ذكّروه.

و"السماء" مؤنثة، وربّما ذكّروا إذا أرادوا السقف.

و"العنكبوت" مؤنثة وتذكر.

و"حِراء" اسم جبل بمكة يذكَّر ويؤنّث، والتذكير أكثر.

و"الغوغاء" يؤنث ويذكّر.

و"القرباء" مؤنثة، وبعضهم يذكّر.

أجتزئ بهذا القدر من هذه الألفاظ التي أثبتها لتكون شواهد على عدم استقرار هذه المادة اللغوية في ظروفها التاريخية القديمة التي كانت فيها العربية تتجه في مسيرتها نحو التوحيد بعد أن ظلت أحقاباً لغة موزعة في ظواهر لهجية، حتى جاء الإسلام فعمل على توحيدها.

وإذا عرضنا لهذه المشكلة في الألسن الدارجة أخذاً بالتطور اللغوي وجدنا فيها ما يستحق النظر ويدعو إليه، وربما كان مفيداً في فهم بعض الظواهر في العربية الفصيحة. ولا أريد أن أذهب مذهب من يرى أن العامية شيء مرذول ينبغي أن نتعافاه ونتجنب الخوض فيه، وذلك لأنها تقدّم نماذج حيّة يستطيع الباحث أن يجد فيها أثر التطور اللغوي والعوامل التي دعت إليه. ومن العجيب أن يذهب كثير من الدارسين هذا المذهب في الغضّ من قدر الألسن الدارجة، وهم يباشرون العامية في حديثهم وممارساتهم وتفكيرهم، ولو أنهم لووا ألسنتهم على الذهاب إلى الفصيحة لقصروا وأعياهم الأمر.

إن كثيراً مما انتهى إليه البحث اللغوي في مادة التذكير والتأنيث قد اتخذ صورة ثابتة درجت عليها العربية المعاصرة، فمن المعلوم أن "البطن" من أجزاء الجسم قد نحا فيه المعربون في عصرنا نحو التذكير جهلاً منهم في أن الكلمة مذكر فهم يقولون في تجاوزهم مثلاً: بطن ضخمة، وآلمت المريضَ بطنه، والصواب المنسي هو التذكير. ومثل هذا يقال في "الرأس" فقد نحا فيها المصريون نحو المؤنث فهم يقولون: رأسه كبيرة، وهذا في لسانهم الدارج وفصيحتهم المعاصرة في الصحف وفي أدب القصة وغيره. وكأنّ هذا التحول من المذكر إلى المؤنث في لغة المصريين في عصرنا قد عرف فيهم منذ أكثر من ثلاثة قرون فقد قرأنا شيئاً من ذلك في "الضوء اللامع" للسخاوي في الكلام على أحد الرجال: أنه قُتل ونُقِلت رأسه (كذا) إلى....

وليس عجيباً أن نرى طائفة من أهل عصرنا يميلون إلى تذكير "السوق" ويخالفون بذلك الكثير المشهور، ومثله يقال في "البئر" و"الذراع" و"الباع" وغير ذلك. وكأن المعربين في عصرنا في أيّامنا منساقون في هذا السبيل فيعدّون المؤنث ما كان مختوماً بالعلامة وهي التاء.

وقد يتولّد الخطأ من القياس الخاطئ، ومن ذلك اتجه المعربون في العراق على أن "المستشفى" مؤنث فيقولون مثلاً: "المستشفى مزدحمة بالمراجعين" وسبب ذلك أن المستشفى الكبير في بغداد كان يطلق عليه "مستشفى المجيدية" أي أنه أسس في آخر العهد العثماني في عصر السلطان عبدالمجيد فنسب إليه فقالوا على الخطأ: "مجيدية". وقد غيّر اسم هذا المستشفى بعد تأسيس الحكم الوطني فصار يعرف بـ"المستشفى الملكي"، ولكن لفظ "المجيدية" بقي في استعمال الناس لحقبة طويلة، فأعارت هذه النسبة التأنيث لكلمة "المستشفى" على الخطأ. وقد زالت كلمة "المجيدية" ولكن التأنيث ما زال مصاحباً هذا الاسم المذكر.

ومن المفيد أن نشير إلى طريقة جديدة من استعمال العدد من الثلاثة إلى العشرة، وذلك إن كان المعدود جمعاً مكسراً أو جمع مؤنث سالماً، فالصواب فيه أن يقال: ثلاثة جبال وأربعة موضوعات، ولكن المعربين في عصرنا جروا في استعمالهم على أن "جبال" و"موضوعات" من المؤنث، فلم يكن منهم إلا تذكير العدد، وقد فاتهم أن النظر في هذه المسألة إلى المفرد وليس إلى الجمع.

خاتمة:

وبعد فهذه جملة فوائد تشتمل على نظر وتدقيق لهذه المادة اللغوية التاريخية.

مُصْطَلَحات تراثيّة في علـم المعَادن

للدكتور عبدالقادر عابد

و السَيد عبدالله حسين

الجامعة الأردنية

خلاصة المقال

يشتمل هذا المقال على ثلاثين مصطلحاً تراثياً في علم المعادن، ظلّت مستعملة منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وحتى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي). ولقد استعملها الأقدمون بنفس معانيها التي تستعمل فيها اليوم. والكثير منها لا نجد له بديلاً حديثاً في كتب العربية، ومن ثم نشأت ضرورة إحيائها.

استهلال:

يبحث علم المعادن في الأشكال الطبيعة المبلورة للمواد غير العضوية. ومن ثم فإن دراسة الجواهر والأحجار الكريمة هي جزء مهم من هذا العلم. وليست هذه الأخيرة إلا معادن نادرة جميلة كاملة التبلور مقاومة لعوامل الفساد والتفتت.

ولقد كان علم المعادن أقدم علوم الأرض (الجيولوجيا)، حيث ألف فيه اليونانيون ثم ألف العرب المسلمون منذ القرن الثاني الهجري وحتى القرن الثامن الهجري عدداً كبيراً من الكتب المستقلة التي لا تتحدث إلّا في هذا الموضوع.

ويبدو أن سبب تقدم هذا العلم على ما سواه من علوم الأرض عائد إلى قيمة الجواهر باعتبارها ثمينة أو مادّة زينة يتحلّى بها الملوك والنساء منذ أقدم الأزمنة. فاشتد الطلب عليها. ودخل عليها المزيف والدخيل، فوجد هذا العلم لمحاولة التعرّف على هذا الدخيل. يقول ابن المعتز في هذا المعنى:

يرسب الدر في البحور ويعلوها غثاء الأزباد والأقداد وهو لا بدّ أن يرام ويستخرج من قاع لجة خضراء ثم يعلو من بعد ذلك في تبجان هام الجبابر العظماء

من دراستي في كتب الأقدمين عن المعادن وجدت أن فيها مجموعة من المصطلحات التي تصلح أن تستعمل اليوم، وأورد فيما يلي ثبتاً بما توصّلت إليه. وسأحاول أن أضع المصطلح التراثي أولا وأمامه المصطلح غير العربي ثم أشرحه كما فهمه الأقدمون ثم أضع مفهوم المصطلح الأجنبي الحالي. وأخيراً أورد قائمة بهذه المصطلحات.

البجادي Gernet

هذا المعدن مذكور في جميع كتب الأقدمين. وقد فصلوا فيه كثيراً. ومن الأوصاف التي ذكروها فإن البجادي ينطبق على ما نسميه اليوم غارنت (garnet) يقول التيفاشي[1]: "...حجر فيه خمرية وذلك أنه أحمر تعلوه بنفسجية، كثير الماء، لا شعاع له. وهو حجر أقل حرارة ويبساً من الياقوت...". أما كلمة بجادي فأصلها فارسي مشتق من جبل بيجاده في فارس[2]. وقد حقّق الكلمة الأب أنيستاس الكرملي وكتبها على وجوه كثيرة[3]. فهو بَجَادي وبُجَادي وبيجادة وبَزَادي (تركية)... والأغلب على أنها بَجَادي. وكلمة بَجَادي أفضل من الأجنبية الحالية "غارنت".

---

(١) أزهار الأفكار ص١٠٠- ١٠١.

(٢) أزهار الأفكار، ص١٠٠- ١٠١.

(٣) نخب الذخائر ص١٧.

بَلَق Mica

وهو ضرب من الحجر يتشظى شظايا رقيقة. تستعمل لترتيب الكتابة ويسميه بعضهم الرِّيق. والبَلَق أفضل[١].

تَفَت: Translucaent

جاء في وصف الياقوت الوردي[٢]: "...ومن عيوبه التَّفَث وهو كالصّدع في الزجاجة إذا صدمت يمنع نفوذ الضياء والاشغاف. وهذا قد يكون أصيلاً ويكون عارضاً". وورد كلام مشابه عن الزمرد. (ص٤٨). والوصف واضح في أنه يتكلم عن الأنواع نصف الشفافية translucent من الياقوت.

الجِزْع: Onyx

علة تكونه كالعقيق في تكوينه. وهو أنواع، وأشهره البقراني الذي هو حجر مركب من ٣ طبقات: طبقة حمراء لا مستشف لها، تليها طبقة بيضاء لا تستشف ويلي البيضاء طبقة بلورية تستشف..."[٣]. وهذا وصف دقيق لمعدن Onyx الذي هو نوع من أنواع السيليكا القريبة الشبه بالعقيق.

وقد جرى استعمال لفظ الجِزْع حتى على ألسنة الشعراء. يقول امرئ القيس:

كأن عيون الوحش حول بيوتنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقال أبو الطحّان:

---

(١) نخب الذخائر ص١٠١.

(٢) نخب الذخائر، ص٧.

(٣) أزهار الأفكار، ص١٤٨- ١٤٩.

أضـــاءت لهـــم أحســـابهم ووجهـــوهم دجـــى الليـــل حتـــى نظـــم الجـــزع ثاقبـــه

أما الفرزدق فيقول:

وفينـــا مـــن المعـــزى تـــلاد كأنهـــا ظفاريـــة الجـــزع الـــذي فـــي الترائـــب

الجَمْز Amethyst

ويقال جَمْسِت وَجَمْشِت وجَمْسِيت. وهي كلمة فارسية الأصل؛ حجر لونه بنفسجي وهو أربعة أنواع أجودها ما اشتدت ورديته وسماويته معاً. ويوجد بقرب الصفراء على مسيرة ثلاثة أيام من طيبة مدينة الرسول (ﷺ) غرباً إلى جنوب[1]، وهو نوع من أنواع المرو (الكوارتز) الوردي الذي تشتهر به البرازيل حالياً[2].

الحَرْمِلِيَّات Large Inclusions

وهي من عيوب بلورات الجواهر. والحَرمِلِيَّات حجارة تختلط بالجوهرة. ذكرها البيروني[3] نقلاً عن الكندي. ولم يزد. وتبعه خلق كثير. وفي اعتقادي أنهم يتكلمون عن البلورة الكبيرة (الجوهرة) التي ترافقها بلورة معدن آخر صغيرة داخلة في جسمها. وهو وصف جيد لها يطلق عليه المحدثون مكتنفات أو محصورات (Inclusions) غير أن الفارق بينها وبين النكتة التي ترد بعد قليل هو أن الحرمليات كبيرة الحجم ترى بالعين المجردة (عبر عنها البيروني بالحجارة تختلط فيه)، بينما هي صغيرة الحجم أو مجهرية في حالة النكتة.

---

(١) أزهار الأفكار، ص١٩٠.

(٢) Dona's Manual...p.452

(٣) الجماهر، ص٣٨٩.

حَصْباء Garvels

وهي حصى السيول والرياح. ذكرها التيفاشي وغيره في مواقع كثيرة من كتابه. من مثل: "... إن أهل ذلك الموضع إذا لم تَحْدِر السيول والرياح لهم من حَصْباء الياقوت في بعض السنين..."[١] وفي وصف الزمرد يقول التيفاشي: "... معدن الزمرد الذي يؤتى به من التخوم بين بلاد مصر والسودان خلف أسوان يوجد في جبل هناك ممتد كالجسر فيه معادن تحضر فيخرج منها الزمرد قطعاً صغاراً كالحصباء منبثة في التراب..."[٢]. ولا أجد في كتب المحدثين مصطلحاً مشابهاً.

حُكَاكَة Mineral Powder

وهو ما تساقط من الشيء عند الحك. حك معدن بمعدن أي أمره عليه. يفرق البيروني بين أنواع الشاذنج بلون حكاكتها: "... الشاذنج حجر الدم بسبب حكاكتها على المسن..."[٣].

مَحَك Streak

وهو اللون الذي يتركه المعدن عند حكّه بقطعة خزف بيضاء. هذا هو المعنى الحديث. وهو نفس ما اصطلح عليه الأقدمون. يقول التيفاشي: "... البازهر معدن أبيض رخو المحك أبيض الحكاكة سريع الانحكاك..."[٤] ويقول البيروني وهو يتحدث عن كيفية التفريق بين الزمرد وأشباه الزمرد في سياق طويل: "... قال فحككت به حديدة فحمرها وبقيت الحمرة عليها أسبوعاً فعلمت أنه قلقند"[٥].

---

(١) أزهار الأفكار، ص٦٣- ٦٤.

(٢) أزهار الأفكار، ص٨٠.

(٣) الجماهر، ص٢١٧.

(٤) أزهار الأفكار، ص١١٧.

(٥) الجماهر، ص١٦٩.

فاستعمل البيروني قطعة حديد لحك المعدن ونحن نستعمل الخزف. ولقد استبدل المحدثون هذا المصطلح بمصطلح جديد هو "المخدش".

مِحَك Streak Plate

وهو قطعة الخزف التي نستعملها في هذه التجربة. وقد استعمل البيروني قطعة حديد لهذا الغرض.

خُمَاهان

"حجر أسود حديدي يجلب من الكرك على مسيرة سبعة أيام من مصر ومنه يحمل إلى سائر البلاد. وأجوده الأسود الشديد السواد الذي يضرب إلى الحمرة الحديدية"[1]. وهو وصف جيد لمعدن أكسيد الحديد الأحمر "هيماتيت". والكلمة أصلاً فارسية. ويسمّيه البضع خَمَاهِن. أمّا حديثاً فإنّنا نستعمل اللفظ الأجنبي "هيماتيت" مكتوباً بالعربية.

دَهْنَج: Malachit

"ليس يوجد الدّهنج إلّا في معادن النحاس. أجوده الأخضر المشبع الخضرة الشبيه بلون الزمرد، المعرق بخضرة حسنة الذي منه أهله وعيون بعضها من بعض... وحجر الدهنج فيه رخاوة..."[2] وهذا الوصف لا يختلف في شيء عن معدن المملكيت وهو كربونات النحاس المائية.

---

(١) أزهار الأفكار ص١٩٢– ١٩٣.

(٢) أزهار الأفكار، ص١٦٤.

رِيم: Alteration

وهو الوسخ في المعدن يشبه الطين. وقد ذكره الكندي والبيروني[١] والتيفاشي وابن الاكفاني. وهو من عيوب الجواهر. وتنتج مثل هذه الأوساخ على سطح البلورة نتيجة للتجوية الكيمياوية العميقة التي تؤثر على المعدن.

رَضْراض: Gravels

وهي الحصى الصغار تتحرم في مجاري الماء، أو هي كسارة المعادن[٢] فهي كالحصباء، غير أن الحصباء أفضل. يقول الشاعر:

والليل يجري فوق رضراض من الجزع الظفاري

السَّبَج: Jet

هو ليس بمعدن إنما مادة كربونية شديدة السواد. وقد أخطأ بعض المحدثين عندما ساووا السّبج بالغالينا (كبريتيد الرصاص) لتشابهما في اللون. و لو أنهم قرأوا ما كتبه البيروني لعلموا أنه مادة كربونية قريبة الشبه بالفحم الحجري الأسود تدعوها Jet. يقول البيروني: "... وهو حجر أسود حالك صقيل رخو جداً خفيف تأخذ النار فيه وسمعت أنه يشتعل إذا أحمته الشمس وتفوح منه رائحة النفط. لأن كل ما وصفناه فيه يشهد بدهانته وأنه نفط مستحجر مشابه للأحجار السود التي يسجر بها التنانير بفرغانه. ثم يستعمل رمادها في غسل الثياب[٣]. وليس بعد هذا الوصف دقة.

---

(١) الجماهر، ص٣٨.

(٢) الجماهر، ص٣٨.

(٣) الجماهر، ص٩٢.

التَّشْعِير: Parting

وقد ذكرها البيروني والتيفاشي وهو يتحدث عن عيوب الياقوت: "... ومن عيوبه التَّشْعير، وهو من لوازمه لا يكاد يخلو منه. وهو شبه شقوق خفية تظهر فيه"[١]. ونعلم اليوم أن الياقوت لا يوجد فيه تشقق واضح cleavage. ولكنه يحوي سطوحاً خفية ناتجة عن سطوح التوأمة في البلورات كما هو الحال في الياقوت[٢] وهو ما ندعوه الآن Parting. ومن ثم فإن التشعير لا يعني التشقق كما ذكر الدكتور محمد يوسف حسن وزميله في تحقيق مخطوط التيفاشي[٣].

الشُّعاع: Dispersion

وهي صفة أساسية في الجوهرة. أكثر الحديث عنها كل من كتب عن الأحجار من الأقدمين ويعنون بها قدرة المعدن أو الجوهرة على تفريق أو تشتيت الضوء بحيث يخرج منه شعاع عظيم، مما يزيد جمال البلورة. يقول التيفاشي في وصف الماس مثلاً: "... ومن الماس نوع له شعاع عظيم، إذا ظهر أتى شعاعه على ما ظهر منه بالقرب من ثوب أو حائط أو وجه إنسان أو غير ذلك، مختلف الضوء، أشبه شيء بقوس قزح"[٤].

انظر البيروني ص١٩٣. وحديثاً يسميه بعض المختصين تشتت الضوء وبعضهم يسميه تفريق الضوء. وهو ليس الانكسار المزدوج double refraction كما ذهب إليه بعض الشارحين لأن هذه الصفة ليست موجودة في الماس.

صَقَالَة Polish

---

(١) أزهار الأفكار، ص٨٣.

(٢) Dana's Manual ... p.127, 279

(٣) أزهار الأفكار، ص٢٥٢.

(٤) أزهار الأفكار، ص ١٠٦.

وهي مشتقة من صقل يصقل أي جلا المعدن بمسحوق حتى يصبح سطحه صقيلاً. يقول التيفاشي وهو يصف الدَّهْنَج الأخضر المشبع الخضرة الشبيه اللون بالزمرد المعرق بخضرة حسنة، الذي فيه أهله وعيون بعضها من بعض، الصلب الأملس الذي يقبل الصقالة"[١].

صَقِيل: أي المجلو. يقال معدن صقيل جمع صقال.

مِصْقَلة: أي الآلة التي يصقل بها المعدن. جمعها مصاقل.

طَلْق: Talc

نوع من المعادن ذكره البيروني تحت اسم طاليقون[٢]. ولم يتبين معناه أو وصفه. ومر به ابن الاكفاني في النخب[٣] دونما تفصيل. أما التيفاشي فقد وضع له باباً خاصاً[٤]: (... الطلق يكون بجزيرة قبرص كثيراً ومنها يجلب وهو متحجر بعضه على بعض طبقة فوق طبقة). أما الرازي (في كتاب ابن الاكفاني ص٩١) فيقول: "... إن الطلق أنواع: بحري ويماني وجبلي. وهو يتصفح إذا دق صفائح بيضاً دقاقاً لها بصيص وبريق".

وقد يختلط هذا الوصف بمعدن البلق (المايكا) الذي أسلفنا فيه القول. ولا غرابة، فالمعدنان من فصيلة واحدة هي فصيلة المعادن السلكاتية الورقية (Sheet Silicates).

---

(١) أزهار الأفكار، ص١٦٣- ١٦٤.

(٢) الجماهر، ص٢٦٧.

(٣) نخب الذخائر، ص٥٢.

(٤) أزهار الأفكار، ص٢٠٤- ٢٠٥.

الظُّر أو الظُّرَّان : Chert

وهو الصوَّان في لغة بلاد الشام. يقول امرؤ القيس[١]:

تطاير ظران الحصى بمناسم صلاب العجى ملثومها غير أمعرا
كأن صليل المروحين تشذه صليل زيوف يتقدن بعبقرا

والظران والمرو الواردتان في البيت الأول والثاني على التوالي من فصيلة معدنية واحدة وعلى كل حال فالصوان أو الظران أو الظر صخر وليس معدناً ومعدنه هو الخلقيدون (الكالسيدوني). وهو نوع من المرو الناعم جداً.

مَعْدِن: Mineral

استعمل البيروني في الجماهر كلمة "معدن" للدلالة على الجواهر والأحجار الكريمة من مثل الماس والياقوت والدهنج. ولم يستعملها ولو مرة واحدة عند حديثه عن الذهب والنحاس والفضة التي دعاها فلزات. والأمثلة كثيرة في كتابه. مثلاً يقول في وصف الزمرد[٢]: (... فأما معادنه فإنها لا تتجاوز حدود مصر والواحات وجبل المقطم وأرض البجه. قال أبو إسحق: إن معدن الزبرجد في صعيد مصر في جنوب النيل في برية منقطعة من العمار ولا يعلم في الأرض معدن له غيره). وفي سياق طويل حول الياقوت واللعل: "... وطلب اللعل ينقسم إلى قسمين أحدهما بحفر المعدن في الجبل والآخر بتفتيشه في الحصى..." أما أصل الكلمة فيقول الكندي[٣]: "... إن المعدن من عدن وهو الإقامة. فكان المطلوب منه ما أقام فيه شهوراً. أو أن مستنبطية يقيمون لها على استخراجه فلا يسأمون من حفر المعدن". انظر أيضاً وصف القزويني[٤] للأحجار.

---

(١) الجماهر، ص٩٢.

(٢) الجماهر، ص١٦٢.

(٣) نقلاً عن الجماهر ص٣٨.

(٤) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.

عَقِيق: Agate

الكلمة الأجنبية مأخوذة عن العربية كما ترى. "ونظنّ أن العقيق سمي كذلك لعقّه بعض الحجارة أي لشقته إياها فهو فعيل بمعنى فاعل"[١] وهو نوع من أنواع السيليكا. ورغم أن هناك نوعاً من المخلط بين العقيق والجزع عند التيفاشي وغيره. إلا أن المصطلح أصبح الآن شائعاً ليدل على العقيق بمعناه الذي نعرفه اليوم.

عين الهر: Cat's eye

يقول التيفاشي[٢]: "... ذلك أن الغالب على لونه البياض بإشراق عظيم ومائية رقيقة شفافة. إلا أنه يرى في باطنه نكتة تميل إلى الزرقة على قدر ناظر الهر الحامل للنور المتحرك في فص مقلته... وإذا كسر الحجر أو قطع على أقل الأجزاء ظهرت تلك النكتة في كل جزء من أجزائه..." والوصف في غاية الدقة لما نسميه اليوم Tiger's eye & Cat's eye (عين النمر) إذا كانت النكتة زرقاء. وسبب النكتة هذه وجود مكتنفات خيطية متوازية من معادن شائبة للمرو تعكس الأشعة الساقطة عليها فتكسبها بريقاً حريرياً متموجاً على هيئة حزم ضوئية متغيرة[٣]. وهذا المعدن نوع من أنواع المرو (الكوارتز) ولمزيد من التفصيل انظر كتاب بتمان[٤].

فِلِز: Metal

لم أجد في كتاب الجماهر للبيروني أنه استعمل هذه الكلمة إلا عندما تحدث عن العناصر كالذهب والفضة والرصاص. انظر كلمة معدن. ولقد استعمل المصريون المحدثون كلمتي معدن وفلز بالمعنيين الذين وضعتهما. بينما السوريون يقلبون ذلك. وأعتقد أن من الأفضل استعمالها بالكيفية الواردة هنا لأنها تراثية.

---

(١) نخب الذخائر، ص٨٦.

(٢) أزهار الأفكار، ص١١٢-١١٣.

(٣) Dana's Manual...p.453

(٤) Economic Minerals...p.851

المائِيَّة: Transperancy

وتقابل إلى حد كبير الشفافية أو الشفوفية في البلورة فكلما زادت مائية المعدن كان أكثر شفافية. وكأنهم كانوا يشبهون صفاء المعدن بصفاء الماء وشفافيته.

مَرْو: Quartz

توجد عدة مصطلحات لها نفس المعنى. وقد استعملت جميعها في كتب الأقدمين وهي المرو والمها والبلور. وجميعها تعني الكوارتز الأبيض المبلور. وأعتقد أن كلمة مرو هي الأكثر شيوعاً لدرجة أنها جرت على ألسنة الشعراء، رغم أن البلورة أيضاً كانت مستعملة. يقول امرؤ القيس:

كأن صليل المرو حين تشذه صليل زيوف يتقدن بعبقرا

ويقول ابن المعتز:

أما رأيت حباب الماء حين بدا كأنه قحف بلور إذا انقلبا

نُكْتَة: Inclusion

يقول التيفاشي[1] بعد أن يصف معدن عين الهر (المرو أو الكوارتز): "... إلا أنه يرى في باطنه نكتة تميل إلى الزرقة على قدر ناظر الهر الحامل للنور المتحرك في فص مقلته... وإذا كسر الحجر أو قطع على أقل الأجزاء ظهرت تلك النكتة في كل جزء من أجزائه...". ونحن نعلم الآن أن سبب هذه النكتة معادن خيطية متوازية تشوب معدن المرو[2]. فهي إذن معادن غير المعدن الأصلي موجودة فيه بكميات صغيرة. وقد دعاها المحدثون مكتنفات أو محصورات. تجمع على نكت ونكات. وفي القاموس (المعجم الوسيط) النكتة: النقطة في الشيء

---

(١) أزهار الأفكار، ص١١٢- ١٢٣.

(٢) Dana's Manual...p.401

تخالف لونه أو شبه وسنج في المرة أو السيف. وهو قريب من المعنى الاصطلاحي.

نَمَش: Motling

وهي من عيوب المعادن والجواهر. فهي "نقط بيض وسمر أو بقع فيه تخالف لونه الأصلي"[١]، وذكرها البيروني ص٣٨ نقلاً عن الكندي: "... ونقول أن الكندي عدّد عيوب الياقوت وهي النمش في سحنه ولا حيلة لإزالتها إذا كثرت وفشت وغاصت وعمقت" وفي كتب المعادن الحديثة فإن من عيوب الياقوت أن تتداخل بقع شافة صافية من المعدن مع بقع معتمة أو رمادية. وهو ما يعرف بالأجنبية motling appearance[٢] ورد ذلك في حديثه عن معدن البيريل الذي يقابل الزمرد. انظر أيضاً باب الزمرد في النخب[٣].

يَصَب: Jasper

والكلمة الأجنبية مأخوذة عن العربية كما ترى. وهو نوع من أنواع السيليكا غير الثمينة. يقول التيفاشي[٤]: "... ومعدنه الذي تكون فيه في اليمن ومنها يجلب إلى البلاد. منه أبيض وزيتوني ومنه نوع أزرق. وهو مصبوغ". والمعروف عن اليصب الآن أن ألوانه تتراوح بين الأحمر والبني والأصفر. والأخضر الزيتوني نادر جداً. أما الأزرق فإنه مصبوغ حقاً ويسمى Swiss or German Lapis .

---

(١) نخب الذخائر، ص٧.

(٢) Dana's Manual...p.401

(٣) نخب الذخائر، ص٤٨.

(٤) أزهار الأفكار، ص١٩٨- ١٩٩.

ثبت بالمصطلحات التراثية وما يقابلها من مصطلح أجنبي ومصطلح عربي حديث إن وجد

المصطلح التراثي	المصطلح الأجنبي	المصطلح العربي الحديث
بِجَادي	غارنت	غاونت
بَلَق	Mica	مايكا
تَفَث	Translucent	نصف شفاف
جِزْع	Onyx	أونيكس
جَمرْ	Ametyst	اميشت
حَرْمَلِيّات	Large inclusions	مكتنفات كبيرة، محصورات كبيرة
حَصْبَاء	Gravels	
حُكَاكَة	Mineral Powder	مسحوق المعدن
مِحَك	Streak	مخدش
مَحَك	Streak Plate	لوح المخدش
خُماهِن	Hematite	هيماتيت
دَهْنَج	Malachite	ملاكيت

المصطلح التراثي	المصطلح الأجنبي	المصطلح العربي الحديث
رِيْم		
سَبَج	Jet	جت
تَشْعِير	Parting	
الشُّعَاع	Dispersion	تشتت الضوء أو تفريق الضوء
صَقَالَة	Polish	
صَقِيلِ		
مِصْقلة	Polishing machine	
طَلَقٌ	Talck	
الظّر ، والظُّرَّان والصُّوَّان	Chert	الظر ، الظران، الصوان
مَعْدِن	Mineral	معدن (مصرية)، فلز (سورية).
عَقِيق	Agate	عقيق
عين الهر	Cat’s eye	عين الهر
فِلِز	Metal	فلز (مصرية)، معدن (سورية)
المائِيَّة	Transperancy	الشفافية

المصطلح التراثي	المصطلح الأجنبي	المصطلح العربي الحديث
مَرْوِ، مَها	Quartz	كوارتز
النَّمِش	Mottling	
نُكْتة	Inclusion	مكتنفة، محصورة
يَصَب	Jasper	جاسبر

المراجع

١- ابن الأكفاني: محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجاري ٧٤٩هـ- ١٣٤٨م: نخب الذخائر في أحوال الجواهر. عالم الكتب بيروت- تحقيق الأب انستاس الكرملي ١٩٣٩- ١٨٨ صفحة.

٢- البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد (٤٤٠هـ- ١٠٤٨م):

الجماهر في معرفة الجواهر. تحقيق جمعية دار المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن ١٣٥٥هـ- ٢٣٣ صفحة.

٣- التفياشي: أحمد بن يوسف (٧٥١هـ): كتاب أزهار الأفكار في جواهر الأحجار تحقيق محمد يوسف ومحمود بسيوني خفاجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧- ٣٢٧ صفحة.

٤- القزويني: زكريا بن محمود (٣٨٢هـ- ١٢٨٣م): عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، الطبعة الثانية. حققه فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٧٧م- ٥٢٦ صفحة.

٥- عبدالرحمن: حكمت نجيب (١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م): دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل – ٤٦٧ صفحة.

٦- BATMAN, A.M., 1959, Econmoic Mineral deposits 2nd Ed. Johm Wiley, London, 916 p.

٧- HURLBURT, C.S. 1971, Dana's of Mineralogy 18th Ed. John Wiley. London, 961 p.

مَوقف حَازم القرطاجني من الاسترفاد بالشعر

للدكتور قاسم المومني

جامعة اليرموك

عندما نتحدّث عن حازم القرطاجني فإننا نتحدّث عن ناقد له منزلته الخاصة في الموروث النقدي عند العرب، وله مكانته المتميزة بين معاصريه، بل بين سلفه وخلفه؛ وهي مكانة اكتسبها من جملة وجوه: فهو – من وجه– قد جاء في أخريات ازدهار الثقافة العربية في المغرب والأندلس، وكان من خصائص هذه الثقافة أنها لم تتأثر بضعف أمر المسلمين وتساقط مجدهم السياسي في هذه البلاد، بل كانت في عصر التساقط أرفع منها في عصر العز والغلبة؛ فسجل حازم في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" ناحية من نواحي النضج التي بلغتها هذه الحضارة، يمكن أن تقارن بالناحية التي سجّلها ابن رشد في فلسفته، وابن خلدون في بحثه الاجتماعي. وكما أن الفلسفة وعلم الاجتماع لم يتقدما خطوة بعد ابن رشد وابن خلدون، كذلك لم يتقدم النقد – خلا النقد في عصر النهضة– خطوة بعد "المنهاج"[1].

وحازم – من وجه ثان– قد اختار التواصل مع الإنجازات النقدية الأصيلة المتقدمة عليه. لقد اطلع – فيما يظهر "المنهاج" – على خير ثمار النقد العربي حتى عهده؛ فهو يشير إلى آراء الجاحظ، وقدامة، والفارابي، والآمدي، وابن

(١) شكري عياد: كتاب أرسطوطاليس في الشعر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م: ٢٤٢.

سينا، وابن سنان الخفاجي[1]، وإذا أورد شيئاً من كلامهم فهو يعرضه ويشرحه، ويوازن بينه وبين غيره في قوة وتمكّن.

وحازم- من وجه ثالث- حاول أن يجمع بين التأصيل النظري للشعر في منهاجه- وهي الصفة الغالبة- وبين التطبيق العملي، وهو في ذلك ينتقي نماذجه من عصور الشعر العربية المتعاقبة، وإن كان ميله إلى المحدثين – فيما يظهره المنهاج- لافتاً؛ ونصيب المتنبي بصورة خاصة من نماذجه ظاهراً.

وحازم- من وجه رابع- التقى في نقده التياران العربي واليوناني التقاء مثمراً، وإن غلب عليه التيار اليوناني، كما طغى على غيره التيار العربي. ولقد جهد الرجل أن ينتفع بكتاب "الشعر" لأرسطو، أو بالصور التي عرفها منه كل الانتفاع، وأن يفيد من الدراسات النفسية والفلسفية ذات الصلة بصناعة الشعر ونقده.

وحازم – بالتالي- ناقد شاعر، له معاناته الخاصة بنظم الشعر، وخبرته العملية في تذوق الشعر وفهمه ومعرفة أسراره ومناهجه؛ وهي معاناة جعلت تصرّفه في نقد الشعر – على مستوى التأصيل والتطبيق – تصرّف خبير بصير.

وعندما يقول حازم إن القصد من الشعر "أن يحبّب إلى النفس ما قصد تحبيبه، ويكرّه إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه"[2] أو يقول إن المقصود بالشعر "حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي

---

(١) راجع – مثلاً- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، ١٩٦٦م: ٢٥، ٤٨، ٧٤، ٧٨، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ١١٧، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٦، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٢، ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق: ١٧.

عن فعله أو اعتقاده"[١] أو يقول إن الهدف من الشعر "إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده"[٢] أو يقول: "إن الأقاويل الشعرية القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضار، ببسطها النفوس إلى ما يراد من ذلك وقبضها عما يراد بما يخيل لها فيه من خير أو شر"[٣]. أو يقول: "إن الأقاويل الشعرية أشد تحريكاً للنفوس، لأنها أشد إفصاحاً عما به علقة للأغراض الإنسانية، إذ كان المقصود بها الدلالة على أغراض الشيء ولواحقه التي للآداب بها علقة"[٤]. أو يقول إن المقصود بالشعر "تحريك النفس لمتقضى الكلام بإيقاعه منهما بمحل القبول"[٥]. فإن هذه الأقاويل برمتها تؤكد أمراً مفاده أن الشعر ليس مجرد قول مزوق أو محض تسلية رخيصة أو ترفيه هين أو دعاية لمذهب أو حاكم أو سلطة أو طبقة تهدف إلى الإقناع على حساب الحقيقة، بل هي أقاويل تشد الشعر بشدة إلى دور له انتساب إلى ما يفعله الإنسان ويطلبه ويعتقده، وهو دور له – بالتأكيد– شأنه وخطره في حياة الفرد أو الجماعة، وهو دور يدرأ عن الشعر – دون شك– كل استرفاد يمكن أن يعلق بالشعر ويلحق به.

وليس ثمة مدخل يمكن أن ندخل منه إلى بيان موقف الرجل من الاسترفاد بالشعر خير من التوقف عند تصوره الأخلاقي وصلة ذلك التصور بالشعر خاصة. وأحسب أني في حاجة إلى القول –هنا– إن التصور الأخلاقي الذي يبسطه حازم يفرض على المبدع أن يرتقي فوق كل استرفاد ويتطلب من الناقد

---

(١) المصدر نفسه: ١٠.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٦.

(٣) المصدر نفسه: ٣٣٧.

(٤) المصدر نفسه: ١١٨.

(٥) المصدر نفسه: ٢٩٤.

أن يواكب المبدع في دفعه عنه بدلاً من التقعيد له كما كانت غالبية النقاد العرب تفعل[1].

إن الإنسان فيما يراه حازم مشدود في واقعه المعاش إما إلى الفضيلة "الخير" وإما إلى الرذيلة "الشر". قد ترتبط الفضيلة في تصوّر حازم بإيثار الإنسان نفسه على بدنه وإيثار غيره على نفسه وقد تقترن الرذيلة في ذات التصور بإيثار الإنسان بدنه على نفسه أو غيره على نفسه. المهم أن صلاح الإنسان لن يتحقق إلا إذا نحا نحو الفضيلة، وعلى هذا الأساس يقول حازم: "فالفاضل من آثر نعيم نفسه الباقي على نعيم بدنه الفاني ومن أنصف غيره من ذوي الاستحقاق فيما فيه نعيم بدنه الفاني أو آثره بذلك على نفسه. والإيثار أفضل ليعتاض بذلك ما يكون له سبباً إلى النعيم الباقي كالأجر أو ما يتنزل في توهمه منزلة النعيم الباقي كالذكر الجميل"[2]. وعلى الأساس ذاته لا يكون الفاضل فيما يقوله حازم إلا "من حصلت له في الفضيلة ملكة، وصارت له عادة لا يفارقها إلى ما ناقضها[3]. ولما كان الإنسان في جميع ما ينحو نحوه أو يصدر عنه في واقعه المعاش لا يخلو من أن يروم حظوظاً يكون فيها صلاح لنفسه أو حظوظاً فيها صلاح لبدنه وكان استقصاء الإنسان مصالح نفسه وابتغاؤه لها من كل وجه لا يصل منه إلى غيره مضرة ولا إيذاء، وكان استقصاؤه حظوظ بدنه وطلبه لها من كل وجه يؤدي إلى ضرر غيره وإلى

---

(١) راجع درويش الجندي: ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي وفي نقده، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م: ١٦٥-١٦٨.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٦٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٨.

إيذائه، وجب – والقول لحازم– أن يكون الفضل في القناعة من حظوظ البدن بما لا يؤدي إلى مزاحمة ذي استحقاق وفي الرغبة في جميع حظوظ النفس[١].

الفضيلة في مجموع نصوص حازم التي أخذت من كلامه جوامعه هي إيثار النفس على البدن وتفضيل الغير على الذات، والفاضل من آثر نعيم نفسه الباقي على نعيم بدنه الفاني، وكل هذه أمور لا تقع إلا بالعدل والنصفة والإيثار عند القيام بالأفعال والأعمال. هذه الأفعال والأعمال من حيث اقترانها بالفضيلة أو بنقيضها، تختلف رتبها في مقدر ما يجب عليها من الحمد والذم بحسب اختلاف الأحوال المطيفة بها، "والأحوال المطيفة بالأفعال هي: الزمان، والمكان، وما منه الفعل، وما إليه الفعل، وما من أجله الفعل، وما عنده الفعل"[٢]. وليس ثمة مفر من اعتبار هذه الأحوال عند الحكم على الأفعال، فيكون الفعل بالنسبة إلى حال منها محموداً، وبالنسبة إلى حال أخرى مذموماً، ويكون بالنسبة إلى بعض تلك الأحوال في أقصى درجات الحمد، وتارة في أدنى الدرجات من ذلك، وكذلك تختلف أيضاً حاله في درجات الذم بحسب اختلاف تلك الأحوال المطيفة "فأخذ أبي داؤد الحق من ابنه وإفادته بجاره الذي قتله يربي على كثير مما يجل عن فواضل الكرم ونوافله، وإن كان ذلك نصفه منه، وجود كعب على النمري بالجرع التي آثره بها على نفسه حتى مات عطشاً في المكان الذي كانا فيه أعظم أثراً في الكرم من جود غيره بكل حظ جليل لا تعود به السماحة عليه بمثل ما عادت على كعب"[٣] وأكثر ما تعتد به العرب في المدح – من

---

(١) المصدر نفسه: ١٦٩.

(٢) المصدر السابق: ١٠٧ وقارن بصفحة ١٦٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٣.

هذه الزاوية- الأفعال التي تكابد فيها النفوس المشقة وتعاني فيها الضرر لتنفع بذلك غيرها وتريحها ممن له أدنى استحقاق أو حاجة إلى ذلك، ولهذا قال أبو الطيب المتنبي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال[1]

وعند هذا الحد يفرق حازم بين ما يسميه النصفة والعدل وبين ما يطلق عليه النوافل والفواضل على اعتبار أن الأمور التي تكابد فيها النفوس المشقة وتعاني فيها النفوس العناء لتفيد بذلك غيرها وتريحها" إما أن تكون حقوقاً ثابتة قبل المتجشم للمشقة فيها فيكون ذلك منه نصفة وعدلاً. وإما أن تكون غر واجبة قبله، بل يسمح بها تبرعاً ويتفضل بها إيثاراً فيكون ذلك منه نافلة وفضلاً، وأحق المدح ما كان بهذا الصنف من الأفعال"[2].

ومعنى ما يقول حازم – كما أفهم منه- أن النوافل والفواضل من الأفعال هي التي تقوم على الإيثار والتفضيل، وتعبر عن رغبة الإنسان في الانفلات من إسار ذاته ليتواصل مع غيره من بني جنسه في نطاق من الحب وإطار من إنكار الذات. بهذا الحب والإيثار يتحقق للإنسان جميع الكمالات الممكنة. وبهما يصل الإنسان – فيما يقال- إلى إنسانيته الحقة فلا يصدر في سلوكه أو نزوعه -عندئذ- إلا عن الفضيلة التي تعلي حظوظ النفس على حظوظ الجسد[3].

هذا التصور الأخلاقي الذي يطرحه حازم هام كل الأهمية، إذ تتردد فيه – من ناحية- أصداء الحكمة ممثلة في نظريات الفلاسفة الأخلاقيين أمثال

---

(١) المصدر نفسه: ١٦٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٤-١٦٥.

(٣) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٥٧.

الفارابي وابن مسكويه وابن رشد، والشريعة ممثلة في التراث الديني النقلي بحيث يتخلق من هذا التصور ما عرف عند بعض الدارسين بفلسفة حازم الأخلاقية التي يصدر عنها في منهاجه[1]. والتصور – من ناحية ثانية– يكشف عن تسليم صاحبه بالاختصام السائد في الفكر الإسلامي بين الروح والجسد وهو الاختصام الذي يقرن النفس بالفضائل كما يقرن الجسد بالرذائل والتصور – بالتالي– يظل بمثابة النهاء الذي يرفد فكر الرجل في تحديد موقفه من الاسترفاد بالشعر على مستوى الإبداع والتلقي في آن.

(٢)

في ظلّ هذا التصوّر الذي يبسطه حازم يمكن أن يقال إن الشعر يوقع فعله عندما يلتزم بمخطط أخلاقي يرام به كمال الإنسان. وتتحدد قسمات هذا المخطط عندما يتحدث حازم عن فاعلية التزيين والتقبيح في الشعر، وهي فاعلية مقترنة بالورع والعقل والمروءة والشهوة في الحظ العاجل. إن التزيين والتقبيح إما أن يتعلقا بفعل أو اعتقاد أو طلب أو بالشيء الذي يفعل أو يعتقد أو يطلب "وإنما جعلت التحسين والتقبيح ينصرفان طوراً إلى الشيء نفسه وتارة إلى فعله أو اعتقاده أو طلبه، وتارة إلى مجموع ذلك كله، لأن الشيخ إذا عشق جارية جميلة وأردنا أن نصرفه عنها بالأقاويل الشعرية، اعتمدنا ذم الفعل وعيب التصابي في حال المشيب وما ناسب هذا. فإن كانت قبيحة أو ممن يجوز تخييل القبح فيها أضفنا إلى ذم تصابي الشيخ ذم قبح الفتاة. فإن كان العاشق شاباً اعتمدنا ذم ما في المرأة من قبح خلق وخلائق نحو ما يوصف النساء به من الغدر والملالة وغير ذلك. ولم نقبح عليه العشق في الشباب إلا من جهة

(١) المرجع نفسه: ٢٥٨.

عقل أو نحو ذلك"[1] وإذا كان هذا القول يشي بالجوانب التي تحدث فعل التزيين والتقبيح ذاته، فإنه يشي في الوقت ذاته بالوسائل التي يتم بها فعل التزيين والتقبيح، وهي عند حازم أربع، أولها: إما أن يحسن الشيء من جهة الدين وما تؤثره النفس من الثواب على فعل شيء أو اعتقاده، وتخاف من العقوبة على تركه وإهماله وإما أن يقبح من ضد ذلك. وثانيها: إما أن يحسن من جهة العقل وما يجب أن يؤثره الإنسان من جهة ما هو عاقل ذو أنفة من الجهل والسفاهة وإما أن يقبح من ضد ذلك. وثالثها: إما أن يحسن من جهة المروءَات والكرم وما تؤثره النفس من الذكر الجميل والثناء عليه أو يقبح من ضد ذلك. ورابعها: إما أن يحسن من جهة الحظ العاجل وما تحرص عليه النفس وتشتهيه مما ينفعها من جهة ما تؤثر من النعمة وصلاح الحال أو يقبح من ضد ذلك[2].

هذه الوسائل الأربع التي نقلتها بلغة حازم تشكل عنده أساساً أخلاقياً ظل يصدر عنه في تحديد موقفه من الاسترفاد بالشعر، ويبدو هذا الأساس بصورة أبلغ وأوضح عندما يقول حازم إن التزيين والتقبيح قد يتعلق بالفعل الإنساني من جهة ما يرجع إليه في نفسه، وقد يتعلق التزيين والتقبيح بالفعل من جهة ما تكون عليه الأحوال التي تطيف به، المهم أن يكون التزيين والتقبيح طبقاً للأشياء التي كأنها غايات تترامى إليها مطالب الناس.... وتلك الأشياء التي عليها مدار التحسينات والتقبيحات هي: الورع والعقل والمروءة، والشهوة في الحظ العاجل"[3]. وعلى هذا الأساس يقول حازم: "والتحسينات والتقبيحات الشعرية تميل إلى أشياء وتنصرف عن أشياء، وتكثر في أشياء وتقل في أشياء بحسب ما يكون عليه الشيء من التماس بآداب البشر، وما يكون عليه من نفع

---

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٠٨.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٦.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٨.

أو ضرر، أو لا يكون له التباس يعتد به في تأثر النفوس له من جهة نفع أو ضرر"[1]. ومعنى ما يقوله – بالتالي– أن اكتمال العمل الشعري لصيق اكتمال الحياة طالما أن الشعر يسعى إلى تقديم العون ودفع الضرر، ولا قيمة – والأمر كذلك– لشعر لا يحقق نفعاً أو يدرأ ضرراً، ولا شأو لشعر لا يسمو بالإنسان إلى مستوى الكمال، ولا أهمية – بعد– لشعر يقوم على الاسترفاد طالما أنه لا يفي إلا بحاجات مبدعة فحسب.

الشعر – إذاً– مرتبط بالحياة، واكتماله لصيق كمالها، وما دام الأمر كذلك فإن من المنطقي أن تكون الأصول التي يحقق بها العمل الشعري اكتماله، هي الأصول التي يتحقق بها للتجربة الإنسانية كمالها. إن الأقاويل الشعرية تسعى إلى دفع الضرر وجلب النفع لما كان المقصود بالشعر إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده بما يخيل لها فيه من حسن أو قبح أو جلالة أو حسنة وحب أن تكون موضوعات صناعة الشعر الأشياء التي لها انتساب لما يفعله الإنسان ويطلبه ويحققه"[2]. وما دام هذا المسعى غير مجانب لها فلا بدّ من أن تتمسك بمخطط أخلاقي يصل به الإنسان إلى الكمال. ولكن هذه الأقاويل لا تقدم قيم هذا المخطط تقديماً مباشراً وإنما تقدمها تقديماً شعرياً فعالاً ومؤثراً يضيف إلى المضمون الأخلاقي للشعر قيمة موازية في الأهمية، إنها القيمة الجمالية التي تقترن بالمتعة الواقعة في تشابك العمل الشعري في اتساق وانتظام.

من هذه الزاوية يختلف الشعر عن العلوم المعنية بالسلوك، وهو اختلاف يعلل استجابة الناس للشعر ويفسر تأثيره في نزوعهم، ولذلك حرص حازم متابعاً

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) المصدر السابق: ١٠٦.

في ذلك أساتذته من الفلاسفة النقاد[١] على تأكيد جانبي المتعة الجمالية والنفع الأخلاقي في حديثه عن الاسترفاد بالشعر، ويتضح هذا التأكيد عندما يتحدث الرجل عن محاكاة المطابقة[٢]، ويزداد هذا التأكيد وضوحاً عندما يقول: "وربما كانت محاكاة المطابقة لا تخلو من أن تكون من قبيل ما يحمد ويذم. والنفس من شأنها أن تميل إلى ما يحمد.. وتتجافى عما يذم فكأن التخييل بالجملة لم يخل من تحريك النفس إلى استحسان أو استقباح، فلهذا كانت قوة محاكاة المطابقة في كثير من المواضع قوة إحدى المحاكاتين التحسينية التقبيحية، لكنها قسم ثالث على كل حال، إذ لم تخلص إلى تحسين ولا تقبيح"[٣] وهذا قول يشي بإعلاء حازم من شأن محاكاة المطابقة لكنه إعلاء هين إن قورن بمثيله المتصل بمحاكاة التزيين والتقبيح، وهو هوان يرتد إلى ضآلة الأثر الأخلاقي في الأولى بالنظر إلى قرينه في الثانية.

(٣)

لقد أفاد حازم في تشكيله المخطط الأخلاقي الذي ظل يمتاح منه في رفضه الاسترفاد بالشعر من النقاد الفلاسفة كما أسلفت، وقد دفعته إفادته تلك إلى استحضار الموروث النقدي السابق عليه وتأمله ولم يكن هناك من ناقد يمكن لحازم أن يتأثر به في هذا الصدد أكثر من قدامة بن جعفر، فالرجل رغم كل ما قيل بحقه أو ضده[٤] يعب من الأصول التي يعب منها حازم وهي

---

(١) راجع قاسم المومني: نقد الشعر عند ابن رشد بين التأصيل النظري والتطبيق العملي، بحث منشور في مجلة "المعرفة" السورية، عدد ٢٢٩ سنة ١٩٨١: ٢٤ وراجع مصادره.

(٢) راجع حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٩٢.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) راجع لمعرفة ذلك قاسم المومني: نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٢: ١٤٣-١٤٤.

الأصول اليونانية، وبناء قدامة الأخلاقي الذي شيده ليعزز به فهمه الخاص لأغراض الشعر يمكن أن يرفد حازماً في دفعه كل استرفاد يلحق بالشعر ورفضه له. صحيح أن حازماً لا يتفق مع قدامة في تقسيم الشعر إلى أغراض محددة منها الوصف التشبيه، وصحيح أن مخالفة حازم قدامة تتعدى هذا الجانب لتشمل جوانب أخرى لا تقتضي طبيعة البحث ذكرها[1]. المهم أن هذه الاختلافات بين الرجلين تمليها طبيعة الفوارق الفردية بينهما، والأهم أن حازماً يأخذ عن قدامة مفهومه الخاص بالفضائل الخلقية الأربع وهي العقل والعدل والعفة والشجاعة، ويعتمد عليها في تفريقه بين الحقيقي والزائف من المدح والذم، ويقتبس منه قوله: "لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه أهل الأسباب، إنما هي العقل والعفة والعدل الشجاعة، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيباً وبما سواها مخطئاً"[2].

ويأخذ عن قدامة رأيه في أن الفضيلة وسط بين طرفين مذمومين ثم يعقب عليه بقوله: إن الفعل العائد بمنفعة إنما يحمد ما لم يعد الإفراط فيه بمضرة، وما لم يكن من القلة والتقصير بحيث لا يغني، فإذا وقع وسطاً بين هذين الطرفين كان محموداً، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: خير الأمور أوسطها، ألا ترى أن الكرم إذا أفرط عد سرفاً وتبذيراً، والإقدام إذا أفرط فهجم بصاحبه على المتالف في كل حين وموطن، عد ذلك تهوراً وهوجاً، وإذا وقع التقصير عن الإقدام والبذل بالجملة أو وقع عن ذلك ما لا اعتداد به، عُدّ ذلك بخلاً وجبناً. وقد تكون قلة الشيء بحيث لا يوجب عليه حمداً ولا ذماً. وجميع تلك الأفعال

---

(١) راجع أمثلة للاختلاف بين حازم وقدامة في منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ٤٨، ١٤١-١٤٢، ٣٣٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٥.

إنما تعد فضائل أو رذائل فيستوجب عليها الثناء المطلق أو الذم المطلق، ويعتقد في صاحبها أنه خيّر أو شرير، إذا حصلت له فيها ملكة وصارت له عادة لا يفارقها إلى ما ناقضها، فإن وقع الفعل المسمى فضيلة منه ولم يتبعه بمثله ولا تمادى عليه لم يستحق أن يسمى فاضلاً، ولا أن يثنى عليه الثناء المطلق، فعلى هذا أيضاً يجب أن يكون الاعتبار في وقوع الفعل المسمى رذيلة[1]".

إن حازماً لا يتوقف في اعتماده على قدامة عند هذا الحد. وإنما يتجاوزه لينصف قدامة من ناقديه، حسبنا أن نتقصر على من اقتصر عليهم حازم في منهاجه، لقد اقتصر حازم في إنصافه قدامة من خصومه على الآمدي وابن سنان ولقد انطلق قدامة في معرض حديثه عن المدح من زاوية تلح على المضمون الأخلاقي للشعر، وتؤكد على فكرة النموذج الذي يستوعب الفضائل ولا يتخطاها فلا يمدح الرجل إلا بما فيه. وهذه الزاوية وإن أخذت بعين التقدير المواصفات الاجتماعية فقسمت مدائح الرجال إلى أقسام تتناسب مع طبقات الممدوحين، لأن أصحابها لا يمكن أن يعيشوا إلا في عصرهم، فإنها تشي – بالرغم من ذلك– بأن المدح الحق مقترن بالفضائل الأساسية للإنسان كإنسان، وأن المدح الحقيقي هو الذي يمدح فيه الرجال بما يكون فيهم، ولا يتميز الرجال بعضهم على بعض إلا باكتسابهم الفضائل، طالما أن الفضائل مكتسبة وليست موروثة كما افترض الآمدي وابن سنان[2].

أما الآمدي فقد انطلق في نظرته إلى هذه القضية من زاوية الممدوح أو الحاكم، أو ما يمكن أن يجلب إليه البهجة والسرور أو يضخم هيبته في أوهام الرعية كحاكم مطلق، يفترض أن يمدح سلفاً بمجموعة من الصفات منها الجمال

---

(١) المصدر السابق: ١٦٧.

(٢) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ١٥٣–١٥٤.

والجلال والهيبة والجهارة. وما دام الأمر كذلك فلا بد للآمدي من أن يرى أن الفضائل والرذائل فطرية، توجد مع الناس بالقوة، ولعلهم يكتسبونها بالطبع والتطبع فذلك هو الأساس في الحكم على الناس وتميز بعضهم على بعض، ولا ضير والأمر كذلك – في أن يقول الآمدي بأن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ويتيمن به العرب، لأنه يدل على الخصال المحمودة، كما أن قبح الوجه والدمامة يسقط الهيبة أو يدل على الخصال المذمومة وذلك ما تكرهه العرب وتتشاءم منه"[1]، ولا ضير والأمر كذلك – في أن يعقب على ما ذهب إليه قدامة– من أن المدح بالحسن والجمال، والذم بالقبح والذمامة ليس بمدح على الحقيقة ولا ذم على الصحة بأن ذلك من قبيل الغلط الفاحش المخالف لمذاهب الأمم كلها عربية أو أعجميها، فضلاً عن أنه يسقط أكثر مدح العرب وهجائها وقد بينت قبح غلطه في هذا تبييناً شافياً مستقصى في كتاب منفرد"[2].

أما ابن سنان فإن ما يقوله في مخالفة قدامة لا يفترق – في جوهره– عما قاله الآمدي في ذات الصدد، يقول ابن سنان معقباً على رأي الآمدي: "إن كان قدامة يعتقد أن ذلك ليس بفضيلة لما كان الإنسان قد خلق عليه، فهذا حكم جميع الفضائل النفسانية، فإن الكريم قد خلق كريماً والشجاع شجاعاً والعاقل عاقلاً، وكما لا يقدر القبيح الوجه على أن يستبدل صورة غير صورته، كذلك لا يقدر الجاهل على أن يستفيد عقلاً فوق عقله"[3].

---

(١) الآمدي: والموازنة بين أبي تمام والبحتري في شعريهما، تحقيق السيد صقر، دار المعارف، القاهرة، سنة ١٩٦١.

(٢) المصدر السابق والجزء السابق: ٣٦٩.

(٣) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، تحقيق عبدالمتعال الصعيدي، مطبعة صبيح، القاهرة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ٢٥٦.

أما حازم القرطاجني فقد اعترض على ابن سنان والآمدي من قبله ورفض قولهما إن الكريم كريم بالقوة، وإن الشجاع شجاع بالقوة، وإن العاقل عاقل بالقوة، "لأن الحكماء المتكلمين في الفضائل قد اتفقوا على أن الإنسان قد يقدر على أن يكتسب بعض الفضائل بالتطبع وأن يستكمل كثيراً مما ينقصه من ذلك بالاعتياد والرياضة ومجاهدة النفس، فينتقل برياضة النفس في ذلك حالاً فحالاً حتى يصير الصعب قبل التطبع والارتياض سهلاً بعدها. وما زال الناس يروضون أخلاقهم بالتأديب والتدريب، فتترقى بذلك في مراتب الفضل درجاتهم وتتهذب بعد الجفاء أخلاقهم.... فأما خلقة الإنسان وصورته فليس في قدرته نقل شيء منها عما وجد عليه، فحمد الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له، وذمه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه، ويشهد لهذا ما حكاه الرواة من أن المغيرة بن جبناء وزياداً الأعجم لم يزالا يتهاجيان حتى عيره زياد بعلل كانت أصابت بعض أهل بيته، فقال المغيرة: ما ذنبنا فيما ذكره، هذه أدواء، وإنما يُعيَّر المرء بما اكتسبه[1]. وإذا كان رد حازم على الآمدي وابن سنان – وهو رد حرصتُ على نقله رغم طوله– يكشف– من ناحية– عن انتصاره لقدامة من ناقديه، فإنه يكشف– من ناحية ثانية– وهذا هو الأهم– عن إسناد حازم ما حكاه قدامة إلى عادات العرب وأعرافهم، بحيث يصبح مفهوم الفضائل النفسية موافقاً للمألوف عند العرب، ويضيف إليه رأياً مؤداه، "إنما يمدح بما هو خارج عن الفضائل الأربع إذا كان من شأنه أن توجد الفضائل أبداً بوجوده فتورد كالأدلة عليه"[2].

ودون أن نقدم رأياً على آخر فنحكم لصاحبه أو عليه، فإن الذي يعنينا أن نقول إن تأكيد قدرة الإنسان على الانتقال من الأخلاق الرذلة إلى الأخلاق الفاضلة يعني ضِمناً قدرة الشعر على توجيه مسار السلوك الإنساني، وتحويل

---

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٦٩.

(٢) المصدر السابق والصفحة السابقة.

هذا السلوك من الرذيلة إلى الفضيلة، ولقد قيل: "إن المخطط الأخلاقي الذي يحدد للشعر وظيفة يغدو مخططاً فارغ المضمون ما لم يعتمد على التسليم بمقولة الأخلاق المكتسبة، وبدون هذا التسليم يظل الأثر الأخلاقي المصاحب للشعر بغير أساس واضح، بل يصبح أمراً مشكوكاً في صحته، وفي ظل هذا التسليم لم يكن لحازم بد من أن يقول إن أهم ما يميز الإنسان عن غيره العقل، الذي ينبثق من مجاهدته كل الفضائل النوعية للنوع الإنساني، وبهذا التسليم تتضاءل قيمة الأسرة أو العرق أو الثراء بالقياس إلى نظائرها المنبثقة عن العقل[١]".

(٤)

إذا كانت فلسفة حازم الأخلاقية التي عبر عنها في تصوّره السالف هي التي مكنته من تحديد مهمة الشعر[٢]. فإن الفلسفة ذاتها هي التي رفدت الرجل في دفعه الاسترفاد عن الشعر، وهو دفع يمكن أن نقف عليه في حديث حازم عن أغراض الشعر كلها، ونبدأ منها بالمديح، والابتداء هنا له ما يبرره، فالمديح هو الوسيلة المباشرة لما يستهدفه الشاعر المتكسب من وراء شعره من الكسب والمنفعة من ناحية، والمديح من ناحية ثانية – هو الغرض المباشر الذي يتطلع إليه من بيدهم المال والعطاء والسلطة[٣] والمديح بسبب هاتين الناحيتين يشكل أكثر من غيره من أغراض الشعر معضلة بالنسبة للشاعر.

ويتقبل حازم في سبيل حل هذه المعضلة الحل الذي سبق لقدامة أن وضعه، وهو حل في تقدمه مندوحة عن إعادة القول فيه، يقول حازم: "يجب أن

---

(١) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٧٠.

(٢) المرجع نفسه: ٢٧١.

(٣) درويش الجندي: ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده: ٨٠.

يقصد في مدح صنف صنف من الناس إلى الوصف الذي يليق به، وأن يعتمد في مدح واحد واحد ممن يراد تقريضه بما يصلح له من تلك الفضائل وما تفرع منها وأن لا يجعل الشيء منها حلية لمن لا يستحقه ولا هو من بابه"[1].

هذا الذي يقوله حازم عن ضرورة ألا يجعل الشاعر المدح "حلية لمن لا يستحقه ولا هو من بابه" جديد كل الجدة في التراث النقدي حتى عهده كما يعلم الباحث، قد نصادف من يقول قبله في ذات الموقف: "وأحمق الشعر عندي من أدخل نفسه في هذا الباب وتعرض له. وما للشاعر والتعرض للحتوف؟ وإنما هو طالب فضل، فلم يضيع رأس ماله، لا سيما وإنما هو رأسه، وكل شيء يحتمل إلا الطعن في الدول، فإن دعت إلى ذلك ضرورة مجحفة، فتعصب المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه أصوب وأعذر له من كل جهة على كل حال"[2]. فنفهم من هذا القول أن حازماً أكثر صراحة في مواجهة الموقف منه ولكن الذي نصادفه عند نقاد التراث – في الأغلب الأعم– التأكيد على أن صانعي الشعر لم يكن لهم بد من اصطناع المشاعر والتأكيد على ضرورة مخاطبة كل طبقة على حسب قدرها وعلى حسب ما يؤمل من نفعها ونوالها أو يخشى من بطشها وفتكها.

وقد نقرأ عند حازم قوله: "فأما مدح الخلفاء، فيكون بأفضل ما يتفرع من تلك الفضائل وأجلها وأكملها كنصرة الدين، وإفاضة العدل، وحسن السيرة، والسياسة، والعلم والحلم، والتقى، والورع، والرأفة، والرحمة، والكرم، والهيبة، وما أشبه ذلك. وينبغي أن يتخطى في أوصافهم حدود الاقتصاد إلى حدود الإفراط، وأن يترقى عن وصفهم بفعال ما يكون حقاً واجباً إلى تقريضهم بما يكون من

---

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٧٠.

(٢) ابن رشيق: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط٣: ١: ٧٥.

ذلك نافلة وفضلاً"[1]، وقد نقرأ عند حازم قوله: إن "امداح الخلفاء يجب أن تكون نمطاً واحداً ينحى بأوصافها أبداً نحو الإفراط"[2]. فنفهم من مجموع أقواله أنه يؤكد الإفراط، وهو تأكيد يمكن أن نجده عند المتقدمين عليه. الفارق بينه وبينهم – خلا قدامة– أنه يقبله ويستسيغه ما دام غير مجانب للهدف الأساسي للشاعر وهو تصوير النموذج الإنساني الذي تتحقق فيه الفضائل، وأنهم يقبلونه كضرورة يفرضها واقع الشعراء الاجتماعي آنذاك.

قد توجد الفضائل في ذات الممدوح، فلا يعاني الشاعر – والأمر كذلك– مشكلة في مدحه، ولكن المشكل يقع في الوقت الذي لا تتحقق فيه الفضائل في شخص الممدوح، ويتأتى حل هذا المشكل عند حازم من قوله إن الشاعر ينبغي ألا يجعل من الفضائل حلية لمن لا يستأهلها، فضلاً عن أن الإلحاح على مدح الممدوح بما يكون نافلة وفضلاً يمكن أن يكون له مغزاه التربوي المتصل بالحكام أنفسهم، وكأن مدح الممدوح بإنكار الذات قد يدفعهم إلى هذا الإنكار بالفعل[3]، وإلا فالصمت والبحث عن حكام آخرين أولى بالشاعر وأخلق.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن حازماً يرفض بشدة أن يقف الشاعر مسترفداً بشعره لأن مثل هذا الموقف هو الذي أدى إلى هوان الشعر وتدني

---

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٧٠. من المهم ألا ننسى أن قبول حازم الإفراط وتأكيده عليه لا يتعارض مع فهمه لماهية الشعر أو مهمته، فضلاً عن أنه تأكيد يستلزمه الواقع الاجتماعي الذي كان يبسط ظلاله أيام حازم، وهو واقع يتحدث عنه بعض الدارسين فيقول: "ففي عصور الحكم الفردي التي عاش فيها حازم وأمثال حازم كانت النفوس ترى في الملوك أنصاف آلهة، وكان ما يقع في أوهام الناس من مخافتهم وتوقع بطشهم... أعظم بكثير من حقيقتهم وما يقع في العادة في أمثالهم، فكان توخي القصد في مدحهم، في حقيقة الأمر، مخالفة للأصل الأول في العمل الشعري وهو التخييل". شكري عياد: كتاب أرسطوطاليس في الشعر: ٢٧٠.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٧١.

(٣) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ١٢٥.

مستواه وقيمته وقلة شأن الشعراء، ويتجلى ذلك في قوله: "ولكثرة القائلين المغالطين في دعوى النظم.... وقلة العارفين بصحة دعواهم من بطلانها لم يفرق الناس بين المسيء والمسف إلى الاسترفاد بما يحدثه وبين المحسن المرتفع عن الاسترفاد بالشعر"[1]. ومثل هذا القول فضلاً عن أنه يذكرنا بنظائره عند السابقين لحازم أمثال الرازي أبي حاتم وأبي عمرو بن العلاء[2]، فإنه يكشف بوضوح بالغ عن نظرة حازم إلى الشاعر، إنه عند حازم ليس "طالب سيب" أو "طالب فضل" وإنما هو "صاحب مهمة" لها فعلها وخطرها في حياة الفرد والجماعة، ولولا هذا الاعتقاد بأهمية الشعر ونفعه وجدواه لما نقل الرجل عن ابن سينا قوله: "كان الشاعر في القديم ينزل منزلة النبي، فيعتقد قوله ويصدق حكمه، ويؤمن بكهانته"[3]، وهو نقل يعلي – دون شك– شأن الشاعر، ويجعله يتنزل منزلة أشرف الناس وأفضلهم بدل منزل أخسّ الناس وأنقصهم، وهي منزلة تحقيقها موقوف على أمرين: اعتراف الجماعة بالدور الذي ينهض به الشاعر وتقديرهم له من ناحية، وإحساس الشاعر بأهمية الدور الذي يضطلع به في حياة الفرد أو الجماعة من ناحية ثانية.

قد تتعد أغراض الشعر عند حازم فتشمل المدائح والأهاجي والتعازي والتهاني، وقد ينظر حازم إلى أغراض الشعر من زاوية الأحوال الإنسانية التي يعالجها فتنقسم الأقاويل الشعرية بهذا الاعتبار إلى الأقاويل المستطابة والأقاويل الشاجية والأقاويل الفاجعة، وقد يعالج الشعر ما يطلق عليه حازم الأغراض الجماعية، وقد يضيف الرجل إلى كل هذه الأغراض ما يسميه "الأغراض الجمهورية". المهم أن أغراض

---

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٢٥.

(٢) درويش الجندي: ظاهرة التكسب في الشعر العربي وفي نقده: ٢٥٣ وما بعدها.

(٣) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٢٤ وقارنه بصفحة ١٢٢.

الشعر عند حازم لا حصر لها[1]، والأهم أن حازماً ينفي الاسترفاد في أي من هذه، وهو نفي يقوم على صلة الشعر بالجماعة من جهة وعلى ضرورة أن ينبع الشعر من اعتقاده بنفعه وجدواه أو كما يقول حازم: "عن فكر ولع بالفن والغرض الذي القول فيه"[2] ولا شك – والأمر كذلك أن الذي يقول عن رغبة أو رهبة أدنى منزلة – في مجال المفاضلة– من الذي "لم يقل رغبة ولا رهبة".

إن الشعر في أغراضه السابقة كلها يعالج الموضوعات التي تقع في دائرة المعرفة الإنسانية، ويهدف في معالجته لها إلى إيلاع النفوس بفعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله أو اعتقاده وذلك "بأن يخيل لها أو يوقع غالب ظنها أنه خير أو شر، بطريق من الطرق التي يقال بها في الأشياء إنها خيرات أو شرور"[3].

إن الأشياء التي يقال فيها إنها خيرات وشرور أو يتوهم أنها كذلك منها أمور يشترك في معرفتها وإدراكها الخاصة والعامة ومنها أمور ينفرد بإدراكها ومعرفتها الخاصة دون العامة. المهم أن الشاعر ينبغي أن يكون أوفر حظاً من غيره في معرفته بكل ذلك ما دام معنياً في كل ما له علقة بهموم الإنسان وآماله. وعلى هذا الأساس فإن أعرق المعاني في الصناعة الشعرية هي ما اشتدت علقته بأغراض الإنسان، وكانت دواعي آرائه متوفرة عليه، وكانت نفوس الخاصة والعامة، قد اشتركت في الفطرة على الميل إليها أو النفور عنها، أما ما لم تتوفر

---

(١) شكري عياد: كتاب أرسطوطاليس في الشعر: ٢٤٦.

(٢) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٤١.

(٣) المصدر السابق: ٢٠.

دواعي أغراض الإنسان عليه وما انفرد بإدراكه المكتسب الخاصة دون العامة فإنه غير عريق في الصناعة الشعرية[١].

قد تتفاوت استجابة الجماعة للشعر وتأثرها لمقتضياته. فتضعف أو تقل بحسب قرب الشعر من حياة الجماعة أو بعده عنها. المهم أن الاستجابة لن تتحقق إلا إذا كان الشعر حميم الصلة بحياة الجماعة، ولذلك يقول حازم: "إن الالتذاذ بالتخييل أو المحاكاة – الشعر – إنما يكمل بأن يكون قد سبق للنفس إحساس بالشيء المتخيل، وتقدم لها عهد به"[٢]. وإذا كان هذا القول يشي بأن الشعر يمكن أن يعالج ما هو مرئي بالنسبة للإنسان فإنه يشي بأن الشعر يمكن أن يعالج جوانب مستورة قد لا تظهر إلى مستوى الإدراك العادي، وبالجملة فإن "الشاعر يحتاج إلى أن تكون له معرفة بنعوت الأشياء التي من شأن الشعر أن يتعرض لوصفها، ولمعرفة مجاري أمور الدنيا وانحاء تصرف الأزمنة والأحوال، وأن تكون له قوة ملاحظة لما يناسب الأشياء والقضايا الواقعة من أشياء تشبهها، وقضايا متقدمة تشبه التي في الحال"[٣].

إن علقة الشعر بحياة الجماعة قوية، ولشدة علقة الأقاويل الشعرية بالأغراض الجماعية كانت أشد تحريكاً للنفوس وأعظم أثراً فيها من غيرها. هذه العلقة تتطلب من الشاعر أنماطاً متنوعة في التناول تنوع المقاصد ذاتها، ففي الأغراض الجمهورية في الشعر وهي التي يراد بها استثارة الأفعال الجمهورية أو كفكفتها بالإقناعات والتخاييل المستعملة فيه"[٤] يمكن للشعر استغلال إمكانات الخطابة في إيقاع التصديق وإيلاع النفوس بفعل شيء أو التخلي عن فعله "لأن

---

(١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٢) المصدر نفسه: ١١٨.

(٣) المصدر نفسه: ٤٠.

(٤) المصدر السابق: ٤١.

صناعة الشعر تستعمل يسيراً من الأقاويل الخطابية، كما أن الخطابة تستعمل يسيراً من الأقاويل الشعرية لتعتضد المحاكاة في هذه بالإقناع في تلك بالمحاكاة"[1]. صحيح أن لب الشعر وجوهره التخييل وأن أساس الخطابة الإقناع ولكن الصحيح أيضاً أن التخييل يرمى في جزء منه إلى شيء غير بعيد من الإقناع طالما أن الغرض من الصناعتين واحد وهو: "أعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمتقضاه"[2]. وبسبب من هذا الاتفاق بين الصناعتين في المقصد – الغرض- ساغ للشاعر أن يخطب وللخطيب أن يشعر ولكن على جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع، ولقد قال الشاعر:

وما الشعر إلا خطبة من مؤلف يجيء بحق أو يجيء بباطل[3]

وإذا أضيف على ذلك أن النفوس تسأم التمادي على حال واحدة وتؤثر الانتقال من حال إلى حال وتستريح إلى استئناف الأمر بعد الأمر واستجداد الشيء بعد الشيء ليستجد نشاطها بتجدد الكلام عليها – أو كما يقول حازم عن النفوس: "إن شيمتها الضجر مما يتردد والولع بما يتجدد"[4] – أدركنا- والأمر كذلك – أن استغلال طرائق الخطابة في إيقاع فعل الإقناع يمكن أن يفيد الشعر في الأغراض الجمهورية، وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم ما يقوله حازم من أن ارداف التخييلية في الطريقة الشعرية بالإقناعية والإقناعية في الخطابة بالشعرية" أعود براحة النفس، وأعون على تحصيل الغرض"[5].

---

(١) المصدر نفسه: ٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٦١.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

هناك ثمة وسائل تعضد طريق الخطابة في إيقاع فعل الإقناع، منها أن يلجأ الشاعر إلى الكذب، ومنها أن يعمد إلى الإيهام والتمويه، وهي وسائل لا تختلف برمتها عن وسائل الإقناع والاستدلال في المنطق[١]، المهم أن يستخدم الشاعر هذه الوسائل بنوع من (التلطف) أو (الدلة) لإيقاع الحيل التي هي الأساس في إيلاع النفوس بفعل شيء أو النفرة منه، ولا يقل عن هذا أهمية أن هذه الوسائل بالجملة هي التي يتوقف عليها النجاح في الجمهوري من الأغراض، فضلاً عن أن هذه الوسائل بالتالي تتجاوب مع تصور حازم الأخلاقي للشعر"، وإنما ساغ في الشعر وقوع الكذب... إذ المقصود بالشعر الاحتيال في تحريك النفس لمقتضى الكلام بإيقاعه منها بمحل القبول بما فيه من حسن المحاكاة"[٢] وهو التصور الذي لا تتعارض فيه الغاية مع الوسيلة ما دامت الغاية هي التي تفرض الوسيلة وما دام جلالها يبسط ظلاله على كل الطرق المؤدية إليه[٣].

إن تأكيد حازم المستمر على علاقة الشعر بالجماعة هو الذي دفعه إلى التقدير اللافت للأثر الذي يمكن للتاريخ من جهة وللحكمة من جهة ثانية أن يوقعاه في هذا الصدد، أعني فيما يتصل بصلة الشعر بالجماعة. أما الحكمة فإن أهميتها ترتد إلى اعتبارها "مثالاً لكيفيات مجاري الأمور والأحوال وما تستمر عليه أمور الأزمنة والدهور"[٤]، وتأثير الحكمة في الشعر رهين قدرتها على الإقناع خاصة عندما تتناغم التجارب المكثفة مع "حال من قصد به القول

---

(١) قاسم المومني: نظرية الشعر عند ابن سينا، بحث منشور في مجلة المورد العراقية، المجلد العاشر، العدد الثاني: ١٧، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٢) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٩٤.

(٣) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٧٧.

(٤) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٥٥.

أو وضع له"[1]. فتحدث في المتلقي – والأمر كذلك– استجابة مقترنة بالإقناع، وعلى هذا الأساس يمكن للحكمة أن تأتي على سبيل الاستدلال "لتوطن النفوس على ما لا يمكنها التحرز منه أو لا يحسن بها التحرز من ذلك، ولتحذر مما يمكنها التحرز منه ويحسن بها ذلك، ولترغب فيما يجب أن ترغب فيه وترهب مما يجب أن ترهبه، وليقرب عندها ما تستبعده ويبعد ما تستقربه وليبين لها أسباب الأمور وجهات اتفاقات البديعة الاتفاق منها"[2].

أما التاريخ فإن أهميته – في الشعر– تقع فيما تحمله العودة إليه من استحضار العظة والعبرة، وهو أمر لا يختلف في جوهره عما يمكن للحكمة أن تحدثه. إن الشعر عندما يعمد إلى المأثور – التاريخ– فإنما يعمد إليه لا على أساس أنه أمر قد انبتر واندثر وإنما يعمد إليه على أساس أنه فعل يمكن أن يؤثر في المعهود – الحاضر– تأثيراً يوجه مساره على نحو أفضل وذلك عن طريق "الإحالة".

قد يعني مصطلح "الإحالة" – عند حازم– الإيماء إلى وقائع التاريخ أو معالجة هذه الوقائع معالجة تصل المأثور بالمعهود، وقد تتنوع الإحالة عند حازم لتشمل "إحالة التذكرة، أو إحالة المحاكاة، أو إحالة الاضراب، أو إحالة الإضافة"[3]، ودون أن نفصل القول في صنوف الإحالة صنفاً صنفاً فإن الذي يعنينا أن نقول أن الإحالة على الجملة متصلة بمقاصد الشعر الجمهورية مما يفرض على الشاعر عند محاكاة المعهود بالمأثور أو إحالته به عليه أو استشهاده عليه به أن يوقع التوافق بين مقاصد كلامه ووقائع التاريخ وأحداثه، وهو توافق يقتضي من الشاعر أن يراعي الانتقاء من وقائع التاريخ. وتلعب

---

(١) المصدر نفسه: ٦٧ وقارن بصفحة ٢٢١.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق: ٢٢١.

القصص والأمثال هنا دوراً لافتاً ذلك أن "ملاحظات الشعراء والأقاصيص والأخبار المستطرفة في أشعارهم ومناسبتهم بين تلك المعاني المتقدمة والمعاني المقاربة لزمان وجودهم، والكائنة فيها التي يبنون عليها أشعارهم مما يحسن في صناعة الشعر. ويجب للشاعر أن يعتمد من ذلك المشهور الذي هو أوضح في معناه من المعنى الذي يناسب بينه وبيته ويعلقه عن طريق التشبيه، أو التنظير، أو المثل، أو غير ذلك. ويسمى ما تسبب إلى ذكره من القصص المتقدمة المذكورة بذكر قصة أو حال معهودة، الإحالة، لأن الشاعر يحيل بالمعهود على المأثور"[1]. ومعنى ما يقول حازم – كما أفهم منه– أن العودة على الأخبار المأثورة – التاريخ– مرتبطة أصلاً بالوقائع المعهودة – الحاضر– وأن المشابهة بين هذه وتلك أمر لازم لتحقيق الربط المؤثر في ذهن المتلقي، ولقد قيل إن الإحالة إلى الذائع المشهور يعين على تحقيق هذا الربط بصور أفضل[2].

إن إلحاح حازم المتصل على علقة الشعر بالجماعة يعني إلحاحه على المهمة الأخلاقية له، ويعني – وهذا هو الأهم– نفي الاسترفاد به لتعارضه أصلاً مع هذه المهمة، وتتهاوى في غمرة هذا الإلحاح أو بسببه الجوانب الخاصة للشاعر المبدع بحيث تبقى الجوانب المتصلة بالتوجيه والإرشاد، والتعليم والتهذيب هي الجوانب الأكثر وضوحاً، ولكن حازماً رغم كل ذلك يتقبل الجوانب الفردية الخاصة بالشاعر لأنه لا ينكر أصلاً تعدد جوانب الحياة الإنسانية وتنوعها من ناحية وهو تنوع يستلزم – حتماً– تنوع ضروب الشعر في التعامل معها من ناحية أخرى.

---

(١) المصدر نفسه: ١٨٩.

(٢) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٧٨.

ومن المنطقي طالما أن الشعر لا ينفك يتصل بالجماعة أن تتعدد مضامينه وتتنوع طرائقه وتختلف أغراضه، والتعدد في كل ذلك مواز لتعدد جوانب الحياة الإنسانية مساو لها. ولما كان الناس في دنياهم منقسمين بحسب أحوالهم أقساماً ثلاثة وكانت أحوال القسم الأول أحوالاً مفرحة أو منعمة وأحوال القسم الثاني أحوالاً شاجية وأحوال القسم الثالث أحوالاً فاجعة، وجب أن تكون الأقاويل الشعرية – والقول لحازم– منقسمة بهذا الاعتبار، فهناك الأقاويل المنعمة وهناك الأقاويل الشاجية وهناك الأقاويل الفاجعة.

أما الأحوال المنعمة فهي التي تكون "مفرحة محضة يذكر فيها لقاء الأحبة في حال وجوده واجتلاء الروض والماء وما ناسبهما والتنعم بمواطن السرور ومجالس الأنس"[1] وأمثلتها نحو أن يذكر العناق اللثم وما ناسب ذلك من الملموسات والماء والخضرة وما ناسب ذلك من المبصرات، مثل أن يذكر الغناء والزمر والعزف ونحو ذلك من المسموعات، ونحو ذلك الخمر ونحوها من المطعومات، وتشمل الأحوال المنعمة إضافة إلى كل ما تقدم مجالس الأنس ومواطن السرور ومشاهد الأعراس والأعياد وما شاكل ذلك[2]. وكل هذه الأحوال تقوم بدور الترفيه عن الإنسان وتجعله يستشعر اللذة والمتعة في تجشمه المشقة للوصول إلى السعادة.

وعلى أساس هذا الترفيه أو "الإمتاع" الذي يقترن بالأحوال المفرحة أو المنعمة، يفهم حازم شعر المجون على الجملة فهماً لا يفارق تصوره الأخلاقي أبداً، ويصبح هذا الشعر مقبولاً على أساس من هذا التصور، ومن هنا يعقد الرجل مقارنة بين ما يسميه "طرق الجد" في الشعر "وطرق الهزل". إن طرق

---

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢١-٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٧.

الجد فيما يقوله حازم "مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مروءة وعقل بنزاع الهمة والهوى إلى ذلك[١]، أما طرق الهزل فإنها عند حازم "مذهب في الكلام تصدر الأقاويل فيه عن مجون وسخف بنزاع الهمة والهوى إلى ذلك[٢]". ومن المنطقي والفارق بين الطريقتين ما ذكره أن يكون الواجب في معاني الطريقة الجدية "أن تكون النفس فيها طامحة إلى ذكر ما لا يشين ذكره ولا يسقط عن مروءة المتكلم، وأن تكون دون أدنى ما يحتشم من ذكره ذو المروءة أو يكبر نفسه عنه"[٣]، وأن يكون الواجب في الطريقة الهزلية "أن تكون النفس في كلامها مسفة إلى ذكر ما يقبح أن يذكر، والا تقف دون أقصى ما يوقع الحشمة. وألا تكبر عن صغير ولا ترتفع عن نازل"[٤]. وتتناغم أداة كل من الطريقتين مع مضمونها، فتتحرى طريقة الجد في عباراتها المتانة والرصانة وقد يسوغ فيها إيراد الوحشي والغريب. أما طريقة الهزل فقد يتسامح فيها باستعمال الألفاظ الخسيسة والعبارات الساقطة، وقد تأخذ الأولى بطرف مما في الثانية كما تأخذ الثانية بطرف مما في الأولى[٥].

قد نقول إن ما يقوله حازم في معرض مقارنته بين الطريقتين "الجدية والهزلية" يمكن أن نقع على أصوله عند نقاد من الفلاسفة أمثال ابن رشد وابن سينا والفارابي، وإن الجميع ينهل من النهاء الأرسطي ولقد قيل إن كلا المصطلحين – طرق الجد وطرق الهزل– قد استخدما منذ فترة مبكرة في النقد العربي وإن المزج بين الطريقتين يستند إلى تبرير فحواه أن النفوس ربما ملت

---

(١) المصدر السابق: ٣٢٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه: ٣٢٩.

(٤) المصدر نفسه: ٣٣١.

(٥) المصدر نفسه: ٣٢٩.

الحق، ولذلك فهي تحتاج إلى أن تمتري نشاطها وتبقي جمامها بشيء من الهزل، وهو تبرير تضرب جذوره في النقد العربي المبكر[١]، وقيل إن مجمل ما أورده حازم في طريقتي الجد والهزل إنما هو تطبيق مخلص لتقسيم أرسطو للشعر إلى تراجيديا وكوميديا على فنون الشعر الغنائي[٢]. ولكن علينا أن نلاحظ أن حازماً عندما يستحسن إرداف الجد بالهزل أو إعضاد الهزل بالجد، فإنما يؤكد بطريقة أو بأخرى انطواء الهزل على مدلول أخلاقي يتمثل – على صعيد– في تدارك للنفوس من إيلامها بالشاجي الصرف بأن تعرض عليها المعاني التي تلتذ بتخييل ما يعني بها وإن آلمها مغيبه أو انقضاؤه؛ ويتمثل – على صعيد آخر– في أن ذا الجد تحركه معاني الهزل وتطربه وإن لم يكن من شأنه[٣]. ولقد قيل إن الهزل برمته بما يتيحه للإنسان من ترفيه ومتعة إنما يمكن الإنسان من مواجهة جهوده لتحقيق السعادة[٤]، وهو أمر يؤكد – بالتالي– أن الشعر في معالجته لكل الجوانب الإنسانية إنما يؤكد الفضيلة بدرجاتها المتنوعة وبمثل هذا التأكيد ينداح الاسترفاد الرخيص بالشعر أو الاستدرار الهين به.

إن الدور الذي ينهض به الشعر في معالجته جوانب الحياة الإنسانية المتصل منها بالأحوال المنعمة هو الدور الذي يقوم به في معالجة الجوانب ذاتها ما اتصل منها بالأحوال الشاجية والفاجعة. أما الأحوال الشاجية "فهي أن تذكر فيها مستطابات قد انصرمت فيلتذ لتخييلها ويتألم لفقدها"[٥]، وأمثلتها أن توضع فيها الوحشة موضع الأنس والكدر بدلاً منها الصفاء والجور محل العدل

---

(١) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٨٤.

(٢) شكري عياد: كتاب أرسطوطاليس في الشعر: ٢٧٧.

(٣) المصدر السابق: ٢٣٠.

(٤) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٨٦.

(٥) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٢.

والإساءة مكان الإحسان، ومن أمثلة هذه الأحوال إعقاب التنعم بالوطن المؤنس بالتألم لفراقه وإعقاب التنعم بالزمن المسعد بالتألم لفراقه، ومنها أحوال كان الجور منها وضع موضع العدل والإساءة موضع الإحسان، ومنها تشكي جور الزمان وخون الإخوان وجري الأمور على غير ما يلائم ذا الفضل، وأكثر الناس فيما يورده حازم "لا يخلو عن بعض هذه الأحوال"[١]. أما الأحوال المفجعة فهي التي "يذكر فيها الإنسان ما يلحق العالم من الغير والفساد ومآل بني الدنيا إلى ذلك"[٢]، بالجملة فإن المعاني في هذه الأحوال المفجعة هي "أضداد المعاني المفرحة المنعمة"[٣]. وإذا كانت هذه الأحوال – الفاجعة والشاجية– تحمل معها تمرد الإنسان على وضعه المتردي ورفضه، مثلما يمكن أن تحمل معها ألم الإنسان المرافق لكل وضع متوتر[٤]، فإن الشعر عندما يعالجها إنما ينهض بدور إيجابي فعال عندما يؤكد تجاوز الإنسان للمتردي من الوضع بعد رفضه له. وعندما يقدم البهجة من خلال ظلمة الفجيعة والأمل من خلال عتمة الشجو، وهو دور يؤكده حازم عندما يقول: "إنه إذا تمادى استمرار الشاعر في الأسلوب على معاني من شأن النفس أن تنقبض عنها وتستوحش منها فقد يحق عليه أن يؤنس النفوس من استيحائها ويبسطها من قبضها"[٥]. وعندما يقول "ويجب أن تؤنس النفوس عند استجمامها من توالي المعاني التي من شأنها أن تقبضها يناسب بينها وبين تلك مما شأنه أن يبسطها"[٦]، وهذه أقاويل تشي بتآزر أغراض الشعر بعضها ببعض، وهو تآزر كمثل تآزر الأحوال الإنسانية

---

(١) المصدر نفسه: ٣٥٨.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه: ٢٢.

(٤) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٨٢.

(٥) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٥٩.

(٦) المصدر نفسه: ٢٥٨.

وتكاملها، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإنها أقاويل تشي بالاقتران الشديد بين الشعر في أغراضه المختلفة وبين السلوك الإنساني في أوضاعه المتعددة، والشأن في ذلك هنا كمثل ما كان عليه في الأحوال السارة على السواء.

(٥)

يمكن أن نقول – بعد كل ما تقدم– إن الشعر يهدف– في المحك الأخير إلى السمو بالإنسان والارتفاع به عن مستوى الضرورة. ومن الطبيعي أن ينظر حازم إلى الشاعر – والأمر كذلك– باعتباره صاحب فعل جلل وأمر مؤثر في حياة الفرد والجماعة وليس صاحب استرفاد مسف أو طالب عطاء ذليل أو قاصد سبب رخيص. وأياً كان الاختلاف مع الرجل في تفاريق نظرته فإننا لا يمكن إلا أن نسلم بالأساس الذي ظل يمتري منه في موقفه من الاسترفاد بالشعر.

قد لا يصل الناقد المعاصر إلى ما توصل إليه حازم في معرض مقارنته بين الشعر والخطابة، فيرفض أصلاً أن تكون المغالطة والتمويه أساساً للاستدلال والإقناع ويرفض أساساً أن يكون التأثير الذي يحدثه الشعر قرين الكذب والإيهام. وقد يوحد الناقد المعاصر بين طرق الجد والهزل – هذا إن كان في الفن هزل– على أساس من الوحدة التي تجمع بين طرائق الشعر في المقصد والقيمة، وقد لا يرى الناقد المعاصر رأي حازم في أن الأخلاق الفواضل هي التي تصل بالفرد أو الجماعة إلى الكمال أو السعادة باعتبار أن الأخلاق ليست إلا محصلة لعلائق الجماعة المتشابكة. إن التأكيد على الأخلاق وحدها دون اعتبار لمكوناتها تأكيد يمس ظاهر الأخلاق دون أن يصل إلى جوهرها، فضلاً عن أن مطالبة الشاعر بالثبات عند الثوابت من الأخلاق الفواضل يعني

بالضرورة حصر مهمة المبدع في جانب واحد وأعني به معالجة ما هو كائن فحسب. ولقد قيل إن الشعر لا يصور الوجود كما هو وإنما يصور مثاله[1].

قد نقول إن تأكيد حازم على هذا الجانب كان له ما يبرره ويسوغه، فالاسترفاد بالشعر قد كثر في عهده، والمغالطون في دعوى النظم كثروا في إبانه وكل هذه أمور أدت بالشعر إلى التدني وبالشعراء إلى الهوان والصغار، وقد نقول إن حازماً كان يحيا في وقت – القرن السابع الهجري– كان يرافقه فيه إحساس دائم بالغربة لغياب الأخلاق الفواضل فيه من ناحية، ولاستبداد الحكام من ناحية ثانية، وللتخلف بمستوياته المتعددة من ناحية ثالثة، وكل هذه أمور تقف وراء إلحاح حازم على مطالبته الشاعر بالتوقف عند الأخلاق الفاضلة فبمثل هذا الإلحاح قد تعود للشعر نضارته وبمثل هذا الإلحاح ينداح الاسترفاد عن الشعر..

ولكن مهما كانت التبريرات التي تفسر تأكيد حازم على مطالبة الشاعر بالثبات عند الثوابت من المبادئ والقيم فإن الذي لا شك فيه أن مهمة المبدع تخطي الكائن منها إلى ما ينبغي أن يكون عليه منها لا على مستوى الفرد ولا على مستوى الجماعة وإنما على المستوى الإنساني برمته. وعند هذا الحد يمكن لمضمون الشعر الأخلاقي أن يفهم فهماً أرحب يتعدل خلاله مفهوم شعر المجون على الجملة، وعند هذا المستوى يصبح الشاعر في غير حاجة إلى الكذب ويغدو في أشدها إلى أن يعرف متلقيه بما عنده من الإمكانات الخاصة بفنه جداً[2]، بتردي وضعه ويغذي فيه رغبته في التغيير والتبديل والتخطي في آن، وعند هذا المستوى بالتالي يغدو التفريق بين طرق الجد والهزل أمراً غير ذي

---

(١) شكري عياد: كتاب أرسطوطاليس في الشعر: ٢٧١.

(٢) راجع هذا الإمكانات عن قاسم المومني: نقد الشعر عند ابن رشد بين التأصيل النظري والتطبيق العملي، بحث منشور في مجلة المعرفة السورية، عدد ٢٢٩، آذار ١٩٨١: ٣٠.

شأن طالما أن المعول في الفن على الأثر الكلي للشعر في الإنسان، وقدرة الشعر على أن يبده متلقيه بالمفارقات الكامنة في العالم الذي يعيش فيه[1].

وأيّاً كان الاختلاف بين حازم وبين الناقد المعاصر فلا يمكن للأخير إلا أن يسلم بدقة منهج الأول في موقفه من الاسترفاد واتساقه، ولا يمكن له إلا أن يتفق معه في الأساس الذي ظل يغذي موقفه وهو التأكيد المتواصل على وصل الشعر في اكتماله بالحياة الإنسانية في كمالها، والتعامل مع الشعر باعتباره الأداة التي ترتقي بالإنسان وتسمو به، وهو جانب لا ينفك يتصل بعلقة الشعر بالجماعة، من حيث ما يستلزمه الموقف من المبدع والمتلقي في آن من متطلبات متساوية القيمة.

إن الشعر في تصور حازم – يكتسب قيمته من جلال غايته، وهو جلال جعل الشاعر مثل النبي يتبوأ منزلة أشرف الناس كما أسلفت. ويتطلب هذا الجلال من المبدع أن يكون فوق غيره إدراكاً ومعرفة، وأن يكون أكثر من غيره قدرة على استحضار المأثور واستيعاب المعهود، وما دام الشاعر صاحب فعل جلل فإن من المنطقي أن يكون أكثر من غيره خبراً ومعرفة. ومن هنا تبدو المعرفة بأصول الصناعة الشعرية أمراً مهماً، ويساوي هذا الأمر في أهميته أن يكون الشاعر عميق الإدراك للتجربة الإنسانية. إن رحابة المعرفة أصل لازب لمعرفة أنحاء تصرف الأزمنة ومجاري أمور الدنيا طالما أن الأصل الذي به يتوصل إلى استثارة المعاني واستنباط تركيباتها هو "التملوء من العلم بأوصاف الأشياء، وما يتعلق بها من أوصاف غيرها، والتنبه للهيئات التي يكون عليها

(١) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٧٨–٢٨٨.

التأم تلك الأوصاف وموضوعاتها، ونسب بعضها إلى بعض أحسن موقعاً من النفوس، والتفطن إلى ما يليق بها من ذلك بحسب موضع وعرض غرض"[١].

قد نقول – مثل حازم– إن المعتبر في حقيقة الشعر إنما هو التخييل[٢]، فنعزف بهذا القول على أوتار عزف عليها الأسلاف من النقاد الفلاسفة ولكن الخيال لا يمكن أن يبدع شيئاً لم يؤد إليه الواقع الخارجي بصورة من الصور، إن فاعليته مقترنة بالقدرة على الانتهاء إلى العلائق الكامنة بين الأشياء وفيها، مثلما هي مقترنة باستيعاب تجارب الإنسان في المأثور والمعهود ولقد قيل إن القدرة التخيلية تمكن الشاعر من إعادة تشكيل تجاربه التي مر بها بشكل أو بآخر بحيث يشكل منها تجارب جديدة، قد لا يكون عاناها واقعياً، وإن عاناها تخيلياً[٣]. وقال حازم لما كان القول في الشعر لا يخلو من أن يكون وصفاً أو تشبيهاً أو حكمة أو تاريخاً احتاج الشاعر أن تكون له معرفة بنعوت الأشياء التي من شأن الشاعر أن يتعرض لوصفها، ولمعرفة مجاري أمور الدنيا وأنحاء تصرف الأزمنة والأحوال، وأن تكون له قوة ملاحظة لما يناسب الأشياء والقضايا الواقعة من أشياء أخرى تشبهها، وقضايا متقدمة تشبه التي في الحال[٤] وهذا قول ينبئ بأن الشاعر قد يعايش بالفعل كل تجربة يعالجها في إبداعه، وينبئ – بنفس الوقت والقدر– بأن الشاعر قد يبدع في شعره تجارب لا تمت إلى واقعه المعاش بصلة.

وقد نقول إن ثراء تجارب الشاعر قد يمكن من خلق تجارب جديدة، وعلى قدر هذا الثراء تكون الفائدة للشاعر والمتلقي، المهم أن يؤمن كل من الشاعر

---

(١) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٨.

(٢) المصدر نفسه:٢١ وقارن بالصفحات: ١٧، ١٨.

(٣) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٨٩.

(٤) حازم القطرجاني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٤٢.

والمتلقي بأهمية الشعر ونفعه، لأن مثل هذا الإيمان يفرض على الشاعر – بالتأكيد– أن يترفع فوق كل استرفاد، ويتطلب من المتلقي أن يساعده في هذا الاتجاه ولا يسير في الاتجاه المضاد له. إن التأثير الذي يمكن للشاعر أن يحدثه في متلقيه قرين تأثره – أصلاً– بموضوع إبداعه، طالما أن الدافع الأساسي للنظم ذاتي متصل بأغراض أول هي "أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس لكون تلك الأمور مما يناسبها ويبسطها، أو ينافرها ويقبضها، أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين: فالأمر قد يبسط النفس ويؤنسها بالمسرة والرجاء، ويقبضها بالكآبة والخوف وقد يبسطها أيضاً بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع. وقد يقبضها ويوحشها بصيرورة الأمر من "مبدأ سار إلى مآل غير سار"[1]. ومعنى ما يقوله حازم كما أفهمه أن الدافع الأساسي للنظم ذو علقة بإدراك الشاعر لجلال الموقف الذي ينهض به في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة، وإذا كان الشاعر لا يقوى على نظم شعر حق دون باعث ذاتي ودون إدراك لقيمة الشعر في حياته وحياة متلقيه، فإن من المنطقي أن تكون الجماعة أكثر عجزاً عن الإفادة من الشعر إن هي لم تدرك قيمته في حياتها[2].

قد يرد حازم مثل هذا الإدراك إلى التعاطف مع الشعر[3]، وقد يرتد هذا الإدراك عند حازم إلى الاعتقاد في الشعر أنه حكم وأنه غريم[4]. أما التعاطف مع الشعر فإنه موجود في عهد الرجل، وأما الاعتقاد بأهمية الشعر وجدواه وبفضل قول الشاعر وصدعه بالحكمة فيما يقول فإنه معدوم على الجملة أيام

---

(١) المصدر نفسه: ١١.

(٢) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٩١.

(٣) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء والأدباء: ١٢١.

(٤) المصدر نفسه: ١٢١-١٢٢.

حازم، والسبب في ذلك الاسترفاد بالشعر وهو أمر أدى إلى ازدراء الشاعر والنظر إليه على اعتبار أنه طالب سيب رخيص.

وليس هناك من سبيل لدرء هذا السبب والرجوع بالشعر إلى ما كان عليه أيام عزه وسؤدده خير من التركيز على المضمون الأخلاقي للشعر، والتأكيد على تصور أخلاقي يمتاح منه المبدعون ويفيد منه المتلقون وبمثل هذا الإلحاح – وهو إلحاح حرص عليه حازم كل الحرص كما أوضحت في الصفحات السابقة، يرتقي المبدع عن الاسترفاد الهين على حساب الفن، وترتفع درجة الاستعداد لقبول الشعر والتأثر بمعطياته. وبمثل هذا الإلحاح – في النهاية– ترتفع قامة حازم عن قامات غيره من نقاد التراث ممن تأثر بهم الرجل في الموقف ذاته – موقف الاسترفاد بالشعر– أو ممن ساير الشعراء في التقعيد للاسترفاد بالشعر والتأصيل للاستمناح به.

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة
في الدورة الحادية والخمسين

للدكتور عدنان الخطيب

(عضو المجمع)

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته الحادية والخمسين، بمدينة القاهرة في المدة الواقعة من ٥ جمادى الثانية، الموافق ٢٥ من شباط (فبراير) حتى ١٩ من جمادى الثانية سنة ١٤٠٥هـ، الموافق ١١ من آذار (مارس) سنة ١٩٨٥م، عقد خلالها ثلاث عشرة جلسة، منها جلستا الافتتاح والختام.

وفيما يلي عرض موجز لما دار في المؤتمر من بحوث وما انتهى إليه من مقررات:

أولاً: جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتاح العلنية في القاعة الكبرى من مبنى جامعة الدول العربية، وحضرها لفيف كبير من العلماء والأدباء ورجال الإعلام، برياسة **الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المؤتمر**، وتم فيها ما يلي:

١- **خطاب الدكتور مصطفى كمال حلمي** وزير التعليم العالي والبحث العلمي، استهل السيد الوزير خطابه بالترحيب بأعضاء المؤتمر وقال: "لقد أسعدني أن يكون الموضوع المقترح لمؤتمركم قضية "**تعريب التعليم**" فهي قضية طال عليها الأمد، فشغلت الأمة العربية وما زالت تشغلها، حتى صار علاجها **أملاً قومياً لكل عربي**" ثم أردف قائلا: "ولا يفوتني – في هذا المقام- أن أشير بكل الإعزاز والاعتزاز إلى ثراء لغتنا العربية في الميادين العلمية، وإلى ما تمتاز

بـه **من قدرة على التعبير العلمي في مختلف صوره مصطلحاً وأسلوباً**.." ثم اختتم خطابه قائلاً: "ولعل اختياركم لهذا الموضوع لبحوث مؤتمركم إيذان بالبدء في تعميم حركة التعريب في وطننا العربي.. فقد آن الأوان لأن **تؤتي ثمارها المرجوة على أوسع نطاق**".

٢- **خطاب الدكتور إبراهيم مدكور** رئيس المؤتمر

رحّب السيد رئيس المؤتمر بالوافدين من أعضاء عاملين ومراسلين، منوهاً بتعاونهم الصادق وعطائهم السخي في خدمة أغراض المجمع منذ إنشائه حتى اليوم، مؤكداً على أن **من مبادئ المجمع: "ألا يتخذ قرار لغوي ولا يعتمد، إلا إذا أقره مؤتمر المجمع في لقائه السنوي**، ومطبوعاتنا: مجلتنا، كتبنا، تحقيقنا، معجماتنا، لإخواننا فيها إثراء وعطاء ملحوظ. ولا نتردد في أن نبعث إليهم مستفسرين ومستجوبين ومستوضحين، وبخاصة فيما يتعلق ببعض المسائل الإقليمية..".

ثم تحدث السيد الرئيس عن جهود المجمع في خدمة العربية وأضاف قائلاً: ".. إلى جانب دراساتنا المتخصصة **درج مؤتمرنا على أن يعالج مشكلة من مشاكلنا اللغوية الكبرى**، وقد عالج من قبل – مثلاً- **لغة الصحافة**، كما **عالج تعليم اللغة العربية**، إلى غير ذلك من موضوعات نحرص دائماً على أن تجتمع فيها الكلمة بين شيوخ العروبة في العالم العربي جميعه، وها أنتم ترون أننا في هذه المرة نعالج مشكلة من مشاكلنا الكبرى، وهي مشكلة **تعريب التعليم** في مختلف مراحله، وبخاصة: **التعليم العالي والجامعي**..".

وتحدث أخيراً عن ثراء اللغة العربية وجدارتها بأن تؤدي رسالتها في أي مادة من مواد العلوم الطبيعية أو الرياضية فضلاً عن الدراسات الإنسانية كلها من قانون وتاريخ وفلسفة. وختم خطابه قائلاً: "**وأنا واثق كل الثقة من أن العربية ستستعيد مكانتها كتابة وتأليفاً في ميادين التخصص المختلفة**".

٣- **خطاب الأستاذ عبدالسلام هارون** الأمين العام للمجمع

تكلّم السيد الأمين العام عن رسالة المجمع ودور المؤتمر السنوي في هذه الرسالة، **مبيناً ما تم إنجازه في مؤتمر العام الماضي** من أعمال ومصطلحات وإلقاء بحوث ونظر في أعمال اللجان المختلفة، وما انتهى إليها المؤتمر من مقررات وتوصيات.

ثم عدّد الأمين العام ما تمّ إنجاز طبعه من أعمال المجمع من كتب ومعجمات ومحاضر جلسات، وعرض ما تمّ من صلات المجمع الثقافية، وأنهى خطابه بذكر **أسماء الأعضاء الذين افتقدهم المجمع، وأسماء الأعضاء الذين فازوا بالانتخاب** من مصريين وعرب ومستعربين.

٤- **خطاب الأستاذ محمد بهجة الأثري** نيابة عن الأعضاء العرب

استهلّ الأستاذ الأثري خطابه بقوله: "في مثل هذا اليوم من العام الهجري الذي انصرم، وفي هذه القاعة، قاعة جامعة الدول العربية، **احتفل مجمع اللغة العربية بعيده الذهبي بانقضاء خمسين عاماً على زمن إنشائه في كنانة العرب**، وأطللنا على أعوامه من شرفات جهاده الكبير في سبيل مجد العربية دأباً لا يعروه وفاء، وعزماً لا يساوره خور، مواصلاً عاماً مضى بعام آت، ويوماً أدبر بيوم مقبل، وهو يجود بعطائه الثري درراً متلاحقة وغزيرة دفاقة، ومجد

العربية هو مجد العرب.." ولئن زُعِمتْ تلك الأعوام الخمسون ذواهب فانيات في حساب تقلب الشمس على وجه البسيطة طلوعاً ومغيباً، **إنها في واقع الحال لبواقٍ خوالد في الأفعال، شوارق على الزمن**، لا تطفأ لها أنوار، كما تطفأ الشموع حين يحتفل المترفون بتوديع عام من العمر مضى، واستقبال عام جديد أقبل، ولكنها تظل أبداً زواهر في سماء الحياة الإنسانية تملأ القلوب والعقول ضياءً ونوراً".

ثم استعرض الأستاذ الأثري أعمال المجمع منذ أنشئ لمواكبة النهضة العلمية والفكرية التي استأنفها العرب، واصلين بها نهضتهم الأولى الخالدة الذكر، وقال: "ولست أشك في أنه من يوم انبثاق فجره الصادق قبل واحد وخمسين عاماً إلى ساعته هذه، **قد وُفِّق في معظم ما قدم من زاد للغة**، أصولها وفروعها توفيقاً ملحوظاً مشرق الوجه وواضح القسمات وقد أعطى وأجزل العطاء وقطع أشواطاً بعيدة مما أريد منه من زاد للفصحى، لسان الأمة والملة..".

ثم ختم خطابه بقوله: "نحن أعضاء المجمع الميمون المبارك، القادمين إلى كنانة العرب، مشاركين بتوفيق من الله في هذا الشأن العظيم – **لسنا ضيوفاً على مصر، وكيف يكون المرء ضيفاً في داره؟** وإن طويت حتى الآن– حديث الشكر على ما نلقاه من الترحيب والحفاوة الصادقة المؤزرة بالحب والتقدير، فلأن المرء لا يشكر نفسه، ولكنه يحمد الله جلّ وعلا، وهو وحده سبحانه المحمود في جميع الأحوال، يحمده على النعمة التي يوليه إياها، **وأي نعمة أحلى وأعلى وأغلى من**

نعمة السعادة تظلل الإنسان في مأواه، وحيث يحل من ديار قومه، بل من قلوب إخوته في هذا الوطن العربي الحبيب العزيز".

* * *

ثانياً: المصطلحات العلمية

درس المؤتمرون وناقشوا، خلال جلساتهم اليومية، المصطلحات العلمية والفنية التي رفعتها اللجان المختصة إلى المؤتمر عن طريق مجلس المجمع، **فأقروا غالبيتها بالإجماع، وبعضاً منها بالأكثرية، كما أقروا البعض الآخر بعد تعديله.**

وبلغ عدد المصطلحات التي عُرضت على المؤتمر ٢٠٠٢ مصطلح موزعة بين العلوم والفنون كما يأتي:

٢٤٨ مصطلحاً في الجيولوجية.

٤٩٠ مصطلحاً في الفيزياء.

١٧٩ مصطلحاً في هندسة القوى الميكانكية.

١٣٦ مصطلحاً في الرياضة.

١٠٦ مصطلحات من ألفاظ الحضارة.

٧٠ مصطلحاً في التاريخ.

٢٩٥ مصطلحاً في الطب.

٣٢٤ مصطلحاً في علوم الأحياء والزراعة.

١٩٩ مصطلحاً في الكيمياء والصيدلة.

ثالثاً: البحوث والدراسات

استمع المؤتمرون، خلال مدة انعقاد المؤتمر، إلى عدد من البحوث والدراسات المتخصصة، ألقاها أعضاء المجمع وكانت غالبيتها تدور حول "**تعريب التعليم**" وفيما يلي عرض موجز لها، مع أهم ما دار حولها من تعليقات أو مناقشات:

١- قضية تعريب التعليم العالي والجامعي في مصر

محاضرة قيّمة ألقاها **الدكتور محمود حافظ**، تحدث فيها، خلال ساعة كاملة، عن الاهتمام الكبير بقضية تعريب التعليم العالي والجامعي بمصر في ربع القرن الأخير، مشيراً إلى مستوى خريجي الجامعات "**الآخذ في الهبوط والتردي إلى درجة لفتت إليها الأنظار في كل مكان**" مؤكداً: "**أن اللغة العربية هي الأداة الطبيعية للتعليم الجامعي والعالي وذلك لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية، إذ إن الفكر الأصيل لا يخلق في الأمة إلا إذا كانت تعلّم بلغتها، وتكتب وتؤلف بلغتها..**".

وأكد المحاضر على أن: "قضية التعريب في التعليم العالي والجامعي ترتكز على محاور أو اهتمامات ثلاثة هي: "**الأستاذ والكتاب والطالب**" ثم عرض إلى كل واحدة منها وما أصابها من التطور في مصر بفعل التوسع الجامعي، وزيادة عدد الطلاب زيادة عظيمة، داعماً أقواله بالأرقام والإحصاءات الرسمية، مجملاً القول: "بأن نحو ٣٠% من مجموع طلاب المرحلة الجامعية في مصر، ونحو ٥٠% من مجموع أعضاء هيئة التدريس في هذه المرحلة

يَدْرسون ويُدَرّسون باللغة الإنكليزية في الوقت الحاضر" ليبين حجم المشكلة وأبعادها في الحاضر والمستقبل قريبه وبعيده.

ثم تكلم عن دور الأستاذ والمعلّم في قضية التعريب وبيّن أن آلافاً من الأساتذة عادوا من الخارج بعد أن أتموا دراساتهم العليا بالجامعات الأجنبية "**يقومون بتدريس أغلب العلوم باللغة الإنجليزية** في كلياتنا وجامعاتنا المختلفة على مدى سنوات طوال حتى اليوم، تجذبهم في ذلك المادة العلمية الجاهزة في مراجعها الأجنبية، **ويميل بهم التراخي إلى تكرارها، ويخشون استخدام اللغة العربية** فيحتاجون إذن إلى **بذل جهود مضاعفة في الترجمة والإعداد** هم في غنى عنها حين يستخدمون اللغة الأجنبية. ويا ليت اللغة الأجنبية التي يتعلم بها الطلاب **لغة سليمة، بل هي آخذة في التردّي**. وقد زاد الطين بلّة تكدس الطلاب بالآلاف مما جعل مهمة الأستاذ بالغة الصعوبة، وعجز الطلاب عن استيعاب المادة العلمية وفهمها وهضمها تماماً..".

وعرض الباحث هنا صوراً مشرقة عن تجارب نفر من الأساتذة المصريين درّسوا **مادتهم باللغة العربية في مصر أو في بعض البلاد العربية**، وكانت تجربتهم في غاية النجاح ومدعاة للافتخار.

ثم تكلم المحاضر عن دور الكتاب في قضية التعريب، وتحدث عن فقر المكتبة العربية في الكتب والمراجع العربية، مشيراً إلى أن من أسباب "**العزوف عن التأليف بالعربية، أو ترجمة أمهات الكتب والمراجع العلمية إلى العربية، غيبة الحافز الذي يدفع إلى ذلك**"، إضافة إلى "الأزمة التي تمرّ بها حركة الترجمة بوجه عام، لا في مصر وحدها بل في بلاد أخرى من الوطن العربي..".

وأخيراً تكلّم المحاضر عن دور الطالب الجامعي الذي هو "بمثابة التربة التي يتعامل معها الأستاذ، فإذا صلحت وصلحت مكوناتها آتى التعريب أُكله، وأتى بأعظم النتائج وأطيب الثمرات". وأردف يقول: "وإذا كنا ندعو لتعريب التعليم الجامعي – وهو أمل طالما اشرأبت لتحقيقه الرؤوس وتطاولت الأعناق، وهدف قومي أسمى طالما سعينا إليه – **علينا أن نعمل على رفع مستوى الطالب الجامعي في اللغة العربية**، بعد أن هبط لديه ولدى غيره إلى الحضيض، **وأصبحنا نجأر بالشكوى لما وصل إليه حال اللغة العربية هذه الأيام..**".

ثم ختم محاضرته بالكلام عن الهيئات العلمية واللغوية التي تنهض بحركة التعريب في مصر، مُشيداً بجهودها، مقترحاً الأخذ ببعض التوصيات، مؤكداً على أنه: "**إذا أُريد لتوصياتنا أن ترى النور، وتأخذ طريقها نحو التنفيذ** لنستكمل الشوط الذي بدأناه ولاحت تباشيره، **فعلى الدولة أن تتبنى قضية تعريب التعليم العالي والجامعي بقرار سياسي ملزم..**".

وأعقب المحاضرة حوار بين المهتمين بتعريب التعليم الجامعي، وقد بدا اتفاقهم على ضرورة ذلك واضحاً، ولكنهم اختلفوا على أسلوب الوصول إلى الغاية المنشودة والمدة اللازمة لها، غير أنهم أجمعوا على **أن تبعة تأخر هذا الأمر إنما تعود إلى النص القانوني** الذي يسمح بتدريس بعض المواد العلمية بلغة أجنبية، **وإلى تباطؤ الدولة في اتخاذ قرار بإلزام التدريس باللغة القومية.**

٢- معوقات تعريب التعليم الجامعي

بحث ألقاه **الدكتور محمود مختار**، عرض فيه لمكانة اللغة العربية في النفوس، وصلاحها لأن تفي بكل ما يمتّ لحياة الإنسان. ثم تساءل قائلاً: "أين يا ترى تكمن جرثومة العزلة أو التباعد في مجال حيوي كتعريب التعليم الجامعي، الذي طال أمره واستعصى حلّه ما يزيد على نصف قرن من الزمان؟".

ثم ذكر بأن قانون الجامعة ينص صراحة على أن لغة التعليم فيها هي العربية، **على أن فيه نصاً على استثناء يجيز تدريس بعض المواد بلغة أجنبية**. وهنا قال: "تلك هي الجرثومة التي ولدت ونمت وأنبتت ما تعانيه الجامعة اليوم من مأساة التعليم بغير العربية في كلياتها العلمية". ثم نادى **بإنقاذ التعليم من جرثومة الاستثناء هذه**".

وانتقل الباحث إلى معوقين آخرين هما: ١- عدم وجود الأستاذ الجامعي القادر على أن يخاطب طلبته **بلغتهم البليغة بدلاً من تلك العجمة البغيضة.** ٢- تلك الكتب الدراسية المترجمة عن لغات الغرب والشرق، والتي غزت سوق الكتاب العلمي.. هذه الكتب التي كتبت أصلاً لطالب جامعي في مجتمع متقدم علمياً وحضارياً، **وتختلف أساليبه وبيئته عن أساليب وبيئة مجتمع نامٍ له ظروفه الخاصة المحدودة.**

وأخيراً دعا الباحث إلى **إنشاء هيئة قومية موسعة** تتولى علاج المعوقات التي ذكرها بالدراسة **المستفيضة والتخطيط السليم.**

٣- تعريب التعليم

بحث ألقاه **الدكتور أحمد عبدالستار الجواري** عرض فيه تجارب الأمم الأخرى التي تعنى بلغاتها القومية، كالولايات المتحدة والصين واليابان، ورد على القائلين بصعوبة التعليم باللغة العربية، ثم دعا إلى تيسير قواعد اللغة العربية وأساليب تدريسها، وإلى العناية بالمصطلح العلمي، كما دعا إلى العناية بتعليم اللغة الأجنبية. وختم حديثه قائلاً: "**يجب على أولى الأمر أن يستجيبوا لدواعي العلم والإخلاص في خدمته ونشره بين أبناء الأمة**، فيعينوا على وضع الأمر في نصابه، ويقرروا قطع دابر البلبلة والتردد في معاهد التعليم ومؤسساته بين اللغة الأم، وهي العربية، وبين اللغات الأخرى الدخيلة".

٤- مواكبة التعليم باللغة العربية للتطوّر العلمي

بحث ألقاه **الدكتور محمود الجليلي**، عدّد فيه شروط مواكبة التعليم بالعربية للتطوّر العلمي، فأجملها بما يأتي:

أ- معرفة اللغات التي تستعمل في العلوم والتقنيات في الوقت الحاضر، والإنكليزية أهمها.

ب- ترجمة ما يصدر باللغات الأجنبية إلى العربية.

ج- إصدار طبعات عربية من الدوريات المتعددة اللغات.

د- نشر الأبحاث التي تكتب بالعربية بلغة أجنبية في الوقت نفسه.

هـ- إصدار مجلات وملخصات على غرار ما هو موجود في العالم الغربي.

و- إصدار كتب بالعربية ضمن سلاسل تختص كل سلسلة بعلم معين.

ز- تأليف كتب دراسية وكتب مراجع على أن تلاحق طبعاتها التطور العلمي.

وقد شرح كل هذه الشروط، مقارناً إياها بما يجري في الغرب، وأنهى حديثه بضرورة **إنشاء مركز بحوث عربي، تستخدم فيه وسائل التقنية الحديثة.**

٥- بين لغة الأدب ولغة العلم

بحث فلسفي مطوّل ألقاه **الدكتور توفيق الطويل**، استهلّه بتعريف مفهوم الأدب ومفهوم العلم، مستعرضاً أهم وجوه الخلاف بين لغة الأدب ولغة العلم، حاصراً هذه الوجوه بسبعة فروق هي:

١- الجديد والقديم في الأدب وفي العلم.

٢- ذاتية الأديب وموضوعية العالم.

٣- صدق الأديب ونزاهة العالم.

٤- وسيلة التعبير في الأدب وفي العلم.

٥- الخيال بين لغة الأدب ولغة العلم.

٦- معيار التقييم في الأدب وفي العلم.

٧- بين أهداف لغة الأدب وأهداف لغة العلم.

ثم تكلّم عن موقف الأدب الحديث من العلم مؤكداً على: **خطأ النقاد والناس في استخفافهم بالأدب، والقول بأنه مجرد تسلية ومضيعة للوقت**".

٦- الكـون

بحث ألقاه **الدكتور حسن علي إبراهيم** عرض فيه حقائق عن الكون، وعن نظام المجموعة الشمسية بلغة مبسطة، ذاكراً تاريخ معرفة الإنسان لتلك الحقائق، بعد أن ظل قروناً طويلة يجحدها ويرمي الرواد الذين قالوا بها بالمروق من الدين، **مقارناً إياها بما ورد في القرآن الكريم**، الذي يدعو الإنسان إلى التفكير في خلق السموات والأرض لإدراك عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

ودارت مناقشات حول هذا البحث كان أكثرها يتضمن شكر الباحث على بحثه الممتع المفيد، وبعضها كان تعليقاً على بعض ما ورد من معلومات. وتضمن تعليق الدكتور سليمان حزين التأكيد على أنه: "**لا يجوز أن نفسر القرآن الكريم بالعلم**، وإنما علينا أن ندع العلم يفسر نفسه في ضوء القرآن الكريم".

٧- حوريـة

بحث ألقاه **الدكتور إسحق موسى الحسيني** حول شيوع اسم "حورية" في مصر وكثير من البلدان العربية. وهو يتساءل عما إذا كان للفظة حورية علاقة بكلمة "أوريا huraia" اليونانية؟ وبعد جولة بين معجمات لغوية مختلفة، تأكد له أن الكلمة يونانية الأصل، دخلت العربية ولا علاقة لها بمادة "**حَوَر**" العربية، ولا بلفظة (حُور) الواردة في القرآن الكريم، في أكثر من آية. والتفسير المتفق عليه

أن معناها "**نساء بيض واسعات الأعين حسانها**". وأيد ذلك بما أثبته المعجم الوسيط من تعريفه كلمة حورية **بفتاة أسطورية تتراءى في البحار والأنهار والغابات**، وهو يؤكد بأن هذا الوصف يختلف اختلافاً كبيراً عن وصف الحُور الواردة في القرآن الكريم، مما يرجح الظن بأن الوصف مأخوذ عن وصف "أوريا" الوارد في **الأساطير اليونانية**.

٨- من معاني "إلا" في القرآن الكريم

بحث ألقاه **الأستاذ سعيد الأفغاني**، ذكر فيه نبذة عن اهتمام العلماء منذ المئة الثانية للهجرة بمعاني الحروف، وعدد ما ألفوه في هذا الموضوع. ثم عرض لمعاني "إلا" في القرآن الكريم، وقد أحصى ورودها فيه فبلغ ٦٤٣ مرة، كثرتها الغالبة طابقت معانيها أعاريبها. وكانت من الاستثناء كما يقول النحاة، ولكن ٣٤ منها لها معنى آخر لا يذكر في كتب النحو المدرسية، ولكن المفسرين يذكرون معناها الصحيح فيقولون: "**إلا" معناها: لكن**.

وانتهى الباحث إلى اقتراح "إلغاء ما سمّوه (النحويون): الاستثناء المنقطع، لأنه لا استثناء فيه، فإنه لا معنى لأن تخرج شيئاً لم تدخله قط". وأضاف قائلاً: "لكلمة إلا أربعة معان، ثلاثة منها تكثر في الكلام، وهي:

أ- الاستثناء، حين يكون في الجملة مستثنى منه.

ب- الحصر، وهو ما أسموه بالاستثناء المفرغ، والخير أن يحذف أيضاً من باب الاستثناء.

ج- الاستدراك.

د- والمعنى الرابع قليل الاستعمال، وهو الوصفية أو مرادفة **غير**".

٩- الأثر النفسي والاجتماعي في تعريب التعليم

بحث ألقاه **الدكتور يوسف عز الدين**، بيّن فيه صعوبة تعريب التعليم بعد أن مرّ العرب بمرحلة طويلة من التأخر العلمي والجمود الفكري. ثم تكلم عن خطط تعريب التعليم الجامعي في العراق، ومن أبرزها ما وضعه مؤتمر تعريب التعليم في الوطن العربي، الذي عقد في بغداد في شهر آذار سنة ١٩٧٨.

واستعرض الباحث عوامل نجاح خطط التعريب، فأجملها بما يلي:

أ- توفير الكتب العلمية ومصادر البحث والمراجعة باللغة العربية.

ب- إعداد الأساتذة إعداداً نفسياً ليكون الأستاذ قادراً على تدريس العلوم البحتة باللغة العربية.

ثم تكلم عن أثر العامل النفسي في نشر التعليم باللغة العربية، فهو "يخلق الثقة بقابلية العربية لاستيعاب العلوم الحديثة وهضم الحضارة الجديدة، لتكوين وحدة روحية تزرع الثقة العميقة بأصالة اللغة العربية والاعتداد بالتراث الإسلامي.

وأخيراً دعا **إلى تدخل المشروع لتحقيق نجاح التعريب.**

١٠- حرفا الباء والفاء في اللغة

بحث ألقاه **الدكتور عمر فروخ**، أشاد فيه بمكانة اللغة العربية، فيما يتعلق بفقه اللغة المقارن، بدأه بالكلام عن "**الأبجدية**" مستعرضاً مختلف الأقوال في اختراعها وانتشارها وعدد حروفها، وبيَّن عدد الحروف التي زادها العرب عليها، وأتى على ذكر بعض الأصوات الغامضة التي يعبّر عنها بحرفين؛ وهي في الأصل صوت واحد سمعته الأمم سماعاً مختلفاً، ثم تناول الكلمات الحائرة بين الباء والفاء في حالتي انتقالها، في ضوء التاريخ، من لغة أجنبية إلى العربية، أو من العربية إلى لغة أجنبية، وذكر بعض الكلمات التي "**تقال في العربية بالباء وبالفاء، والمعنى بالحرفين واحد أو كالواحد**" مثل فعلي باءَ وفاءَ معناهما: رجع، وبأرَ وفأرَ بمعنى حفرَ، وختم بحثه اللطيف واصفاً إياه بأنه يفتح "نافذة صغيرة على الثروة العظيمة الجميلة في لغتنا العربية، في ذلك الدور القديم من تاريخها، حينما كان الصوت معبراً عن المعنى، أو حينما حاول الإنسان أن يعبر عن الصوت بالمعنى".

١١- درجات الصواب والخطأ في النحو والأسلوب

بحث لغوي عميق ألقاه **الدكتور تمام حسان**، عالج فيه مسائل كثيرة من قضايا النحو واللغة، وقدّم له بمقدمة طويلة نوجزها بما يلي: قال: "للصواب والخطأ زاويتا نظر، إحداهما ترتبط بصناعة النحو، والأخرى تتعلق بأسلوب الاستعمال اللغوي؛ أي أن إحداهما فنية والثانية اجتماعية. فأما من وجهة النظر الأسلوبية الاجتماعية فالصواب ما وافق الشائع في الاستعمال، والخطأ ما ندّ عنه".

وبيّن الباحث كيف أن صاحب السليقة "**لا يهتم للقاعدة، إذا عرفها، أيّ قدر من الاهتمام، ما دام حدسه اللغوي يرى الصواب فيما قيل**. وتلك هي

القضية التي كانت مثار المشاكسة بين الفصحاء والطاعنين على العرب، كالذي كان بين الفرزدق وابن أبي إسحق، إذ قال الفرزدق له: (علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا)".

وبما أن "معترك اللغة أوسع من أن يخضع لضوابط النحو، ويرجع هذا إلى أسباب متعددة، ليس أهونها طموح الأدباء والشعراء إلى الترخص والابتداع، ولا ما وقع فيه النحاة أنفسهم من التماس الاطراد في لهجات العديد من القبائل.. ومن هنا كان من صلب عمل النحاة أن يقيدوا كبريات القواعد باستثناء هنا، واستدراك هناك، وشروطٍ في موقع ثالث، وأن يصوغوا قاعدة لكسر قاعدة أخرى، أو يقعدوا لعدولٍ عن الأصل، أو يتقبلوا أسلوباً فصيحاً عدل به عن الأصل، ثم يتناولوه بالتبرير والتأويل.. وأخيراً كان عليهم أن يرتضوا بعض الخروج على هذه القواعد لأغراض أسلوبية، **وأن يرفضوا بعضاً آخر لكونه شاذاً أو نادراً**.. وأن يحكموا على ما خالف قواعدهم عدا كل ما سبق، بأنه خطأ من الخطأ لا تقبل فيه شفاعة التأويل، ولا تبرره الشواهد القليلة".

وانتهى الباحث في مقدمته إلى القول: "ذلك موقف النحاة من جانب والعرب الفصحاء من جانب آخر. **أمّا نحن فلنا موقف نظري آخر، نشرح فيه تدرج الصواب والخطأ على مساحة تشمل الموقفين جميعاً، بدءاً بالقاعدة المحكمة وانتهاء بالسنّة المتبعة**".

وأخذ الباحث يشرح المسائل التي ركّز عليها ويعالجها معالجة الخبير المتمكن، **الذي يريد أن يخضع اللغة إلى مقاييس رياضية دقيقة**.

وأثار البحث عاصفة من التعليقات والاعتراضات، كان أبرزها اعتراض الأستاذ محمد بهجة الأثري على موضوع: "**التضمين**"، الذي اتكأ الباحث عليه في تبرير أكثر الأمثلة على مخالفة القواعد النحوية، قائلاً: "موضوع التضمين من أخطر قضايا اللغة، وإذا فتحنا هذا الباب على **مصراعيه نكون قد هدمنا اللغة من أساسها، وسمحنا لكل إنسان بأن يستعمل فعلاً موضع فعل، بحجة أن هذا باب التضمين**".

١٢- من كناشة النوادر

الحلقة السادسة من سلسلة الأحاديث التي عوّد **الأستاذ عبدالسلام هارون** المؤتمرين أن يمتعهم بها كل سنة، تضم طرائف منتقاة من كتب التراث، وتضمنت هذه السنة نبذاً عديدة، نقتطف منها النبذ الآتية:

أ- **الكرم الحاتمي**، وقد تضمنت صوراً رائعة من الجود والسماحة والندى، تنبئ عن طيب العنصر العربي في جاهليته وفي إسلامه، والتي جعلت من الجود صفة لاصقة بحاتم الطائي خلّدته على مرّ الأيام، وصار يضرب بجوده المثل السائر "**أجود من حاتم**".

ب- **برّ الأبناء**، وقد تضمنت قصة خالد بن عبدالله القَسْرِيّ الذي يضرب به **المثل الرائع في سماحة الإسلام، وفي حثّه على برّ الوالدين**، مما دفعه، وكان أميراً على الكوفة، أن يبني لأمه – وكانت نصرانية – بيعة تتعبد فيها هي ومن على نحلتها من النصارى. وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان، عند كلامه على (**بِيعة خالد**) قال: "منسوبة إلى خالد بن عبدالله القَسْري؛ كان بناها لأمه، وكانت نصرانية، وبنى حولها حوانيت بالآجرّ والجص" لتعمير تلك البقعة.

ج- **عيد الغطاس**، وتضمنت ما ذكره المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦هـ في كتابه مروج الذهب، وكان مما قاله: "ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها، لا ينام الناس فيها، وهي لليلة إحدى عشرة تمضى من طوبة، **وستة من كانون الثاني**".

د- **حساب العَقد**، وتضمنت الدلات، كما ذكرها الجاحظ في "البيان التبيين" منها حساب العَقد، ويكون بأصابع اليدين، ويقال له "حساب اليد" وهو طريقة حسابية إشارية كان العرب يستعملونها، يعبّرون بها عن العدد، ولا سيّما عند المساومة على البيع.

ويقول البغدادي في خزانته[1] عن نظام العَقد عند العرب: "**وقد ألّفوا فيه كتباً وأراجيز، منها أرجوزة أبي الحسن الشهير بابن المغربي**".

هـ- **القاضي القبطي**، وتضمنت خبر أبي عمرو عبدالملك بن عمير بن سويد اللخمي، وكان قاضياً على الكوفة بعد الشعبيّ، ويعرف بالقبطي، وقد ذكره الذهبي في كتابه "المشتبه" قال: "**وكان له فرس يقال له القبطيّ، فعرف بفرسه**".

١٣- الملحون

بحث ألقاه **الأستاذ محمد الفاسي**، عرض فيه دراسات مطوّلة قام بها عن الشعر العامي في المغرب، نافياً أن تسميته مشتقة من "**اللحن**" بمعنى الخطأ، لأنه لا يعقل أن يُسمّي أحدٌ شعره بكلمة تنم عن الجهل. وارتأى: "أنهم اشتقوا

---

(١) انظر خزانة الأدب ٧: ٥٣٨.

هذا اللفظ من "**التلحين**" بمعنى أن الأصل في هذا الشعر الملحون **أن ينظم ليتغنى به قبل كل شيء**".

وذكر الباحث أن أخص مميزات الأدب الشعبي أنه لا يعرف قائله، "أما الملحون فلا يربطه بالناحية الشعبية إلا كون قائليه في الغالب من عامة الشعب، وليسوا كذلك في الغالب من المثقفين، بل كانوا أميين. وأما من حيث اللغة العامية، فإنها ليست لغة طبقة شعبية منحطة، بل هي لغة أرقى من اللغة التي يتكلم بها حتى المتعلمون، لأن شعراء الملحون يدخلون في كلامهم كثيراً من الكلمات الفصيحة بعد إجرائها على الأسلوب العامي، ثم إن من بين شعراء الملحون من لو تُرجم إنتاجهم للغة حيّة لعدّوا من أكابر شعراء الدنيا".

وتحدث الباحث عن موضوعات الملحون فقال: "إن الموضوعات التي يطرقها شيوخ الملحون يمكن أن نقول عنها من أول وهلة: **إن سائر النواحي التي نعتادها في الشعر العربي الفصيح نجد لها مقابلاً في الملحون**".

وأنهى الباحث حديثه بقوله: "هذه نظرة وجيزة عن جانب من هذا الفن البديع وإنني أهتم به وأجمع الإنتاجيات التي أبدعها الأشياخ المغاربة، ونعني بهذا التعبير الشعراء منذ نعومة أظفارهم، وجمعت من القصائد خمسة آلاف قصيدة، ومن الشعراء خمسمائة شاعر، ووضعت أسس عروضه ومصطلحاته. **وجُمع من ذلك كله مؤلف ضخم يحتوي على عشرين جزءاً**، أخذت الأكاديمية المغربية تنشره وسيظهر، إن شاء الله، جزؤه الأول بعد شهر".

١٤- مرّ السنين

قصيدة ألقاها **الدكتور حسن علي إبراهيم** بلغت ٥٩ بيتاً، يصف فيها حياته من يوم ولد إلى أن دبّتْ فيه الشيخوخة، وصفاً رائعاً فعدّد متاعب الشيخوخة، وعدّد منغصات الحياة فيها، وهذه بعض أبياتها:

هـذا الوليـد تـرى مـاذا يروِّعـه ولِـمْ تسـيل علـى الخـدين أدمعـه؟
أهالـه صـرف دهـر لـيس يعلمـه أوهل تبدّى لـه فـي الأفق مصـرعه؟
وغـادر المهـد وثابـاً وفارقـه وصـدر أم رؤوم كـان يرضـعه
سرعان ما دبّ في درب الحياة فتى إن الطريـق طويـل سـوف يذرعـه

* * *

تبـدّل الحـال: مـا قـد كـان يولعـه بـالأمس أصـبح فـي ذا اليـوم يفزعـه
مـاذا يريـد مـن الـدنيا وقـد ذهبـت وهـل شـباب تـولى سـوف ترجعـه؟
قـد كـان يسـمع همـس الـريح عـابرة واليـوم رعـدٌ دَوَى مـا كـاد يسـمعه
قـد كـان ينظـر للـدنيا وفتنتِهـا واليـوم أصـبح للأخـرى تطلُّعـه

* * *

إن الحيـاة مضـت والمـوت مقتـرب كـأس المنيـة دانٍ سـوف يجرعـه
قـالوا المشـيب جميـل فـي رزانتـه وأنـه فـي طريـق العمـر أمتعـه
عـانى مـن المشـيب أهـوالاً منغَّصـةً لـو أن للشـيب أنفـاً كـان يجدعـه
أقـول للنـاس عيشـوا قـدر طـاقتكم مـع الشـباب وقَـوْلي مـن سيسـمعه؟

* * *

وقد أطرى المؤتمرون الطبيب الشاعر على قصيدته الرائعة، وقد استمتعوا بها، وأثنوا عليها. وكان أبلغ تعليق قول الأستاذ محمد بهجة الأثري: "لقد أبدع الطبيب الشاعر أو الشاعر الطبيب، وأعتقد أن **هذه القصيدة في وصف المشيب تكاد تكون وحيدة في بابها في الأدب العربي**، وهناك قصيدة بقيت وحيدة أيضاً في الأدب العربي أبدعها أمير الشعراء أحمد شوقي، بدأها بالحديث عن مراحل العمر المختلفة حتى وصل إلى الشيخوخة، وهكذا سمعنا من قبل وقرأنا في دواوين الشعراء كلاماً عن الشباب، **أمّا عن الشيخوخة فلعلهم جميعاً تجنّبوا الحديث عنها**. لذا نشكر الشاعر الطبيب، فقد جاءت قصيدته رائعة في جزالة التعبير وانسجام الأداء وروعة المعاني، والله نسأل أن يمتعه في شيخوخته بعنفوان الشباب".

رابعاً- تأبين زميل

افتقد المجمع بتاريخ ٢٢ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٨٥ زميلاً محترماً هو **الشاعر الأديب الموسوعي محمد عبدالغني حسن**، الذي كان منذ انتخابه عضواً في المجمع، من أنشط أعضاء المؤتمر السنوي. وقد عقد المؤتمر لتأبين فقيده جلسة علنية، حضرها لفيف كبير من العلماء والأدباء ورجال الإعلام. وفيما يلي عرض موجز لأهمّ ما دار في تلك الجلسة:

١- افتتح الجلسة **الدكتور إبراهيم مدكور** بكلمة موجزة أشاد فيها بالفقيد، منوّهاً بالدور الكبير الذي كان يقوم به خلال المؤتمرات السنوية، منذ انتخابه عضواً بالمجمع حتى وفاته.

٢- ألقى **الأستاذ عبدالسلام هارون باسم المجمع كلمة مؤثرة** في تأبين الفقيد، معدداً مآثره قائلاً: "عرفت الفقيد في مقتبل الشباب ونحن نسعى لقطاف أوائل المعرفة في تجهيزية دار العلوم، التي كانت نمطاً فريداً بين دور العلم، تجمع إلى أصول العربية والدراسات الدينية طوائف من علوم العصر وفنونه، **فكان علماً بارزاً بين إخوانه، مجلّياً بين أقرانه،** ممتازاً بنشاطه في الحياة الاجتماعية..".

ثم أخذ يترجم للفقيد في مختلف مراحل حياته حتى انتخابه عضواً في مجمع اللغة العربية، موضحاً مجمل نشاطه المجمعي، مؤكّداً على أنه "ظل يسهم إسهاماً فعالاً في نشاط المجلس ومناقشاته، وفي المؤتمرات وبحوثها ودراساتها، وفي المجلة وفي اللجان الخاصة، التي سعدت بعضويته، وهي: لجنة المعجم الكبير، ولجنة ألفاظ الحضارة، ولجنة الفنون، ولجنة الأدب، ولجنة التراث".

وأخيراً عدَّد مؤلفات الفقيد، وما نشر منها في مختلف الفنون: من دواوين شعر، وكتب أدبية ونقدية وتاريخية، وكتبه في تراجم الرجال، وما حقّقه من مخطوطات التراث.

٣- ألقى الدكتور إبراهيم الدمرداش قصيدة في رثاء الفقيد، بلغت ٣٣ بيتاً، نقتطف منها الأبيات التالية:

ما للبلابل فوق الأيك صامتة	هل خُبِّرت بمصير الشاعر العلم؟
"عبدالغني" لقد لبيت دعوته	فانعم بصحبة خير العرب والعجمِ
شوقي وحافظ والمطران قد وقفوا	يستقبلون ببشر شاعر الهرمِ
أمسك كتابك في يمناك شاهدة	بالسعي في الخير والإخلاص في القلمِ
بيني وبينك دين لست ناسيه	من يوم ذكرك لي في مجمع القممِ
قد كنت فينا فقيهاً شاعراً علماً	ذا خبرة بحديث اليوم والقدمِ

فـي النحـو والصـرف والآداب نابتـة	فـي الشـعر والنثـر ذا فضـل وذا همـمِ
صـدّاح مجمعنـا فـي كـل مـؤتمر	ونـاثر الـدرّ فـي الأفـراح والألـمِ
فـاغفر لـه ربنـا مـا كـان مـن خطـأ	واغفـر لنـا ذنبنـا يـا واسـع الكـرمِ

٤- ألقى **الأستاذ حسن عبدالله القرشي قصيدة في رثاء الفقيد، ورثاء كل أديب وكل شاعر أحدقته الأيام**، وكانت عدة أبياتها (٣٣) بيتاً، نقتطف منها الأبيات التالية:

قـف علـى الـدرب زهـوّاً وابتسـاماً إنـــه عـــرس شـــهيد يتســـامى
يحطـــم القيـــد إذا القيـــد عتـــى ويـــرد المـــوت مهزومـــاً مضـــاما
راهـــب للفـــن علـــوي الـــرؤى لـــم يكـــن يخفـــر للفـــنّ ذمامـــاً
شـــاعر للخلـــد قـــد ســـار إلـــى موكـــب الخلـــد محبّـــاً مســـتهاماً
لـم يعـد فـي الكـون مـا يؤنسـه بعـد أن عـاد يبابـاً وحطامـا
لـــم يعـــد بـــين النـــدامى شـــارب نشـــوةُ العنقـــود وَلّـــت والندامـــة
يـا عريـق الجـرح كـم صـغت مـن الجـرح للأمجـاد غـاراً ووسـاما
يـــا فلســـطين تـــوارى عاشـــق طالمـــا غنّـــاك وجـــداً وهيامـــا
جرحـــك القدســـي كـــم قبّلـــه باكيـاً لـم يخـش فـي الحـب ملامـا
أيهـا الحـبّ الـذي كـان سـنا عبقريـــاً وصـــفاء وســـلاما
عـش بـدار الحـب فالـدار هنـا لـم تعـد إلا جحيمـاً وخصـاما

٥- ألقى **الأستاذ علي هاشم رشيد** قصيدة في رثاء الفقيد بلغت ٣٥ بيتاً، نقتطف منها الأبيات التالية:

كـــأس علـــى كـــل الأنـــام تـــدار ومـــوارد لـــم يأتهـــا اصـــدارُ
هـــل ظـــلّ معنـــى لـــم يُقَـــلْ لأقولـــه أولـــم يـــزل فـــي عيشـــنا أســـرارُ
"وعبـــدالغني" أهكـــذا غادرتنـــا قبـــل الـــوداع ودمعنـــا مـــدرارُ؟
أبخلـــت عنـــا بـــالوداع وأنـــت مَـــن صـــان الإخـــاء وللوفـــاء شـــعارُ
يـــا عالمـــا، يـــا باحثـــا، يـــا شـــاعراً مـــاذا أعـــدد والخصـــال كثـــارُ؟
فـــإذا مضـــيت فـــإن مـــا خلَّفتـــه شـــمس بـــه درب العلـــوم تنـــارُ

٦- ألقى **نجل الفقيد المهندس نبيل محمد عبدالغني حسن** كلمة الأسرة، شاكراً مجمع اللغة العربية على إقامة حفل التأبين، خاصاً بشكره رئيس المجمع، وأمينه العام، والشعراء على كلماتهم ومرثياتهم، والحاضرين على جميل مواساتهم.

خامساً: المعجم الكبير

عُرضتْ على المؤتمرين المواد التي أنهى مجلس المجمع دراستها من المعجم الكبير، وهي المواد المبتدئة من أول حرف (الحاء) إلى (ح ب ي).

واستمع المؤتمرون إلى الملاحظات التي قدمها الأساتذة: حمد الجاسر، وعبدالسلام هارون، ومحمد بهجة الأثري، وحسني سبح، وعدنان الخطيب، فتقرر إحالتها إلى اللجنة المختصة لإعادة النظر في المواد التي شملتها تلك الملاحظات.

سادساً: أعمال لجنة الأصول

عُرضت على المؤتمرين أعمال لجنة الأصول التي أقرّها مجلس المجمع، ووافق على عرضها على المؤتمر. وفيما يلي نص قرارات اللجنة وما انتهى المؤتمر إليه بشأنها:

١- التصرف المحدث في أساليب الاستفهام

أ- حذف همزة الاستفهام:

يجري في الاستعمال المعاصر حذف همزة الاستفهام في مثل قولهم: كتبت الدرس؟ محمد في الفصل؟ اكتفاء بالنبر وطريقة الأداء، أو بوضع علامة الاستفهام عقب الجملة.

وترى اللجنة جواز ذلك، لما ورد من أمثلته في المأثور اللغوي، شعره ونثره، ولما نصّ عليه جمهرة النحاة.

وجرت مناقشات مطولة حول هذا القرار، انتهت **بقبول المؤتمرين له في الاستفهام الحقيقي دون الإنكاري**؛ رغم إصرار أعضاء اللجنة على عدم التفريق.

ب- خروج (ماذا) عن الصدر:

يكاد النحاة يجمعون على أن أسماء الاستفهام لها الصدارة في جملتها، ولكن البحث في آراء الأئمة وشواهد العربية يجيز لنا في شأن (ماذا) أن يقال: (فعلت ماذا؟) و(قرأت ماذا؟) ونحوهما.

لذا ترى اللجنة أن لا تثريب على هذا الاستعمال حيث تكون (ماذا) معمول لما قبلها.

وافق المؤتمرون على هذا القرار.

ج- تسويغ أساليب في ظاهرها خروج أدوات الاستفهام عن صدارتها:

يشيع قولهم: محو الأمية مسؤولية قومية. كيف؛

وأنت من؟ منزلك. أين؟ السفر. متى؟

مما ظاهره خروج أداة الاستفهام عن صدارتها؟

ولهذه الاستعمالات نظائر منها:

قوله تعالى: ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾[1].

وقول محمد بن كعب الغنوي:

وحدّثتماني إنما الموت في القرى فكيف وهاتا روضة وقليب

وقول زياد الأعجم:

ومن أنتم إنا نسينا من أنتم وريحكم من أي ريح الأعاصر

وتخرج على أن أسماء الاستفهام وقعت صدراً في جملتها التي حذف ركنها، أو حذفت برمتها. وترى اللجنة إجازة هذه الاستعمالات استشهاداً بالمأثور؛ استئناساً بهذا التخريج.

بعد مناقشة وجيزة حول هذا القرار **أعلنت موافقة المؤتمرين عليه.**

---

(١) التوبة: ٨.

٢- حذف تمييز "كم"

يجري في الاستعمال حذف تمييز كم: استفهامية أو خبرية في مثل قولهم:

كم بقي من الشهر؟ وكم نصحت لك؟

وقد ورد مثل ذلك في الفصيح: كقوله تعالى:

﴿قال كم لبثت، قال لبثت يوماً أو بعض يوم﴾.

وقول معن بن أوس:

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

ولما كان جمهرة النحاة لا يصرحون بجواز الحذف في كلا الاستعمالين، وكانت كتب القواعد التعليمية تغفل ذلك؛ ترى اللجنة ضرورة النص على ذلك تعويلاً على المأثور في الفصيح، وعلى ما ذكره بعض النحاة، وبأن يوجه هذا بذكره في المرحلة المناسبة.

وافق المؤتمرون على هذا القرار.

٣- جواز دخول الألف واللام على "كل" و"بعض"

يجري في الاستعمال دخول (أل) على (كل) و(بعض) فيقال: الكل موافق أو البعض موافق، وجمهرة النحاة يمنعون ذلك، على أن منهم من أجازه وبينهم ابن درستويه والزجاجي. وثمة من المأثور أمثلة لورود ذلك في الشعر، وقد جرى بذلك استعمال المولدين من قديم.

ولذا ترى اللجنة إجازة دخول الألف واللام على (كل) و(بعض).

جرت مناقشات حامية حول هذا القرار **انتهت بإعلان قبول الأكثرية له.**

٤- دخول "إذا الشرطية على الجملة الاسميّة"

يجري كثيراً في الاستعمال دخول إذا الشرطية على الجملة الاسمية في مثل قولهم: إذا المطر انقطع فاخرج.

وللنحاة في تخريج مثل هذا رأي بصري شائع، وهو أن الاسم الذي بعدها فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور.

وهناك رأي يقول إنه مبتدأ وينسب إلى الأخفش والفراء، وغيرهما من نحاة الكوفة. ويعزى إلى سيبويه فيما ذكره السيرافي أيضاً.

لما كانت أمثلة القرآن الكريم من ذلك تزيد على العشرين، ومن الشعر تزيد على ستمائة، وظاهرها دخول إذا على جملة اسمية خبرها ماض لفظاً أو معنى، فإن اللجنة ترى أن إعراب الاسم فاعلاً، وإن كان أقيس في الصناعة النحوية، فإن الرأي الذي يجعله مبتدأ فيه أخذ بالظاهر، وتيسير في الإعراب، وبعد عن افتراض فعل محذوف.

جرت مناقشات مطوّلة حول هذا القرار **انتهت إلى إعلان قبول المؤتمرين له.**

سابعاً: أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الألفاظ والأساليب التي وافق مجلس المجمع على عرضها على المؤتمر، وفيما يلي نص القرارات التي اتخذتها اللجنة، وموجز لما دار حولها من مناقشة، وما انتهى إليه المؤتمر بشأنها:

كلمات فصاح فاتت المعجمات

استخلصتها اللجنة من "المفضليات" كما نبّه عليها الأستاذان أحمد شاكر وعبدالسلام هارون، شارحا المفضليات، بالاستناد إلى شرح الأنباري وغيره.

(١) رهيب

لفظة "رهيب" مما لم يرد في المعاجم، ولكنها جاءت في شعر أبي ذؤيب الهذلي (-٢٦هـ)

بيض رِهَابٌ ريشهُنَّ مفزَّعُ

(٤٢٧ المفضليات)

بيض رهاب: نصال رقاق مرهفة، ورهاب جمع رهيب بمعنى مرهوب. وجميع المعاجم لم تذكر هذا اللفظ المفرد.

وتخريج ذلك صرفياً أنها محولة عن مفعول، والتحويل كثير أو قياسي.

(٢) عزَّة بمعنى صعبة

وردت بهذا المعنى في شعر عَبَدَة بن الطبيب، وهو من المخضرمين:

وثنيَّةٍ من أمرِ قَوْمٍ عزَّةٍ

فَرَجَتْ يداي فكان فيها المطلعُ

(١٤٧ المفضليات)

وهي بهذا المعنى مما لم يرد في معاجم اللغة.

(٣) مشهود بمعنى ممزوج بالشهد

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر ربيعة بن مَقْرُوم الضبيِّ، وهو من المخضرمين:

وبارِداً طيِّباً عذباً مقبَّلُهُ

مخيَّفاً نبْتُه بالظَّلم مشهودا

(٢١٣ المفضليات)

وبارداً: يريد الشاعر به ثغر حبيبتِه، وكلما برد الثغر كان أطيب لريحه.

الظَّلم: ماء الأسنان، وإذا صَفَت الأسنان ورقَّتْ كان لها ظَلْمٌ.

مشهوداً: أي كأن طعمه طعمُ الشهد، أو ممزوج بالشهد. وهذا المشتق (مشهود) مما لم يذكر في المعاجم بهذا المعنى.

(٤) قَذِيف بمعنى دَعيّ النسب

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر لِسُبَيْع بن الخطيم، وهو جاهلي:

من غير ما جُرْم أكونُ جَنَيْتُه

فِيهم، ولا أنَا إن نُسِبْتُ قَذِيفُ

(٣٧٤ المفضليات)

واللفظة مما لم ترد في المعاجم بهذا المعنى.

(٥) عَنْوَة بمعنى جِهَاراً غَيْرَ خَتْلٍ

وردت بهذا المعنى في شعر لِخَرَاشَة بَن عَمْرٍو العبسي وهو جاهلي:

ونحن تركنا عَنْوَةً أُمَّ حَاجِبٍ

تُجاوِبُ نَوْحاً ساهرَ الليلِ ثُكّلا

(٤٠٦ المفضليات)

النَّوحْ: النساءِ النائحاتِ. الثُّكل جمعُ ثاكِل وهو المرأة فقدت ولدها أو عزيزاً عليها.

ولفظ عَنْوَة مما لم يرد في المعاجم بهذا المعنى.

(٦) رَجِلٌ آنِسٌ

ذو الايناس، ورد بهذا المعنى في شعر المرقِش الأكبر:

وقِدْرٍ ترى شُمْط الرجالِ عِيالَها

لها قَيِّم سهلُ الخليقةِ آنِسُ

(٢٢٦ المفضليات)

شُمْط جمع أَشْمَط وهو ما خالط سواد رأسه الشيب.

عيالها: أي كأنهم عيال لها. قَيِّم: قائِمٌ بشأنها. آنس يستعمل في المؤنث فيقال: جارية آنسة إذا كانت طيبة النفس، واستعمال هذا اللفظ (آنس) في المذكر صحيح قياسي ولكن لم تنص عليه المعاجم.

(٧) آلٍ بمعنى سياسة

هذه اللفظة استعملها الشَّنْفَرى وهو جاهلي، بهذا المعنى، فقال:

تخاف علينا العَيْلَ إن هي أكثرت

ونحن جياعٌ، أيّ آلٍ تَأَلَّت

(١١٠ المفضليات)

العَيْل: الفقر. أي آل تألت: أي سياسة ساست، والآل: أصله الأوّل قلبت الواو ألفاً لسكونها بعد فتحة... ولم يذكر في المعاجم بهذا المعنى.

(٨) رجلٌ بُكْمَة أي أبكم

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر الجُمَيْح مُنْقِذ بن الطمَّاح وهو جاهلي:

حاشا أبا ثَوْبان إنَّ أبا

ثوبانَ ليس بِبُكمَةٍ قَدْمِ

(٣٦٧ المفضليات)

وهذه اللفظة بهذا المعنى مما لم يرد في المعاجم.

(٩) المعين بمعنى الأجير

لأنه يعاون صاحب العمل في أمره. وهذه اللفظة بهذا المعنى، وردت في شعر المثقِّب العبدي، وهو جاهلي، يمدح عمرو بن هند ملك الحيرة:

كأنَّ نَفِيَّ ما تَنْفِي يداها

قِذافُ غِريبةٍ بِيَدَيْ مُعِين

(٢٩١ المفضليات)

شبه ما تنفى يدا الناقة من الحصا في سيرها بحجارة تقذف بها ناقةٌ غريبة أتت حوضاً غيرَ حَوضِها لتشرب مه فرِمُيَت.

ولفظ المعين في المعاجم بمعنى الظهير والمساعد على الأمر، أي المستعان به، سئل الأصمعي: هل تعرف المُعِين بمعنى الأجير؟ فقال: لا أعرف، ولعلها لغة بحرانية، يعْنى لغة أهل البحرين. وتفسير المعين بالأجير لم يذكر في المعاجم.

(١٠) اتَّنَى أي انثنى

وردت في الشعر الجاهلي بهذا المعنى، قال جابر بن حنّى التغلبي، وهو جاهلي:

تناوله بالرمح ثم اتَّنى له

فَخَرَّ صريعاً لليدين وللفم

(٢١٢ المفضليات)

اتَّنى: أراد انثنى، فأَدْغَم النون في الثاء، ثم أبدلها تاء، قاله الأنباري، وهو من نادر التصريف، الذي لم يوجد له مثال، والقياس في مثله أن يكون أصله انثنى على وزن افتعل، واللغة العامية المصرية تستعمل هذه اللفظة بالمعنى المذكور.

(١١) تَحَذَّرَه بمعنى أَخَذَ حِذْرَهُ منه

ورد في شعر عبد المِسَيح بن عَسَلَة، وهو جاهلي:

لا ينفع الوحشَ منه أَن تحذَّره

(٢٨٠ المفضليات)

تَحَذَّرُه أصله تتحذَّرُه مضارع تحذَّر وهذا الفعل ليس في المعاجم بل فيها حذر واحتذر.

(١٢) النَّواهِد بمعنى الدَّواهَي جمع نَاهِدة

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر مُزرَدٍّ بن ضِرَار الذَّبْياني، وهو جاهلي:

... وقد دَلَّهْنَهُ بالنّواهِد

(٨٠ المفضليات)

دلهنه: أزعجنه. النواهد الدواهي وهذا مما لم يذكر في المعاجم.

وبعد حوار قصير حول بعض الكلمات وافق المؤتمرون على إحالة الكلمات الواردة في قرار اللجنة إلى لجنة المعجم الكبير للنظر في إثبات كل كلمة في المادة التي تعود إليها.

ألفاظ وأساليب عصرية

١- التشخيص- الأنسنة

بعد أن تدارست اللجنة المذكرات التي قدمت لها حول هاتين الكلمتين انتهت إلى القرار الآتي:

"مما هو معهود في فنون الأدب **إنزال غير العاقل، كالحيوان والنبات والجماد والمعاني المجردة، منزلة العاقل** في التعبير والتصوير والخطاب، وقد جرى ذلك في الأدب العربي وفي غيره من آداب اللغات المختلفة، ولهذا الفن الأدبي مصطلحات أجنبية مختلفة، وقد عُبِّر عن هذا المعنى في النقد الأدبي الحديث بكلمات شتّى منها: **المغالطة الوجدانية، والإنطاق، والتجسيد، والتجسيم، والتشخيص، والأنسنة، والتأنيس**. ترى اللجنة أن أنسب هذه الكلمات إما **التشخيص** وإن كانت مشتركة في دلالات أخرى كالتمثيل وتحديد المرض، وإما **الأنسنة** وإن كانت اشتقاقاً من كلمة الإنسان على لفظها، وإما التأنيس وهي اشتقاق من أصل مادة الإنسان وهو الأنس".

وتمت الموافقة على قرار اللجنة بعد حوار قصير حوله.

٢- التركيز

انتهت اللجنة بعد أن اطلعت على ما قدم إليها من مذكرات إلى القرار الآتي:

"مما يجري في الاستعمال المحدث مثل قولهم: "**شراب مُرَكَّز**" **بمعنى أنه مكثف غليظ القوام وافر الحظ** من العنصر الأصلي فيه، وكذلك مما يجري في الاستعمال مثل قولهم **ركَّز على كذا بمعنى قوّاه وأكّده**. ولكن الذي في اللغة هو رَكَزَ الرُّمح أو الوتَدَ رَكْزاً أي دقه في الأرض تثبيتاً له، وترى اللجنة أن التثبيت يسوغ فيه مجاز التغليظ أو الترديد أو التجميع وكذلك تعدية الفعل رَكَّز بالتضعيف وجعل مصدره "التّركيز" مما لا تأباه أقيسة العربية. وأما التعدية

بالحرف "على" فَتُحْمَل على التثبيت أو التجميع واقع على الشيءِ، وكذلك يُحْمَلُ التعبير على تضمين الحرف "على" معنى الحرف "في" كما حدث التضمين العكسي في قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُم فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[1] أي عليها.

اعترض الأستاذ محمد بهجة الأثري على القرار واصفاً كلمة التركيز بهذه الدلالة بأنها عامية، وبعد مناقشة حادة اشترك فيها كل من الدكتور عز الدين عبدالله، والدكتور أحمد عبدالستار الجواري، والأستاذ محمد شوقي أمين، **أعلنت موافقة الأكثرية على القرار.**

٣- اللصق واللاصق

قررت اللجنة ما يأتي :

"ويجري في الاستعمال المحدث مثل قولهم: "لصق الإعلانات ممنوع" أو مثل قولهم: "شريط لاصق". وقد منع بعض نقاد اللغة المحدثين اللصق مصدراً بمعنى اللصوق، ولكن المنقول عن ابن دُرَيْد كما في التاج: قوله اللزق إلزامك الشيء بالشيء، ومعلوم أن اللزق يجوز فيه الصاد والسين بديلاً من الزاي. كذلك جاء في أقرب الموارد اللصق مصدراً رديفاً للصوق؛ يضاف إلى ذلك أن المجمع أقرَّ أن الفعل المتعدي يصاغ له مصدر على وزن "الفَعْل"، بفتح فسكون، ما لم يدل على حِرْفة. ومن حيث إن "لَصَقَ" فعل معتد فنقول: "لَصْقُ الشيءِ بالشيءِ" فإن الشريط اللاصق يحمل معنى الملتصق بغير، على أن في اللغة ما يدل على الشريط اللاصق ألفاظاً مفردة "**كاللِّصاق**" **على وزن** "**كِتاب**" و"**اللَّصوق**" **على وزن** "**طَروب**" و"**اللَّصاق**" **على وزن** "**جَذَّاب**" وكلها مما يجوز أن تتعاقب عليه الزاي والسين إلى جانب "الصاد".

بعد حوار بسيط حول هذه الكلمة **أعلنت موافقة المؤتمر على قرار اللجنة .**

---

(١) سورة طه الآية ٧١.

٤- معنى الخيارين والخيارات

قررت اللجنة ما يأتي:

"يجري في الاستعمال مثل قولهم: "العرب اليوم أمام خيارين: إما كذا وإما كذا. أو أمام خيارات: إما كذا وإما كذا". وقد يُرَدّ على هذا التعبير **أن الخيار لا يتعدد، ولكن الذي يتعدد ما يدخل تحت الخيار من أمرين أو أمور.** ففصيح التعبير أن يقال: "العرب أمام خيار بين أمرين، أو خيار بين أمور. هذا إلا إذا تعدد موضوع الخيار فيكون في كل منها خيار. ولكن توجيه التعبير الشائع **بأن كلاً من الأمرين أو الأمر كان مظنة الاختيار، ففي الكلام مجاز** مرسل باعتبار المحلية أو ما كان لأن كل أمر كان محلاً للاختيار، وكان في نفسه داخلاً في الخيار قبل أن يسقط عنه الاختيار.

بعد نقاش قصير حول هذا القرار **أُعلنت موافقة المؤتمر عليه.**

٥- الحياد والتحييد

"من الاستعمال المحدث قولهم "الحياد السياسي، والحياد الإيجابي" وكذلك قولهم "تحييد الدولة" بمعنى إلزامها الحياد، والمقصود بالحياد والتحييد المجانبة أو التجنيب للدولة بحيث لا تتحيز لسياسة معينة. **وقد نصت اللغة على أن الحياد هو المجانبة والميل عن الشيء. وكذلك جاء التحييد بمعنى جعل حيود أو عقد في السير أو القيد.** على أن الفعل حاد **يجوز فيه التضعيف للتعدية، كما** أقرّ ذلك المجمع، فيقال حاد عن الطريق وحيّده، صرفه عنه بمعنى جنّبه إياه وأماله عنه، ومن ثمّ ترى اللجنة جواز ما يجري في الاستعمالات المحدثة من هذا القبيل".

بعد تبادل الرأي حول هذا القرار **أعلنت موافقة المؤتمرين عليه.**

ثامناً: توصيات المؤتمر واختتامه

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية في ١٩ من جمادى الثانية سنة ١٤٠٥هـ، الموافق ١١ من آذار (مارس) سنة ١٩٨٥م، واستمعوا إلى تقرير الأمين العام الأستاذ عبدالسلام هارون، وقد تضمن موجزاً لما أنجزه المؤتمر خلال دورته هذه، كما تلا ما تلقاه من مقترحات الأعضاء وملاحظاتهم.

وبعد أن تداول المؤتمرون الرأي حول ما قُدّم من مقترحات وتوصيات، **أقرّوا بالإجماع ما يلي:**

١-يؤكد المؤتمر توصياته السابقة، ويأمل **أن تهتم بها الجهات المختصة وتستكمل تنفيذها.**

٢-**يوصي المؤتمر بضرورة العمل على تعريب التعليم**، ولا سيما في مرحلة التعليم العالي والجامعي.

٣- يؤكد المؤتمر على ضرورة **توحيد المصطلحات العلمية**، ومتابعة الجهود التي يقوم بها اتحاد المجامع العربية في هذا المضمار.

٤- يوصي المؤتمر بالمبادرة إلى التوسع في وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية.

٥- يوصي المؤتمر الهيئات العلمية المختصة، في كل قطر عربي، بترجمة أمهات الكتب والمجلات العلمية المعاصرة في مختلف اللغات والتخصصات.

وأخيراً أعلن الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المؤتمر ختام الدورة الحادية والخمسين، شاكراً للمؤتمرين جهودهم، وآملاً اللقاء بهم إن شاء الله في الدورة القادمة.

تعليق على كتاب
"المعجَم الوافي في النَحو العَربي"

للدكتور جميل علوش

يلاحظ المهتم بالحركة الثقافية في الأردن إقبالاً على التأليف في الموضوعات اللغوية وبخاصة قواعد الصرف والنحو. ويلاحظ كذلك أنَّ هذه المؤلفات تجعل هدفها خدمة الطالب الذي يجد صعوبة في فهم تلك القواعد وتَمثُّلِها. بل نستطيع أن نقول إن الإقبال على التأليف في هذا الموضوع ناجم في أساسه من إحساس عميق بأزمة حادة في دراسة النحو وتدريسه، فهي إذن مؤلفات مدرسية تخدم الطالب في مختلف مراحله ومستوياته الدراسية.

بيدَ أنَّ ممّا يؤخذ على هذا الاتجاه في التأليف والتصنيف النحوي المدرسي أنّه يحتاج إلى كثيرٍ من التأني وإطالة النظر في جميع هذه القواعد وتصنيفها والحرص على إثباتها متقنة صحيحة لا يشوبها شيء من شوائب الخطأ وسوء التقدير وضعف التخريج وسطحية التحليل والتعليل. فلا شكَّ في أنّ الإقدام على التأليف في قواعد العربية ليس عملاً يسيراً ولا مهمة سهلة.

وكنت قد اطلعت قبلَ مدة على كتاب جديد في هذا الموضوع صادر عن دائرة الثقافة والفنون هو كتاب "المعجم الوافي في النحو العربي" لصاحبيه الدكتور علي توفيق الحمد والأستاذ يوسف جميل الزعبي. وممّا يؤخذ على هذا الكتاب أنّ المؤلفيْن – على الرغم من الجهد الكبير الذي بذلاه في تأليفه – حشدا فيه كل صحيح وخاطئ من الأحكام والآراء ووجهات النظر، فجاء يشكو النقص وعدم الدقة والبعد عن الإصابة ومجافاة المنطق النحوي.

والأمر المهمّ الذي يغفل عنه الكثيرون ممّن يقدمون على مثل هذه المهارات هو أنّ التأليف في النحو وقواعد العربية ليس جمعاً واختياراً ممّا كتب الآخرون،

بل هو بحاجة إلى السيطرة على الملكة النحوية التي تحدّث عنها ابن خلدون، والتحلّي بتفكير نحوي سليم، يقوم على العناصر التالية:

١- التزام موقف شامل متكامل في علم النحو.

٢- القدرة على نخل آراء النحاة وتمييز صحيحها من فاسدها.

٣- وجوب الاعتماد في التأليف على نظرية واضحة شاملة.

فليس التأليف في النحو إذن ضرباً من الاختياكر والجمع والتكديس، لا يقوم على أساس من الفكر الواضح والنظر السَّليم، إذ إنَّ مصادر النحو ومؤلفات النحاة تحتوي على كل غثٍّ وسمين من الآراء، ولا بدَّ لنا عند الإقدام على التأليف أن نستخلص منها ما نعتقد أنّه صحيح أو ما نستطيع بمنطقنا النحوي أن نجعله كذلك.

من هذا الأساس انطلقت في نقدي لهذا الكتاب راجياً أن أوضح أنني أبعد ما أكون عن الرغبة في إثارة الخلافات وتأريث الخصومات وشنّ الغارات واختلاق الأخطاء والمزالق لفتح أبواب المناظرات الطويلة والمحاورات العقيمة. فلم أقصد إلى أكثر من عرض وجهات نظر أتيقَّنُ أنها صحيحة بحكم خبرتي الطويلة في هذا الميدان. فإنني من الذين لا يقبلون أن يكون دورهم محصوراً في قراءة كتب النحو وقبول كل ما يرد فيها، بل من الذين يعرضون ما تقعُ عليه أعينهم منها على ملكة سليمة وحاسّة دقيقة، ينخلون بها مختلف الآراء ويغربلون متباين النظرات، ويحرصون على أن يظفروا بكل صالح وصحيح منها. أمّا من يظنُّ كل ما ورد في كتب النحو صحيحاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو أقصَرُ من أن يتصدّى لهذه المهمة ويضطلع بعبء هذه التبعية.

بهذا المقياس تطرقت إلى نقد هذا المعجم النحوي الشامل. وعلى هذا الأساس سُقت ما سُقت من مأخذ وملاحظات عليه. وإني لأرجو أن أحقق بهذا النقد ما أتوخّاه لقرائه من الطلبة والدارسين من عميم النفع وجليل الفائدة.

هذا وقد قسمت تعليقي إلى ثلاثة أقسام:

الأول- يتناول الأخطاء في أسلوب المؤلف.

الثاني- يتناول ضبط الشواهد وتصحيحها.

الثالث- يتناول أخطاء موضوعية في النحو والإعراب.

فمن أخطاء القسم الأول التي تتعلق بسلامة أسلوب المؤلف ما يلي:

ورد (ص٩) قوله: وقد توافر على خدمة هذه اللغة. والصحيح أن يقول: قد توفّر لا توافر. ويبدو أنّ المؤلف قد خلط بين صيغتين هما:

توفر على الشيء أي صرف همته إليه كما ورد في المصباح المنير ورعى حرماته كما ورد في لسان العرب.

توفر الشيء بمعنى كَثُر. وقد زعم بعضهم أنّ هذا الاستعمال غير وارد في كتب اللغة فأشاروا باستعمال توافر. ومع الإقرار بصحة هذا الاستعمال وسلامته، نود أن ننبه إلى أنّ استعمال توفر بمعنى كَثُرَ هو أيضاً صحيح. قال صاحب المصباح المنير: وفّرته بالتثقيل مبالغة. وقال أيضاً: وفّرت له طعامه توفيراً إذا أتممته ولم تنقصه. وهذا يعني أن صيغة (فعّل) واردة من فِعْلِ (وَفَر) الثلاثي. وإذا كانت صيغة (فعّل) بالتشديد موجودة فهذا يعني أن صيغة (تفعّل) من هذا الجذر (وَفَرَ) واردة وموجودة لأنها صيغة قياسية. وقد دعا إلى قياسية هذه الصيغة من (فعّل) معظم من كتبوا في الأخطاء الشائعة. ونستخلص ممّا سبق أنّ المؤلف أراد أن يلتزم رأي من منع استعمال (توفّر) بمعنى كثر فاستعمل (توافر) وفاته أن

التنبيه يدور حول (توفّر) بمعنى كثر لا توفّر على الشيء بمعنى صرف همته إليه.

ورد (ص٩) قوله: ومع إدراكنا أنّ إعراب الكلمة... إلّا أنّ العوامل ثابتة في عملها. وإقحام (إلّا) هنا لا مسوّغ له. فكان عليه أن يعيد صياغة الجملة بصورة مقبولة.

ورد (ص٩) قوله: كاستفهام مرة، ونفي أخرى... والصحيح أن يقول كالاستفهام مرة والنفي أخرى، لأنَّ الاستفهام والنفي من الموضوعات المعروفة المشهورة في اللغة والنحو فلا مسوّغ لأن يجيء بهما نكرتين.

ورد (ص١٠) قوله: فقد تمرُّ بالمرءِ كلمة يحتار في إعرابها. والصحيح يحار أو يتحير، أمّا يحتار فهي لهجة عامية.

ورد (ص١٠) قوله: ولا نحيد عن الحقيقة إن قلنا. كان أفضل أن يقول: إذا قلنا، بدل إن قلنا، لأن الموقع موقع يقين لا شك.

ورد (ص١٠) قوله: والفضل في الاهتداء إلى هذه الطريقة لأصحابها. والصحيح أن يقول: والفضل في الاهتداء إلى هذه الطريقة يعود إلى أصحابها أو ينسب إلى أصحابها.

ورد (ص١٠) قوله: حتى بلغت الشواهد القرآنية ما يقرب من ستماية. والصحيح أن يقول: ستمائة، بالهمزة لا بالياء. أمّا الألف فتكتب ولا تلفظ، والذي أثبتهُ المؤلّف لهجة عامية ليس لها مكان في الكلام الفصيح.

ورد (ص١١) قوله: إن تعذرت الإحالة إلى كتاب لغوي. والصحيح الإحالة على كتاب.

ورد (ص١١) قوله: المعجم الألف بائي. والصحيح أن يقول المعجم الألفبائي بتركيب الكلمتين في كلمة واحدة وبناء الجزء الأول على الفتح.

ورد (ص١٤) قولـه: تكـون الهمـزة أول الفعـل. والصـحيح أن يقـول: فـي أول الفعل، لأنّ أول لا تصلح لأن تكون ظرفاً مكانياً.

ورد (ص١٤) قولـه: سـواء أكانـت حروفـه أصـلية أو واحدة منهـا زائـداً. وهـذا تركيب مضطرب صحته: سواء أكانت حروفه أصلية أم كان واحد منها زائداً.

ورد (ص٢٢) قوله: مبنى على ما يرفع به وهي الألف. والصحيح وهو الألف، لأنّ الضمير يعود في الأصل إلى ما قبله لا إلى ما بعده، والاسم الموصول الذي يعود إليه الضمير المنفصل هذا مذكر بدليل عودة الضمير المتصل (به) إليه. وإذا كان عاد إليه الضمير الأول مذكراً فكيف يعود إليه الضمير الثاني مؤنثاً؟

ورد (ص٢٨) قولـه: أمّـا إن كـان ثانيـه حـرف علّـة وجب بقـاء الحـرف. ووجـه الخطأ في هذه الجملة أنّ المؤلف جعل الجواب لحرف الشرط (إن) فجرّده من الفاء التي هي واجبة الدخول على جواب (أمّا) الشرطية. ومن المعروف أنه إذا اجتمع شرطان أو شرط وقسم أو قسم وشرط كان الجواب للسابق منهما. هذا إذا اعتمدنا على قواعد النحو. فإذا احتكمنا إلى قواعد الذوق السليم والملكة الصحيحة تبيّن لنا أنّ إهمال الفاء في هذا الموضوع كريه غير مستساغ. ولأنّه لا يجوز دخول الفاء على الفعل الماضي في جواب (أمّا) الشرطية، يصبح من الواجب إجراء تغيير على الفعل الماضي فنقول: أمّا إن كان ثانيه حرف علّة فيجب بقاء الحرف أو فالواجب بقاء الحرف أو غير ذلك ممّا يجعل الصياغة سليمة متسقة.

ورد (ص٢٩) قوله في حديثه عن الأجدل: وهي لفظة ليست صفة. ويبدو من نسق الكلام أنه يقصد أنها لفظة لا تحمل مدلول الصفة. فصاغ الجملة بصورة يفهم منها أنه يريد أن يثبت أنها لفظة وينفي أنها صفة. مع العلم أنه ليس ثمة تناف أو تضاد بين اللفظة والصفة حتى يصبح من الممكن نفي إحداهما وإثبات الأخرى. إنّ الذي يقابل الصفة في هذا الموضع هو الاسم ولذلك كان الأجدر به أن يقول: وهي اسم لا صفة.

ورد (ص٣٢) قوله: لئلّا يحدث التعارض بين الابتداء الدال عليه فعل الشروع وبين الاستقبال. ومن المعروف أنّ (بين) لا تتكرر في فصيح الكلام إذا كانت مضافة إلى اسم ظاهر. أمّا في غير فصيح الكلام فكل شيء يجوز..

ورد (ص٣٤) قوله: يعوّض عنها تنوين. والصحيح أن يقول: يعوّض عنها بتنوين.

ورد (ص٤٨) قوله: لقد حزتُ على الشجاعة. فعدّى حاز بحرف الجر (على). والصحيح أنها تتعدى مباشرة فنقول: حزتُ الشجاعة.

ورد (ص٦٢) في حديثه عن جملة (سامحه الله) قوله: لأنها خبرية لفظاً دون معنىً. والصحيح أن يقول لأنها خبرية لفظاً لا معنى. هذا ما تقتضيه قوانين الفصاحة وغير ذلك رطانة.

ورد (ص١٢٥) قوله في مخاطبة الاثنين (تعالا) والصحيح أن يقول: (تعاليا) لأنّ الفعل الماضي تعالى والمضارع يتعالى والأمر للمفرد المذكر تعالَ بالبناء على حذف حرف العلة لأنه ناقص. فإذا أسند الفعل إلى ألف الاثنين عادت الألف المحذوفة إلى أصلها الذي هو الياء لتعذّر اجتماع ألفين في مكان واحد هما ألف العلة وألف الاثنين. وإنما قلنا إن أصل الألف هو الياء لأننا نتحدث عن أصلها القريب، إذ إنّ أصلها البعيد هو الواو لأنها من علا يعلو. ومن المعروف أنّ الواو قلّما تبقى على حالها إذا وقعت رابعة فصاعداً، فإنها تقلبُ ياء.

ورد (ص١٣٤) قوله: أمّا إن فتحت الهمزة أعربت لا إلخ... فقد جرّد خبر (أمّا) من الفاء، كما أشرنا في موضع سابق لأنّ المؤلف يكرر هذا الخطأ. ولا يصحُّ في أية حال من الأحوال تجريد جواب (أما) الشرطيّة من الفاء إلّا إذا حذفت جملة الجواب كلّها كما في قوله تعالى: "فأمّا الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم".

وقد يطول الحديث ويمتدُّ مجال الكلام لو رحنا نتتبع هفوات المؤلف في أسلوبه فلننتقل إلى القسم الثاني من التعليق.

القسم الثاني- ضَبْطُ الشواهد

وقعت أخطاء في عدد قليل من الشواهد الشعرية نبيّنُها على الوجه التالي:

الشاهد رقم ٢ وهو:

فواللـــه مـــا أدري وإن كنـــتُ داريـــاً	بســـبعٍ رمـــينَ الجمـــرَ أم بثمـــانِ

أورده المؤلف خطأ على الوجه التالي:

فواللـــه مـــا أدري وإن كنـــت داريـــاً	بســـبعٍ رَميْـــتُ الجمـــر أم بثمـــانِ

فجعل الفعل (رمى) مسنداً إلى ضمير المتكلم وهو في الحقيقة مسند إلى ضمير النسوة.

الشاهد رقم ٦٨ وهو:

انيخـــت فألفـــت بلـــدةً فـــوقَ بلـــدةٍ	قليـــلٍ بهـــا الأصـــواتُ إلا بغافهـــا

أورده المؤلف برفع (قليل) والصحيح جرّها لأنها من قبيل النعت السببي فهي نعت سببي لبلدةٍ الثانية. وكان يجب أن تكون مؤنثة لأنّ النعت السببي يتبع في تذكيره وتأنيثه ما بعده. لكنها جاءت مذكرة حملاً على الفعل لأنه يجوز تذكير الفعل وتأنيثه إذا كان الفاعل جمع تكسير. ومن المعروف أنه يشترط في الاسم المشتق حتى يرفع فاعلاً أن يعتمد على شيء قبله يتقوى به. وقد اعتمد هنا على

موصوف. وهذا بخلاف ما لو رفعنا (قليل) فهي في هذه الحالة تصطدم بالمحظورات التالية:

أولاً: إذا أعربناها مبتدأ امتنع ذلك بأنه لا يجوز في مذهب البصريين الابتداء بالنكرة دون الاعتضاد بمسوّغ.

ثانياً: إذا أعربناها خبراً مقدماً اختل مبدأ التوافق بين المبتدأ والخبر في التذكير والتأنيث.

ثالثاً: إذا أعربنا (أصوات) فاعلاً سد مسد الخبر امتنع ذلك بأنّ المبتدأ النكرة كما أسلفنا يجب أن يعتمد على نفي أو استفهام. وهذا ما لم يتوفر في النص.

الشاهد رقم ٩٧ وهو:

لـــولا توقُّـــعُ معتـــرٍ فأرضـــيهُ	مـا كنـتُ أوثـرُ إتراباً علـى تَـرَبِ

وردت الراء في كلمة (تِرْب) مسكنة والصحيح فتحُها إذ إنَّ التَرَب بفتح التاء والراء هو الفقر والإتراب هو الغنى أو الاستغناء. ولا وجه لكسرِ تائِها وتسكين رائها كما ضبطها المؤلف لأن (التِرْب) بكسر التاء وتسكين الراء هو اللدة أي المساوي في العمر ولا معنى له في البيت.

الشاهد رقم ١٣١ وهو:

غيـــرُ منفـــكٍ أســـيرَ هـــوى	كـــلُّ دانٍ لـــيسَ يَعتبـــرُ

أثبته المؤلف برفع (أسير) وببناء (يَعتبر) للمجهول. الصحيح نصب (أسير) لأنها خبر غير منفك مقدم أما اسمها فهو (كلٌّ) المتأخر. أمّا (يعتبر) فهي بالبناء

للمعلوم بمعنى يتعظ وينظر في عواقب الأمور. ولا مجال لبنائها للمجهول. ولم أعثر لهذا البيت في كتب النحو ومصادره على تفسير أو تخريج ويبدو أنّ فيه خللاً في المعنى، لأنَّ الواني لا يكون أسير هوى بل المستعجل هو الذي يكون أسير هواه. ويبدو أن البيت من صنع النحاة، كأنهم لفقوه للتدليل على أن النفي كما يجيء حرفاً أو فعلاً يجيء اسماً.

الشاهد رقم ١٨٠ وهو:

ثم تفري اللَّجم من تعدائها	فهي من تحتُ مشيحات الحُزُم

أثبته المؤلف بفتح اللام في كلمة (اللجم). والصحيح ضم اللام لأنها جمع لجام وقد تكونُ خطأ طباعياً. ومهما يكن فالمهم هو كشفُ الخطأ لا تجريم مقترفه.

الشاهد رقم ١٩٢وهو:

وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني	ثوبي فأنهضُ نهضَ الشارب السكر

وردت (فأنهض) منصوبة. ولا وجه لنصبها فهي معطوفة على (يثقلني) المجرّدة من الناصب والجازم. وإذا اعتبرنا الفاء استئنافية كانت (أنهض) مرفوعة أيضاً.

الشاهد ٢٠٠ وهو:

قد زادَه كلفاً بالحبِّ إذ منعت	وحَبُّ شيء إلى الإنسان ما منعا

والاعتراض هنا على (إذ) فقد أثبته المؤلف بها. ونسق الكلام يقتضي أن تقول (أن) مقام (إذ)لأننا بحاجة إلى فاعل للفعل (زاد) ولا يمكن أن يكون هذا الفاعل إلا المصدر المؤول من أن وما بعدها. هذا من ناحية القياس أمّا من ناحية الرواية والسَّماع فقد وجدتُ في كتاب (المرجع في اللغة العربية) للشيخ علي رضا بهذا الخصوص ما يلي: قال الشاعر:

منعتَ شيئاً فأكثرتَ الولوعَ به	وحبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنِعا

وأضاف المؤلف قوله: ويُروى:

وزادني كلفاً بالحبِّ أن منعت	وحبُّ شيء إلى الإنسان ما منعا

وهذه الرواية هي الرواية التي أعرفها. أمّا إحالة المؤلف على كتاب العقد الفريد فهي لا تعني شيئاً أمام توفّر القياس والسماع وتعاضد العقل والنقل.

الشاهد رقم ٢١٣وهو:

قد كنتُ أمجد أبا عمرٍو أخا ثقةٍ حتى ألمت بنا يوماً ملمَاتُ

أوردَهُ المؤلفُ منقوصاً حرف التحقيق (قد) من أوله ممّا سبب حدوث اختلال في وزنه. والصحيح إثبات (قد) لتوكيد المعنى وإقامة الوزن.

الشاهد رقم ٢٢٣ وهو:

وما كنتُ أدري قبل غرة ما البُكا ولا موجعات القلب حتى تولتِ

أثبتَ المؤلف كلمة البكا بالألف المقصورة هكذا (البكى) ومن المعروف أنَّ الكلمة في الأصل ممدودة وأن الشاعر قصرها للضرورة. فلا وجه إذن لكتابتها

بالألف المقصورة اللّهم إلّا إذا أخذنا برأي الكوفيين الذين يجيزون كتابة الألف في الأسماء المقصورة المضمومة الأول أو المكسورة الأول على صورة الياء حتى لو كان أصلها واواً. غير أنّ القاعدة التي يجدر بنا الاعتماد عليها في هذه المسألة هي ما ذكره الشيخ الغلاييني في جامع الدروس العربية بصدد ما نحن فيه قال: وما كان من ذلك ممدوداً فقصرته... فلا يكتب بالياء بل يكتب بالألف. ولا شك أن (البكاء) هو ممّا كان ممدوداً فقُصِرَ فلماذا كتابة ألفه على صورة الياء؟

الشاهد رقم ٢٢٧ وهو: بلال خير الناس وابن الأخير.

أثبت هذا الشاهد في الكتاب على أنه بيت شعر تام في حين هو شطر بيت لا بيت تام. وقد حاولت أن أعرف شطره الثاني فلم أستطع. ومهما يكن فلا بدَّ أن يكتب كما تكتبُ أنصافُ الأبيات.

الشاهد رقم ٢٣١ وهو:

دعتني أخاها أم عمرو ولم أكن أخاها ولم أرضَعْ لها بلبانِ

أثبت المؤلف كلمة (لبان) بفتح اللام وإنما هي بكسر اللام فاللَّبان بفتح اللام هو المصدر أمّا اللبان بكسر اللام فهو حليب الرضاع. وهذا ما يناسب معنى البيت.

الشاهد رقم ٢٦٠ وهو:

وما زلت من ليلى لدن أن عرفتُها لكالهائمِ المُقصى بكل مُرادِ

أثبته المؤلف بحذف (أن) الواقعة بعد لدن. ولا شك أن حذف (أن) يجعل البيت مختلاً من ناحية الوزن. فالصحيح إثباتها.

الشاهد رقم ٢٧٧ وهو:

لشتانَ ما بيني وبينَك إنني على كل حال أستقيم وتظَلَعُ

أثبت المؤلف (لشَتان) مجردة من اللام. وتجريدها من اللام يجعل الوزن مختلاً فالصحيح إثباتها.

الشاهد رقم ٣٠٢ وهو:

أبى اللهُ إلّا أنَّ سرحة مالكٍ على كل أفنان العِضاهِ تروق

أثبت المؤلف كلمة العضاة في البيت على هائها نقطتان كأنها تاء. وهي في الحقيقة هاء لأن العضاه في اللغة شجر له شوك فلا مسوّغ لجعل الهاء تاءً. أمّا مفرده فهو عضاهة فهو من قبيلِ ما يطلق عليه شبه الجمع.

الشاهد رقم ٣١٩ وهو:

لذ بقيسٍ حين يأبى غيرَه تلفِهِ بحراً مفيضاً خيرَه

أورده بنصب (غيرَه) و(خيرَه) نقلاً عن ابن هشام في المغني. وقال: وبعضُ النحاة يُجيزُ بناءَها (يقصِدُ غير) على الفتح إذا أضيفت إلى مبني. أقولُ: نقلَ المؤلف هذه القاعدة عن ابن هشام دون أدنى تأملٍ أو تفكير. ولو فكّر ملياً في الموضوع لما قبلها على علّاتها، لأنّ هذه القاعدة تتضمن المطاعن التالية:

أولاً: قال ابن هشام تعليقاً على هذا البيت: وذلك في البيت الأول أقوى. وهو يقصدُ البيت التالي:

لم يمنَع الشَّربَ منها غيرَ أن نطقت حمامةٌ في غصون ذات أو قالِ

ثانياً: إنّ ما يجعلُ البناء في هذا البيت أقوى أنّ (غير) فيه أضيفت إلى مصدر مؤول. ومن المعروف أنّ بعض الأسماء كالظروف مثلاً تبنى على الفتح بناءً عارضاً إذا أضيفت إلى جمل اسمية أو فعلية أو إلى مصادر مؤولة. ومن الظروف المضافة إلى الجمل قوله تعالى: "هذا يوم ينفعُ الصادقين صدقُهم". وكذلك قول الشاعر: على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا.

ثالثاً: قال شارح المغني الشيخ محمد الأمير تعليقاً على كلام ابن هشام: إن كانَ المضاف إليه مبنياً تقوى البناء بعض تقوي. وبعضُ التقوّي يعني الضعف فهو لا يصنع من الخطأ قاعدة.

رابعاً: قال شارح المغني في نسبة هذا البيت: قال السيوطي لم يسم قائله. ومن المعروف أنّه – كما ذكر الأستاذ الأفغاني – لا يحتجُّ بكلام مجهول القائل. وبخاصة إذا أمكن تخريج هذا الكلام تخريجاً يتسق مع قواعد النحو. كما سنبيّن بعد قليل.

خامساً : حينَ عَرَضَ ابنُ هشامٍ القاعد السابقة احتجّ بالبيت الذي أضيفت فيه (غير) إلى مصدر مؤول قبل البيت الذي أضيفت فيه إلى ضمير اعتقاداً منه أنّ الأول يحقق القاعدة ويثبتها أكثر من الثاني. فجاء المؤلف وعكس الأمر إذ قدّم الثاني وأخّر الأول مخالفاً بذلك ابن هشام.

علاوة على كل ما سبقَ، نؤكد أنّ ابن هشام نفسه أخطأ حينما استخلص قاعدة نحوية من بيت لم يعرف قائله. فإنّه من الممكن تخريج هذا البيت تخريجاً يتسقُ مع قواعد النحو فنسوقُ البيت أولاً على الوجه التالي:

لذا بقيسٍ حين يأبي غيرهُ تلفِهِ بحراً مفيضاً خيرُه

برفع (غيرُه) و(خيرُه) على أن تكون (غير) مرفوعة على أنها فاعل (يأبى) وأن تكون (خير) مرفوعة على أنها فاعل لاسم الفاعل (مفيضاً). والذي يجعل هذا التخريج مقبولاً ورود فاضَ وأفاض في اللغة بمعنى واحد. قال صاحب المصباح المنير: فاض السيل يفيض فيضاً كثر وسالَ من شفة الوادي وأفاض بالألف لغة. فليس من شرط دخول الهمزة على (فاض) أن تجعله متعدياً بل قد يكون لازماً ويكون متعدياً.

الشاهد رقم ٤٤١ وهو:

وما حرمتكِ حتى قلت معلنةً لا ناقة لي في هذا ولا جَمَلُ

أثبت المؤلف البيت على الوجه التالي:

وما حجرتُكِ حتى قلتِ معلنةً لا ناقة لي فيها ولا جَمَلُ

والعجيب أنه يحيل على كتاب سيبويه ج٢ ص٢٩٥، وبالعودة إلى هذا المصدر تبين أن البيت ثبت بالصورة التي نقلناها في أعلاه، وأنّ الإحالة ليست صحيحة.

الشاهد رقم ٤٤٦ وهو:

كـــأنّ دثـــاراً حلّقـــتْ بلبونِـــهِ	عقـــابُ تنـــوفى لاعقـــابُ القواعِـــلِ

أثبت المؤلف كلمة (تنوفى) بنقطتين على الياء. والصحيح أنها بألف مقصورة لا بياء. وقد تكون خطأ مطبعياً. وسواء عندنا أن يكون الخطأ من المؤلف أو من المطبعة فليسَ القصد هو الإدانة بل إظهار الخطأ والتنبيه عليه مهما كان سببه وعلته. إنّ النقد هو كشف وتوجيه لا اتهام وتجريم.

الشاهد رقم ٤٦٦ وهو:

تنـــتهض الرعـــدة فـــي ظُهْيـــري	مـــن لـــدن الظهيـــر إلـــى العُصَـــيْرِ

البيت بصورته الحالية مختل الوزن. وليس شرح ابن عقيل الذي أحال عليه المؤلف بين يدي الآن حتى أتمكن من معرفة الرواية الصحيحة للبيت. ولكنه لا يخرج عن أن يكون على إحدى الصورتين التالتيين:

الأولى:

تنتهض الرعدة في ظُهْيري	من لدن الظُهر إلى العُصَيّرِ

الثانية:

تنتهِضُ الرعدة في ظُهْيري	من لدن الظهير للعُصَيْرِ

الشاهد رقم ٥٢٦ وهو:

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقالِ.

سَقَط من البيت كلمة (له) فجاء مختلّ الوزن.

الشاهد رقم ٥٣٩ وهو:

ورجّ الفتى للخيرِ ما إن رأيته	على السنّ خيراً لا يزال يَزيدُ

ورد هذا الشاهد وقد سقطت منه كلمة (للخير) فجاء مختل الوزن.

الشاهد رقم ٦٦٥ وهو:

يا أبتا لا تزل عندنا	فإنا نخاف بأن تخترم

والبيت بهذا الشكل محزوم أي حذف منه أول الوتد المجموع بحيث انتقلت (فعلون) فيه إلى (عولن) وكان من الممكن أن يصحح كما يلي:

أيـــا أبتـــا لا تـــزل عنـــدنا	فإنـــا نخـــاف بـــأن تختـــرم

أي بوضع (أيا) بدل (يا).

وقد رجعت إلى ديوان الأعشى طبعة المكتبة الثقافية التي يظن أنها مأخوذة عن طبعة دار صادر فوجدت البيت كما يلي:

ويـــا أبتـــا لا تـــزل عنـــدنا	فإنـــا نخـــاف بـــأن تختَـــرمْ

القسم الثالث: ويدور حول عدد من المسائل النحوية والإعرابية التي أخطأ فيها المؤلف وجه الصواب. ولقد طالَ بنا السّيرُ وأضنانا السُّرى قبلَ أن نصل إلى هذا القسم. فلا بدَّ لنا إذن من أن نلجأ إلى الإيجاز والاختصار إذ لو أرخينا للقلم العنان لامتدَّ بنا المدى وطال بنا المجال وخرجنا عما يمكن أن تتحمّلهُ مجلة، فالأخطاء كثيرة ومجال الكلام متّسع. ولكننا سنكتفي بما لا غنى عنه إن شاء الله.

ورد (ص ٢٥) قوله في الحديث عن (أبتع): ولا بدَّ أن يسبقها ألفاظ التوكيد الأربع كل أجمع أكتع أبصع فنقول جاء الطلاب كلّهم أجمعون أكتعون أبصعون أبتعون. وجاءت القبيلة كلّها جمعاء كتعاء بصعاء بتعاء. ويتبادر إلى الذهن سؤالان:

الأول: من أينَ جاءَ صاحبنا بهذه القاعدة العجيبة الغريبة؟

الثاني: هل ورد في الكلام العربي شعره ونثره شيء من هذا القبيل؟

وإني أؤكد له أني بعدَ خبرة أكثر من ثلاثين عاماً من معاناة الكلام العربي لم تعثر عيني على شيء من مثله. فلماذا هذا الإعراب والتزيد بما لا قيمة له في النحو ولا موقع في الكلام.

ورد (ص٢٨) في حديثه عن (أتاح) قوله: فعل ماضٍ بنصب مفعولين يصل لأحدهما بنفسه وإلى الآخر باللام نحو: أتاحَ الله لي ظروفاً حسنة. ولنا على هذا الكلام اعتراضان:

الأول- ليست (أتاحَ) من أفعال القلوب ولا أفعال التحويل ولا الأفعال المتعدية التي تنصب مفعولين ليس أصلها مبتدأ وخبراً مثل أعطى ومنح وسأل. فهي إذن من جملة الأفعال التي تتعدّى إلى مفعول واحد وتتعدّى إلى ما بعدَه بحرف الجر. وهذا النمط من الأفعال علاقته باللغة أوثق من علاقته بالنحو. ولو رحنا نتتبع أمثال هذا الفعل لضاق بنا المجال وكنّا بحاجة إلى معجم، وهذا يعني أن لا داعي للتطرق إلى مثل هذا النوع من الأفعال في كتابة معاجم النحو ومراجعه.

الثاني- إن المجرور بالحرف ليس مفعولاً. وإنّ الأفعال التي تتعدّى بحرف الجر لا تسمّى متعدية. ولا يطلق النحاة اسم الأفعال المتعدية إلى مفعولين إلّا على الأفعال التي تتعدّى إلى مفعولين حقاً سواء كان

أصل هذين المفعولين مبتدأ وخبراً أو لم يكن أصلها مبتدأ وخبراً. أمّا الأفعال التي يعقبها مفعول به ثم جار ومجرور فلا تسمّى أفعالاً متعدية إلى مفعولين بل إلى مفعول واحد. والدليل على ذلك أن ابن هشام قد عدّ من ضمن الأمور التي لا يكون معها الفعل إلّا قاصراً أن يُضمَّنَ الفعل المتعدّى معنى فعل قاصر. وضرب على ذلك من الأمثلة قوله تعالى: "ولا تعدّ عيناك عنهم". وقوله: "فليحذر الذين يخالفون عن أمره" وقوله: "أذاعوا به" وقوله: "وأصلحْ لي في ذريتي" إلخ... فهذه الأفعال (تعدو) و(يخالفون) و(أذاعوا) و(أصلِحْ) متعدية في الأصل ولكنّها ضمنت كما يقول ابن هشام معنى تنبو ويخرجون، وتحدثوا، وبارك فاستخدمت استخدام الأفعال القاصرة على الرغم من أنها كلّها في الآيات متبعة بجار ومجرور. فإذا كان الفعل المتعدي الذي يتبعه جار ومجرور في رأي ابن هشام قاصراً أي لازماً فكيف الفعل القاصر في الأصل؟

ورد (ص٢٨) في حديثه عن (اثنان) قوله: وهي ليست بحاجة إلى تمييز كبقية الأعداد. وكان الصحيح أن يقول: وهي ليست بحاجة إلى معدود لأنّ التمييز لا ينبغي أن يطلق إلّا على ما كان منصوباً منها، إذ إنَّ من المعدودات ما يجيء منصوباً ومنها ما يجيء مجروراً. ومن المعروف أنَّ التمييز حكمه النصب وأنّ ما يحمل معنى التمييز وهو مجرور لا يسمّى تمييزاً. فلو أطلقنا على المعدود المجرور اسم التمييز لكنّا قد زدنا المجرورات واحداً هو التمييز. ونحن نعلم أنّ الاسم لا يجرُّ إلى في موضعين: المجرور بالحرف والمجرور بالإضافة، فمن أين

جاء هؤلاء بمجرور ثالث هو التمييز؟ ثم متى كان يجوز أن يكون للوظيفة الواحدة حكمان نصب وجر؛ كفى عبثاً أيّها العابثون؟

وَرَد (ص٣٠) في حديثه عن (أجمع) قوله: لا تستعمل مضافة ولا متصلة بضمير يربطها بالمؤكد. وبعد قليل يعارض نفسه فيجيء بها مضافة إلى ضمير فيقول: جاءَ القوم بأجمعهم. فقد أضافها إلى ضمير هنا، وهو استعمال فصيح لا غبار عليه، فكيف يزعم أنها لا تضاف إلى اسم أو ضمير. إنها حقاً لا تضافُ إلى اسم ولكنها تضاف إلى ضمير.

ورد في الصفحة نفسها في إعراب بأجمعهم قوله: وإعراب ما جاء منها في مثل ذلك بحركات مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد، وهذا التعبير غير مقبول للأسباب التالية:

أ- كان ينبغي أن يقول ويعرب ما جاء منها ... بدل وإعراب لأن الكلام بهذه الصيغة ناقص.

ب- ليس ثمة صراع بين حركة الحرف الأصيل وحركة الحرف الزائد حتى تمنع إحداهما الأخرى. ولو حصل هذا الصراع لكانت الغلبة لحركة الحرف الأصيل.

ج- ليس الموضع موضع تقدير حتى يمتنع ظهور شيء بسبب التعذر أو الثقل أو اشتغال المحل بحركة المناسبة.

د- ربّما ورد شيء من هذا القبيل في كتب النحو، ولكن ليس كل ما ورد في كتب النحو صحيحاً، فالنحاة منهم الحذّاق ومنهم المغفلون.

ولذلك كلّه كان الإعراب الصحيح في مثل هذه الحال أن نقول: مجرور لفظاً مرفوع محلّاً لا أكثر ولا أقل. وهذا الخطأ يتكرر في مواضع متعددة فلا ضرورة للعودة إليه بالتنبيه والتصحيح.

ورد (ص٣٢) قوله: أمّا أُخَر جمع أخرى أنثى آخِر بكسر الخاء بمعنى الأخير فهي مصروفة. وهذا كلام خاطئ لا مسوّغ لإيراده. إن أخرى لا تكون إلا مؤنث أُخر على وزن أفعلَ. أمّا آخِر على وزن فاعل فمؤنثه آخِرة. ولذلك لم يكن لهذا الكلام كله أي معنى.

ورد (ص٣٣) قوله: ومن خصائص (اخلولق) أنه فعل يأتي ناقصاً كالمثال المتقدم، وتاماً، شرط أن يليه أن والفعل المضارع، وأن يكون خالياً من الضمير وألا يلي الفعل الذي بعد أن اسم ظاهر يصح أن يكون مرفوع (اخلولق) نحو: اخلولق أن يهدأ.

ولم يصب المؤلف الهدف لا في شرحه ولا في مثاله. فالفعل في المثال المذكور – اخلولق أن يهدأ- ليس خالياً من الضمير بل لا يمكن أن يكون خالياً من الضمير، فليس ثمة فعل خال من الضمير إلا إذا كان فاعله اسماً ظاهراً، وإذ لم يكن الفاعل هنا اسماً ظاهراً فلا بدّ أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً. وهذا يخل بالقاعدة التي قررها المؤلف، والصحيح أنَّ هذا الفعل يمكن أن يعتبر تامّاً إذا وليه فعل مضارع منصوب بأن المصدرية وبعده فاعله الظاهر. نحو: اخلولق أن يهدأ

الموج. على أن يكون الموج فاعل يهدأ والمصدر المؤول فاعل اخلولق. كما يجوز أن يكون (الموج) اسم اخلولق والمصدر المؤول في محل نصب خبراً مقدماً لها. وينطبق هذا الكلام على ما ذكره بخصوص (أوشك) ص٩٦.

ورد (ص٣٧) في التمثيل على إذا الفجائية قوله: تأخرت في السهر فلما استيقظت فإذا الشمس. هذا مثال خاطئ على إذا الفجائية. وكان يكفي أن يقول: استيقظت فإذا الشمس، لأنّ إذا الواقعة في جواب الشرط غير إذا الفجائية. ويمكن أن تصاغ الجملة على الوجه التالي: تأخرت في السهر واستيقظت فإذا الشمس. ولكن الجمع بين لما الحينية وإذا الفجائية لا يتفق في هذه الجملة.

ورد (ص٤١) في حديثه عن أشياء قوله: ليست على وزن أفعال وإنما أصلها شيئاء على وزن فعلاء. وهذا الكلام خطأ من وجهين:

أحدهما– إن أشياء كما يزعم البصريون على وزن لفعاء لا على وزن فعلاء.

الآخر – إنّ الزعم بأنَّ أشياء على وزن لفعاء هو من قبيل الشعوذة والخرافات.

إنها على وزن أفعال دون شك كما قال الكوفيون. والسبب الصحيح في منعها من الصرف هو السماع عن العرب كما رأى المؤلف نفسه.

ورد (ص٤٤) في حديثه عن (أغرم) قوله: الاسم المرفوع بعدها يعرب فاعلاً وليس نائب فاعل ويبدو أنّ المؤلف أخذ عن واحد وترك كثيرين. إنّ الاسم الواقع بعد الفعل المبني للمجهول لا يمكن أن يكون إلّا نائب فاعل. وليس من المقبول

الزعم بأنَّ الفعل المبني للمجهول يليه فاعل مهما كان معناه حتى لو كان قائل ذلك سيبويه. أما قوله بأنَّ شبه الجملة تكون في محل رفع نائب فاعل فشيء عجيب لأنّ نائب الفاعل هنا هو الضمير المستتر لا شبه الجملة والتقدير أغرم هو بالشيء. والمثال الصحيح على مجيء نائب الفاعل شبه جملة قولنا: زيدُ طُمِعَ فيه. فالجار والمجرور هنا في محل رفع نائب فاعل. واعترافه بأنَّ هذه الأفعال المبنية للمجهول إذا تبعها جار ومجرور تكون شبه الجملة نائب فاعل لأنَّ الفاعل لا يكون شبه جملة، هذا الاعتراف المنقول عن النحاة طبعاً هو بذاته برهان على أنَّ الاسم الذي يعقب هذه الأفعال هو أيضاً نائب فاعل فلا يصح في فعل واحد أن يكون الاسم الذي يليه تارة فاعلاً وطوراً نائب فاعل أو بالأحرى لا يصح أن يأخذ الفعل الواحد مرة فاعلاً ومرة نائب فاعل. إنّ هذه النقطة بعينها هي التي تبيّن خطأ هذه المسألة وتكشف عوارها. ويلحق بأغرم كل الأفعال المبنية للمجهول التي أوردها المؤلف وأجرى عليها نفس الحكم، فلا ضرورة للعودة إليها مرة أخرى.

أورد في التمثيل على الاستثناء المنقطع (ص٥٤): قوله: أكلتُ السَمَكَ إلا عصفوراً.

فهل هذا مثال معقول؛ وإلّا فما علاقة السمك بالعصفور؟ إن الاستثناء المنقطع يحل حينما يكون ثمة صلة بين المستثنى والمستثنى منه، مثل قول الشاعر:

وبلدةٍ ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلّا العيش

وقد أشار المؤلف إلى هذه الصلة (ص٥٦)، وأنكر على أساس هذه العلاقة أن يقال: صهلت الخيل إلا الإبل. والسؤال الذي نرجو من المؤلف أن يجيبنا عليه هو: لماذا جاز عندَه: أكلت السمكَ إلا العصافير ولم يجز: صهلت الخيل إلا الإبل؟

هذا قليل من كثير مما يمكن أن يخوض فيه ناقد كتاب "المعجم الوافي في النحو العربي" للدكتور علي توفيق الحمد وزميله. غير أن المجال لا يتسع فلنثنِ عنان القلم راجينِ أن يوفقنا الله إلى الصواب ويسدد خطانا على درب النقد اللغوي الصحيح.

د. جميل علوش

ملاحظة حَول (عديد) بمعنى (معدود)

للسَيد توفيق أبو الرّب

يلاحظ المعنيُّ بالعربية الفصيحة هذه الأيام أن ثمة أسلوبين مُحدَثين شائعين في استعمال كلمة "عديد"، الأول: أن تستعمل الكلمة وقد دخلت "أل" عليها، وجاء الحرف "من" بعدها، نحو قول القائل: لقيتُ العديدَ من الأصدقاء في السوق. وفي هذا الأسلوب لا يتورع الكاتب أو القائل عن أن يحلّي بالألف واللام الاسم "عديد" في ابتدائه الكلام، أو في أثنائه دون مسوغ، على الرغم من أن "أل" العهدية "إمّا أن يشار بها إلى معهود ذهني أو ذكريّ، فالأول كقولك: جاء القاضي، إذا كان بينك وبين مخاطبك عهد في قاض خاص، والثاني كقوله تعالى: فيها مصباح المصباح..."[1].. و"عديد" في هذا الأسلوب يقصد بها "الكثير" كما هو واضح من الاستعمال!

..وأما الأسلوب الثاني فيلاحظ عليه أن كلمة "عديد" تأتي دائماً فيه نعتاً لاسم مذكور قبلها نحو قول القائل: لقيتُ أصدقاء عديدين في السوق.

ويلاحظ أنّ كلمة "عديد" تعني أيضاً "الكثير" وفق هذا الأسلوب. فهل كان القدماء يستعملون كلمة "عديد" استعمال المحدثين؟؟

***

قبل أكثر من سنة قدّر لي أن أحضر مناقشة أطروحة أدبية في جامعة اليرموك، وقد لفت نظري ذلك اليوم أن الحضور كثار وقد أرجعت ذلك- بيني وبين نفسي- إلى أن أحد المناقشين في اللجنة هو أستاذ عراقي مشهور، فقد كان

---

(١) ابن هشام، شذور الذهب، ص١٤٩، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية – القاهرة – ١٩٦٥.

هو الدكتور أحمد مطلوب الذي لم يتوانَ عن أن يتجشم مشقة الحضور من القطر العراقي الشقيق؛ ليناقش رسالة جامعية تدور حول كتاب "التشبيهات" لابن أبي عون، وفي أثناء مناقشته الطالب، كان مما أخذه عليه أنه استعمل كلمة "عديد" نعتاً بمعنى "كثير"، وكان رأيه أن كلمة "عديد" تعني العدد فقط، ولا تأتي بمعنى "كثير"، واستشهد على ذلك بقول السموأل:

"تعيّرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها: إن الكرام قليلُ"

وهذا الذي ذهب إليه الدكتور مطلوب هو حق، وهو واضح، من تأمل البيت المذكور، ولكنه ليس الشاهد الوحيد، فثمة شاهد آخر، يتردد في كتبنا النحوية القديمة، لاحظت أنه يتضمن كلمة "عديد" بمعنى "عدد"، وهذا الشاهد هو قول الشاعر:

"عـــددت قـــومي كعديـــد الطـــيِّس

إذ ذهـــــب القـــــوم الكـــــرام ليســـــي"

وقد استشهد ابن هشام الأنصاري بالبيت في "مغني اللبيب" على أن الراجز استعمل الفعل الجامد "ليسي" دون أن يأتي قبل ياء المتكلم بنون الوقاية! وقد علق على البيت الذي لم يسمّ صاحبه بقوله: "وأما قوله عددت قومي... إلخ فضرورة"[1] مما يدل على أن صاحبه ممن يحتج بهم من الناحية اللغوية، وليس من المحدثين أو المولدين. وقد استشهد به ابن هشام أيضاً في أوضحه، فنسب شارح كتابه محمد محيى الدين عبدالحميد البيت لرؤبة بن العجاج، ثم شرح كلمة

---

(١) مغني اللبيب، ج٢، ص٣٤٤، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. مطبعة المدني، القاهرة، (دون تاريخ).

"عديد" في البيت بقوله: "العديد كالعدد، يقال: هؤلاء قوم عديد الثرى، والمعنى أنهم عدد الثرى"[1].

وحتى المولدون من الشعراء فقد استعملوا كلمة "عديد" استعمال القدماء، أي بمعنى "عدد"، نحو قول ابن هانئ الأندلسي يصف أسطول المعز لدين الله الفاطمي:

"أمـــا والجـــواري المنشـــآت التـــي ســـرت

لقـــــد ظاهرتهـــــا عـــــدة وعديـــــد"

ولذلك كله فليس بغريب أن نجد المعنيين بفصاحة الاستعمال اللغوي من المحدثين ينبهون إلى أن استعمال كلمة "عديد" بمعنى "كثير" هو من الأغلاط اللغوية الشائعة، حتى اضطر واضعو منهاج اللغة العربية للمرحلة الإعدادية مثلاً إلى التنبيه إلى هذا الخطأ على حاشية إحدى المقطوعات المقرّرة، حيث لم يتورع الكاتب عن استعمال "عديد" نعتاً بمعنى "كثير"[2].

أجل: إن كلمة "عديد" تعني "العدد"، ونحن نسلم بذلك! ولكن: هل صحيح أنّ كلمتي "عديد" و"عدد" لا تتضمنان معنى "الكثرة"؟! إننا دون شك يمكن أن نلمح منهما معنى الكثرة من خلال استعمالها: فنحن حين نقول مثلاً: كانت قبيلة تميم ذات عدد في الجاهلية وفي صدر الإسلام، فإننا نقصد "بذات عدد" أنها كثيرة العدد، ونحو ذلك قول الشاعر القديم:

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ص٧٨، ج١، ط٥ دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٦٦.

(٢) انظر منهاج اللغة العربية للصف الأول الإعدادي: ص٥١.

لكـــــنّ قـــــومي وإن كـــــانوا ذوي عـــــدد

ليســـوا مـــن الشـــرِّ فـــي شـــيء وإن هانـــا

فقد قصد: وإن كانوا كثاراً.

ومثل ذلك كلمة "عديد" فعندما يقول الراجز:

"عددتُ قومي كعديد الطيس"

فقد قصد أنهم كثار.. ولذلك نجد محمد محيي الدين عبدالحميد قد شرح البيت بقوله: "المعنى أنهم عدد الثرى، والمراد كثرتهم، وأنهم فوق العد، قال قوم: كل من على ظهر الأرض من الأنام فهو الطيس، وقال بعضهم: بل هو كل خلق كثير النسل نحو النمل والذباب والهوام، وقال قوم: الطيس هو الكثير من الرمل"(١)، أجل إن كلمة "عدد" أو "عديد" تفيد الكثرة وتوحي بذلك، فلا داعي إذن إلى القول: إن كلمة "عديد" لا تعني "الكثير"، وليس هذا في رأيي هو وجه الاعتراض الحق على استعمالَيْ المحدثين للكلمة: ذلك أن ثمة اعتراضين آخرين يمكن أن نوجههما: أما الاعتراض الأول فينصب على الأسلوب الأول في استعمال "عديد" وهو التعسف في إدخال "أل" العهدية عليها دون مسوغ، كأن يبتدئ الكاتب كلامه بالقول: في رحلتي إلى أوروبا قابلت العديد من الأصدقاء، وحق العربية عليه أن يقول: قابلت عديداً من الأصدقاء، ولو قال ذلك لجاز دون اعتراض؛ لأنه يجوز أن نبتدئ فنقول: قابلت عدداً من الأصدقاء، وإذن فالاعتراض هو التعسف في استعمال "أل" العهدية" مع الاسم "عديد" دون مسوغ، أو دون أن نشير بها إلى معهود ذكريّ أو ذهني.

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك – ج١، ص٧٨.

وأما الاعتراض الثاني فيتعلق بالأسلوب الثاني من استعمال كلمة "عديد"، وهو أن تأتي نعتاً لاسم مذكور قبلها وهي تعني "الكثير"؛ فقد قرأت في العدد السابع والعشرين من جملة مجلة اللغة العربية الأردني مقالة قيمة للدكتور عدنان الخطيب أوجز فيها "وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخمسين ١٩٨٤"[١] وكان مما جاء فيها أن المؤتمر قبل قراراً حول عشر كلمات في اللغة وردت على صيغة "فعيل" وهي تعني "مفعول" ومنها كلمة عديد، والذي سوغ ذلك أن كلمة "عديد" قد استعملت نعتاً "في مقدمة اللسان والمخصص.. ص ١٧٠". والحق أنه لا اعتراض لنا على قرار المجمع لسببين اثنين:

الأول: لأن وزن فعيل من الأوزان التي تنوب عن مفعول نحو جريح بمعنى مجروح وكحيل بمعنى مكحول... إلخ.

"وأمثال هذه الصيغ في اللغة كثيرة جداً حتى قال بعض العلماء: إن اشتقاق "فعيل" بمعنى مفعول من الثلاثي قياسي، غير أن أكثر العلماء قالوا: إنه سماعي لا قياسي"[٢].

والسبب الثاني: لأن كلمة "عدد" التي بمعناها "عديد"- كما رأينا – تعني أيضاً كلمة "معدودة" ولذلك نجد ابن هشام يقول في شذور الذهب: "العدد في أصل اللغة اسم للشيء المعدود، كالقبض والنقض والخبط بمعنى المقبوض والمنقوض والمخبوط، بدليل قوله تعالى: "كم لبثتم في الأرض عدد سنين" والمراد به هنا الألفاظ التي تعد بها الأشياء"[٣].

---

(١) ص٤٥.

(٢) د. عبدالعزيز عتيق، المدخل إلى علم النحو والصرف، ص٨٩، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٦٧.

(٣) شذور الذهب، ص٤٥٧، ط١٠، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

وإذا كان مجمع القاهرة قد أقر أن تأتي كلمة "عديد" بمعنى "معدود"، فمعنى ذلك أنه يجوز أن ينعت بها الاسم، كما يجوز النعت بكلمة "معدودة"، فنقول: بقي معي دنانير عديدة مثلما نقول: بقي معي دنانير معدودة... ولكن لنا مع ذلك أن نلحظ أن ثمة فرقاً دلالياً بين النعتين، فنحن إذ نقول: بقي معنا دنانير معدودة، فإنما نعني في الغالب "دنانير قليلة" ربما تعد على أصابع اليد، هذا ما يمكن أن يفهمه القارئ أو السامع، فكلمة "معدود" إذا جاءت نعتاً فإنها تعني في الغالب القلة، ولعل الذي حدد هذا المعنى الدلالي لها هو قوله تعالى: "وشروه بثمن بخس دراهم معدودة"[1]، فالثمن كما رأينا بخس، وهو دراهم معدودة أي قليلة، ولكننا حين نقول: بقي معنا دنانير عديدة، فإن القارئ أو السامع يفهم في الغالب أن الدنانير كثيرة، وهو المعنى الشائع للكلمة كما رأينا – ومعنى ذلك أن مجمع القاهرة لم يحل المشكلة اللغوية القائمة حول استعمال كلمة "عديد" حلاً جذرياً، وأنه لم يزل فيها ما يمكن أن يقال.

---

(١) سورة يوسف آية ٢٠.

رابعاً: أخبَار مجمعيّة

التقـرير الصـَادر
عَن مؤتمر التعريب الخَامس

– بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومشاركة مجمع اللغة العربية الأردني، عقد مؤتمر التعريب الخامس اجتماعاته في عمان (المملكة الأردنية الهاشمية) في الفترة من ٧–١١ محرم ١٤٠٦هـ الموافق ٢١–٢٥ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٥م.

وقد تفضل صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين برعاية المؤتمر، وتفضل مجمع اللغة العربية الأردني، كريماً، باستضافته.

– افتتح المؤتمر في مقر مجمع اللغة العربية الأردني في الساعة الحادية عشرة من صباح السبت ٧ محرم الموافق ٢١ أيلول/ سبتمبر، وحضره مندوب صاحب الجلالة الملك الحسين، وبعض أعضاء الحكومة الأردنية، والسفراء العرب، وكبار الشخصيات الرسمية والجامعية، وأعضاء مجمع اللغة العربية الأردني، واتحاد الجامعات العربية، وعدد كبير من رجال الثقافة والإعلام.

وبعد تلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم، ألقى السيد الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني كلمة جاء فيها:

"إن آمالنا كبيرة، وإن مستقبل أمتنا لمشرق بإذن الله، وإنني من على هذا المنبر في مؤتمر العربية والعروبة، أقدّم خالص الشكر لصاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم على تفضله برعاية هذا المؤتمر، وأرحب بعلماء أمتنا العربية من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، الذائدين عن حياض لغة القرآن: لغة العروبة والإسلام، في وطنهم الأردن المجاهد، وفي مجمعهم: مجمع اللغة العربية الأردني، متمنياً لهم التوفيق والنجاح وطيب الإقامة".

ثم ألقى السيد الدكتور محيى الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كلمة استهلها بالتحية، وقال فيها:

"إن مؤتمرات التعريب الدورية وسيلة منهجية من وسائل عمل مكتب تنسيق التعريب لتوحيد المصطلحات العلمية، في اختيار المقابل العربي الأدق والأوفق، ذلك أن مشكلة المصطلح العلمي الأجنبي ليس في تعريبه، ولكن في توحيده؛ فالمصطلح الأجنبي الواحد يترجم إلى العربية بكلمات مختلفة، لاتساع اللغة العربية، من ناحية، ولترك الأمر للاجتهاد الشخصي، من ناحية أخرى. ومن هنا قامت الحاجة لتوحيد المصطلح العربي حتى تنشأ لغة علمية موحّدة، يكون لكلّ مفهوم علمي محدّد فيها كلمة واحدة، وهذا الأمر على جانب كبير من الأهمية؛ ذلك أنه يعمل على تأصيل حقيقتين أساسيتين: إحداهما قومية وهي تأكيد الوحدة الفكرية، والأخرى حضارية وهي اقتحام المعاصرة التكنولوجية".

ثم افتتح مندوب جلالة الملك، معالي وزير التعليم العالي الأستاذ ناصر الدين الأسد المؤتمر بكلمة استهلها بقوله:

"إن هذا البلد الذي ورث رسالة الثورة العربية الكبرى، وإن ملكه العربي الهاشمي، الذي ورث رسالة جدّه الكبير الحسين بن علي، إنما ورثا – فيما ورثاه– حماية اللغة العربية، وإعلاء شأنها وتوطيد مكانتها؛ فهي لغة الإسلام ولغة العرب؛ بغيرها لا استمرار لهما ولا بقاء، وتحية الحسين لكم، وترحيبه بكم، وفرحته بهذا اللقاء في مجمعكم الأردني للغة العربية، وفي بلدكم الأردن، إنما هو على أساس من رسالة يؤمن بها، وليس مجرد كلام يقال في مناسبات عابرة".

(الكلمات الثلاث تلي التقرير)

وبعد استراحة قصيرة عقد المؤتمر جلسة إجرائية برئاسة الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الذي

اقترح أن يرأس المؤتمر الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، فرحب المؤتمر بذلك بالإجماع. ثم طلب الرئيس أن ينتخب نائبي رئيس ومقرراً عاماً، فانتخب السيد الدكتور راشد عبدالعزيز المبارك والدكتور حمزة الكتّاني نائبين للرئيس والأستاذ أديب اللجمي مقرراً عاماً والدكتور مصطفى حداد مقرراً عاماً مساعداً.

ثم أقر المؤتمر جدول أعماله.

وشكل المؤتمر تسع لجان متخصصة تتولى دراسة مشروعات المعاجم المعروضة عليه وحدد السيد رئيس المؤتمر مهامها بما يلي:

دراسة الملاحظات والاقتراحات التي حملتها الوفود من بلادها أو التي أرسلت إلى المؤتمر والاتفاق على ما اختلف فيه بشأنها.

اختيار مفردة واحدة لكل مصطلح أجنبي.

وفي جلسة العمل الأولى انتخبت كل لجنة متخصصة رئيساً ومقرراً لها (والأسماء مثبتة في ملحق التقرير).

وفي يوم الأحد استقبل سمو الأمير حسن ولي العهد، نائب جلالة الملك رؤساء الوفود المشاركة ورئيس المؤتمر والمدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وأكد سموه في هذا اللقاء اهتمام الأردن ملكاً وحكومةً ومؤسسات بدعم مشروعات التعريب وتمكين اللغة العربية من تبوّؤ المكانة العلمية والعالمية التي هي أهل لها.

ثم واصلت اللجان المتخصصة أعمالها في اليومين الثاني والثالث من أيام المؤتمر وخصص اليوم الرابع لبحوث المؤتمر الثلاثة وهي:

قضايا التعريب، **المشكلات** والحلول للأستاذ الدكتور جميل ملائكة.

تعريب العلوم الطبية للأستاذ الدكتور حسني سبح.

نحو نظام للرموز العلمية للأستاذ الدكتور أحمد سعيدان.

وأعقبت كل بحثٍ مناقشةٌ عامة شارك فيها أعضاء المؤتمر، وتميزت بالتعمق، والموضوعية والحرصِ على دعم مسيرة التعريب، وضمانِ نجاحها، وكان السيد رئيس المؤتمر قد تلا في بداية الجلسة الرسالة التي وجهها إلى المؤتمر السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة وفيها يرجو للمؤتمر النجاح (نص الرسالة مع الملاحق).

وفي مساء اليوم الرابع اجتمعت الهيئة العامة للمؤتمر واستمعت إلى تقارير اللجان التسع وأقرت ما جاء فيها (التقارير مع الملاحق).

وفي صبيحة اليوم الخامس عقد المؤتمر جلسته الختامية وأقر فيها التقرير النهائي لنتائج أعماله.

ثم ألقى رئيس المؤتمر كلمة شكر فيها الوفود المشاركة لما قدمته من عمل جاد، وأشار إلى أهمية النتائج التي تمخض عنها المؤتمر خدمة للأمة العربية. ثم ألقى الأستاذ الدكتور راشد عبدالعزيز المبارك كلمة باسم الوفود هنأ فيها الرئيس والمؤتمرين على ما تم إنجازه.

ثم أعلن الرئيس اختتام المؤتمر.

وفيما يلي توصيات المؤتمر الخامس للتعريب:

إن مؤتمر التعريب الخامس المنعقد في رحاب مجمع اللغة العربية الأردني، بعد أن درس الموضوعات المعروضة عليه والمتمثلة بصفة خاصة بسبعة مشروعات معاجم أعدها مكتب تنسيق التعريب، وثلاثة مشروعات معاجم أخرى أعدتها منظمات عربية متخصصة؛ انتهى إلى مجموعة من التوصيات العامة

إضافة إلى التوصيات الخاصة بكل مشروع من مشروعات المعاجم المذكورة نثبتها فيما يلي:

توصيات المؤتمر الخامس للتعريب

يؤكد المؤتمر ما سبق أن أقره من توصيات خاصة بالمبادئ التي يرتكز عليها التعريب في الوطن العربي ومن أهمها:

١- أن اللغة العربية مقومٌ رئيسي من مقومات وجود الأمة العربية. وكلّ ضعف، أو إضعاف يصيب اللغة هو خطر يتهدد الكيان العربي ووجوده.

٢- أن تأصيل العلوم لا يكون إلا بلغتها، ولذلك فإن لحاق الوطن العربي بالحضارة العالمية المعاصرة، ومواكبته لها، ومشاركته فيها، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغةً للتدريس في جميع مراحل التعليم وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة المناسبة لذلك.

٣- أن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة تعليمية دون مرحلة، إنما يجب أن يساير مراحل التعليم كلّها، منذ بدايتها وحتى المراحل العليا من البحث العلمي، بحيث يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد على تطويعها وتطويرها.

٤- أن اللغة العربية قد دللت في مختلف مراحل تاريخها المديد وبحكم خصائصها أنها لغة حضارة ذات أبعاد إنسانية وعالمية، وهي بهذا قادرة كلياً على أن تكون لغة العلم الحديث تدريساً وتأليفاً وبحثاً وتوليداً للمصطلح.

٥- أن ما يهدف إليه التعريب هو بالدرجة الأولى توحيد المصطلح العلمي، وتطبيق هذا المصطلح، واستعماله، وتداوله في كلّ مجالات حياتنا أداءً وإبلاغاً.

٦- ويعرب المؤتمرون عن ارتياحهم للتقدم الفعلي الذي حققه التعريب حتى الآن في الوطن العربي، وهم إذ يقدرون ما أسهم به العلماء والاختصاصيون العرب وما قدموا من جهود كبيرة في تعريب فروع كثيرة من فروع المعرفة والعلم فإنهم يؤكدون مرة أخرى على أن جهودهم لا تؤتي ثمراتها كاملة إذا لم تتخذ الأمة العربية قرارها، ومن أعلى مستويات المسؤولية، بإلزام تداول واستعمال هذه المصطلحات على صعيد الوطن العربي كله، وفي الوقت نفسه بإلزام مؤسسات التعليم العربية كلها بأن يكون التعليم فيها تأليفاً وتدريساً، وبحثاً باللغة العربية.

٧- **في منهجية التعريب**

يوصي المؤتمر باتباع منهجية للعمل في مشروعات تعريب المصطلحات؛ وتتناول هذه المنهجية مراحل العمل جميعاً في **الإعداد، والدراسة، والإقرار.**

أ- في الإعداد

من المناسب إجراء عمل أولي منظم يتناول **استقصاء** المصطلحات القديمة وجمع **المصطلحات الحديثة.**

أما استقصاء المصطلحات القديمة فيكون من مظانها كالكتب المتخصصة والمعاجم والكتب الأخرى التي قد تستخدم هذه المصطلحات، ومن المفيد ترتيب هذه المظان ترتيباً تاريخياً وحصرها وجرد ما فيها وتقديمها على أنه جزء من الموروث العربي الإسلامي؛

وأن هذا العمل يساعد على إحياء المصطلحات العلمية المبثوثة في كتب التراث العلمي العربي وربطها بالتعبير العلمي المعاصر محلياً وعالمياً.

وفي مجال جمع المصطلحات الحديثة، يكون ذلك بجمع المصطلحات التي أقرتها المجامع، أو استعملتها الجامعات ومعاهد التعليم العالي، أو تواضعت عليها الهيئات العلمية، أو جاءت بها المعاجم الجديدة، أو استخدمتها وسائل الاتصال والإعلام الحديثة، ومن الخير الإفادة من الوسائل التقنية الحديثة من أجل إنجاز هذا العمل في الفهرسة والاسترجاع.

ب- في الدراسة:

إن دراسة المصطلحات يجب أن تتدرج وفق نظام مراحل: ففي المرحلة الأولى يكون الجمع والاستقراء والاستقصاء، ثم تأتي مرحلة إيكال التعريب إلى اختصاصيين، أو لجان فنية، تشارك فيها الأقطار العربية، ثم تأتي مرحلة تنظيم الندوات المتخصصة للتمحيص والدراسة، والتحقق من مطابقة المفهوم العربي للمفهوم الأجنبي، واختيار مقابل عربي واحد للمصطلح الأجنبي ما أمكن ذلك.

ج- في الإقرار

وهنا تأتي مرحلة المؤتمرات ولجانها المتخصصة؛ إذ تتم فيها مراجعة ما أنجز من عمل في هذا الميدان استناداً إلى الأصول والقواعد التي ينبغي توافرها في المصطلح العربي: السلامة في اللغة، والسهولة في الأداء، والوضوح في الفكرة، والدقة في التعبير.

وإذ إن مؤتمرات التعريب تضم نخبة من الأخصائيين الذين يمثلون الدول العربية، والمجامع العربية، والاتحادات والمنظمات العربية المعنية، وعدداً من كبار العلماء الذين يمارسون التعريب، ويعملون في مجالاته، فإن قرارات هذه المؤتمرات بقبول المصطلحات التي عرضت عليها ضمان لقيمة تداولها واستعمالها.

ولكي تحقق هذه المؤتمرات ما تهدف إليه، فإن المؤتمر الخامس يوصي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب تنسيق التعريب التابع لها، بأن يكون الإعداد للمؤتمر دقيقاً منظماً وافياً، وأن يشرع بهذا الإعداد قبل وقت كاف، وعلى أن ترسل وثائق المؤتمر إلى الجهات المدعوة للمشاركة فيه قبل سنة على الأقل من موعد انعقاده، وبذلك تكون أمامها فترة مناسبة لدراستها والتعمق بها وتسجيل الملاحظات والاقتراحات بشأنها. ومثل هذا يُيَسِّر للمؤتمر إنجاز مهمته على الوجه الأفضل في الأيام القليلة المخصصة له.

٨- يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (مكتب تنسق التعريب) بطباعة بحوث المؤتمر الثلاثة مع المناقشات التي صاحبتها.

٩- وأن المؤتمر إذ يشيد بما تبذله المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وعلى رأسها مديرها العام الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر من جهود دؤوبة صادقة في مجال التعريب يأمل أن تزيد المنظمة من جهودها في هذا المجال وأن تتمكن من طبع جميع المعاجم التي أقرتها مؤتمرات التعريب، ووضعها في التداول على أوسع نطاق، وفي أقرب وقت ممكن.

كما يبارك المؤتمر الأعمال التي أنجزها مكتب تنسيق التعريب والتي ساعدت على تدعيم تعريب العلوم في مراحل التعليم العام.

١٠- كما يشيد المؤتمر بالجهود التي بذلتها المنظمات والهيئات العربية في حصر المصطلحات الخاصة بها، وتعريبها، وإخراجها، ووضعها موضع التداول، آملاً أن يكون ذلك حافزاً لها للاستمرار في جهودها، وباعثاً للمنظمات، والهيئات العربية الأخرى المتخصصة للقيام بعمل مماثل.

١١- كما أقر المؤتمر التوصيات التي جاءت بها اللجان المتخصصة التسع التي درست كلّ منها مشروعات المعاجم الموكلة إليها (وهي مرفوقة بهذا التقرير).

١٢- ويعرب المؤتمر في ختام أعماله عن حرصه على تقديم أعمق الشكر والإكبار لصاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم لتفضله برعاية المؤتمر.

كما يعرب المؤتمر عن صادق مشاعره بالشكر والعرفان للمملكة الأردنية الهاشمية حكومة وشعباً وبخاصة لمجمع اللغة العربية الأردني لما أحيط به من كريم الضيافة وحميم الاستقبال.

كما يبعث المؤتمر بتحية مودة وتقدير عميقين إلى السيد الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس المؤتمر، لحكمته وحسن إدارته.

ويحرص المؤتمر على أن ينوه بالجهود المشكورة التي بذلها المشرفون على تنظيم المؤتمر وجميع الذين أسهموا في إعداد وثائقه وتيسير أعماله.

والله ولي التوفيق.

كلمَة الدكتور عَبدالكريم خليفة
رئيس مَجمع اللغة العربية الأردني
السَبت في ١٩٨٥/٩/٢١

معالي وزير التعليم العالي، مندوب جلالة الملك المعظم

معالي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

أيها العلماء الضيوف

أيها الأخوة الزملاء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فإنه لشرف كبير أن أقف في مؤتمر العروبة الحقة، الصافية صفاء هذه اللغة الشريفة، والصادقة العزم على تحقيق وحدتها تحت راية لغة القرآن، كي أتقدم باسم مجمع اللغة العربية الأردني بالشكر العميق لصاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين، على رعايته لهذا المؤتمر العتيد. وإن هذه الرعاية السامية للغة العروبة والإسلام لتعبر أجمل تعبير عن فكر أحرار العرب وآمالهم من الرعيل الأول الذين شاركوا في بناء الدولة الحديثة في شرقي الأردن، وأرسوا فلسفة وجودها وصدق انتمائها لأمتنا العربية والإسلامية.

وكانت اللغة العربية والعناية بها وجعلها منذ البداية لغة جميع دوائر الدولة ولغة التعليم، بمراحله الابتدائية والثانوية إذ ذاك، تكوّن معْلماً أساسياً في هوية هذه الدولة الناشئة. ومن هنا جاءت فكرة إنشاء مجمع اللغة العربية، منذ السنوات الأولى من تأسيس إمارة شرقي الأردن. فقد نشرت مجلة المجمع العلمي العربي

بدمشق في كانون الثاني سنة ١٩٢٤، في الجزء الأول من المجلد الرابع على صفحتها السادسة والأربعين (٤٦) تحت عنوان: "مجمع علمي في شرق الأردن" ما نصه:

"جاءتنا نشرة مآلها أن سمو الأمير عبدالله أصدر أمره بتأسيس مجمع علمي في عمان عاصمة شرق الأردن العربي، وانتخب رئيساً له سماحة رصيفنا الشيخ سعيد الكرمي وكيل الشؤون الشرعية. وأما أعضاؤه فهم العلماء رضا توفيق بك الفيلسوف التركي المشهور والشيخ مصطفى الغلاييني ورصيفنا رشيد بك بقدونس ومحمد بك الشريقي مدير جريدة (الشرق العربي) المنشأة في تلك البقعة منذ زمن قريب. وعلمنا أنه انتخب أعضاء شرف له العلماء الرصفاء أحمد زكي باشا ورئيس مجمعنا السيد محمد كرد علي والشيخ عباس الأزهري والأب انستاس الكرملي والسيد إسعاف النشاشيبي. وفي تلك النشرة أن المجمع سيعني بإحياء اللغة العربية ونشر المدارس وإلقاء المحاضرات وإنشاء دار كتب وإصدار مجلة شهرية. فنرحب بهذا الرصيف الجديد.

وإن طبيعة تكوين هذا المجمع لأصدق شرح للمبادئ الأساسية التي قامت عليها الدولة الأردنية في هذا الجزء الغالي من الوطن العربي. فكان أعضاء هذا المجمع نخبة من أعلام الفكر العربي الذين قضوا حياتهم في خدمة لغة القرآن والذود عن حياضها. رحمهم الله جميعاً وجزاهم خير الجزاء. ولكن شاءت الظروف القاسية أن لا يستمر هذا المجمع وبقيت العربية لغة جميع دوائر الدولة ومؤسسات

التعليم، تكّون إحدى المسلمات الأساسية في سياسة المغفور له الملك عبدالله بن الحسين، على الرغم من ظروف الانتداب ودسائس الاستعمار.

وفي أوائل الستينات، عندما بدأت شمس الحرية والاستقلال تبزغ من جديد على أجزاء غالية من وطننا العربي في الشمال الإفريقي، بدأت شعوبها على النّو معركة استرداد لغتها القومية، لغة العروبة والإسلام، لغة القرآن الكريم الذي كان العامل الأساسي في بقائها، وانتصارها في صراع مرير مع عدو غاشم دام أكثر من قرن من الزمان.

واستجابة لهذه المرحلة التاريخية في حياة أمتنا في المغرب العربي وفي شرقه أيضاً، عقدت الإدارة الثقافية في الجامعة العربية، وهي النواة التي انبثقت عنها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أقول عقدت الإدارة الثقافية مؤتمر التعريب الأول في مدينة الرباط في شهر نيسان سنة ١٩٦١م. واستجابة لإحدى توصيات هذا المؤتمر التاريخي، تأسست اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر واستمرت هذه اللجنة في عملها ومشاركتها المتواضعة حتى نهاية أيلول سنة ١٩٧٦، حينما بدأ مجمع اللغة العربية الأردني يمارس مهامه ويطور عمله في خدمة لغتنا العربية.

ومنذ البداية، انضم مجمع اللغة العربية الأردني إلى اتحاد المجامع اللغوية العربية، الذي رحب بالشقيق الجديد أجمل ترحيب، ونحن إذ نعتز باتحاد مجامعنا اللغوية، لنرجو أن يصبح في المستقبل القريب – إن شاء الله – مجمعاً واحداً، للغة واحدة، تمده أقطار العروبة بروافدها الخصبة، كي تصبح لغتنا العربية قادرة

على استيعاب جميع العلوم والفنون في هذا العصر. فإن أواخر القرن العشرين يشهد تفجر المعرفة العلمية وازدياداً هائلاً في نموها المتسارع، بل وربما لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن عالمنا الحديث يقف على أعتاب فجر حضارة جديدة.

فاللغة من حيث المبدأ ليست أداة للتفاهم فحسب، ولكنها الأداة التي تمازج من حيث طبيعتها حياة الإنسان الفكرية والحسية والعاطفية، فيعبر بها عن أفكاره وأحاسيسه ومشاعره. وهي التي تطبع هذه الآداب بطابعها المميز وتحدد هويتها، سواء أكان ذلك ناتجاً عن دلالات الألفاظ وبنية التراكيب والجمل أم كان ناتجاً عن الأسلوب والمنهج والدقة في التعبير والوضوح. فاللغة متصلة بالفكر، اتصالاً عضوياً. فلا تفكير بدون لغة. فالإنسان، لا محالة يفكر باللغة من خلال ألفاظها وتراكيبها وأساليبها. ومن هنا نلاحظ الغرابة والتناقض عند هؤلاء الذين يفكرون بلغة مثلاً ويعبرون عنها بلغة أخرى. وإن وضوح الفكرة في ذهن الكاتب وسلامة تفكيره يجعله أكثر قدرة على وضوح التعبير ودقة الإفهام.

وقد أدركت المجامع اللغوية العربية، وأدرك علماؤنا في شتى ميادين المعرفة الذين يحرصون على تراث أمتهم ولغتهم وعلى نهوضها وتقدمها، أن لا تحرر من التبعية الفكرية والسياسية، ولا إبداع في مضمار العلوم الحديثة، إلا بأن تسترد اللغة العربية سيادتها في أوطانها. وأن تعود – كما كانت في عصورها الزاهرة– لغة العلوم والفنون والفكر، تدريساً وبحثاً وممارسة. فاللغة هي الأمة، والأمة هي اللغة، وإن التفريط بلغة الأمة تفريط بهويتها وجوهرها.

فأنجز شيوخ العربية وعلماؤنا الأفذاذ أعمالاً مجيدة في مجامع اللغة الخالدة – فالعربية خالدة بخلود القرآن الكريم– أقول في المجامع وفي الجامعات والمؤسسات العلمية في دمشق والقاهرة وبغداد. فوضعوا عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية الحديثة، ونقلوا إلى العربية كثيراً من أمهات المصادر الأجنبية، ولكنها في كثير من الأحيان، كانت توضع على الرفوف، وتكدّس في مستودعات الكتب، لا تجد طريقها إلى الاستعمال. والاستعمال هو الذي يوفّر للغة حياتها.

وقد رأى مجمع اللغة العربية الأردني ومن خلال إمكاناته المادية المحدودة، أن يخرج من حيز المناقشات والمناظرات حول قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم والمعارف الحديثة، إلى المجال العملي، فأسهم بصورة عملية ومن خلال إمكاناته المتواضعة في تعريب العلوم. فاستطاع حتى الآن أن يترجم إلى العربية حوالي خمسة عشر مصدراً من أمهات المصادر في الفيزياء والكيمياء والأحياء والجيولوجيا والرياضيات التي تدرس في الجامعات. وحرص المجمع على الاستفادة من المصطلحات العلمية التي أنجزتها المجامع اللغوية ومؤتمرات التعريب، وعلى أن ينتهي كل كتاب بثبت بالمصطلحات العلمية التي استخدمت فيه مع وضع مقابلاتها باللغة الإنجليزية.

وربما كان من المفيد أن أشير هنا إلى أن المجمع واجه قضية مهمة في حملته لتعريب العلوم في التعليم الجامعي. فقد اضطر أن يستعمل الرموز الأجنبية في الكيمياء والفيزياء بخاصة، وفي ذلك تناقض مع جوهر التعريب. فالرموز

الأجنبية من حيث المبدأ لها إيحاءاتها الخاصة في لغتها الأم، ولكنها رموز صماء لا توحي بشيء بالنسبة للغة العربية، ولكي نبسِّط الأمور وهي أعقد من ذلك بكثير نقول: إن استعمال حرف (N) باللغة الإنجليزية رمزاً لكلمة (Number) مثلاً له إيحاءاته الدالة على المعنى باللغة الإنجليزية، ولكننا عندما نستعمله أي الحرف (N) كي يرمز باللغة العربية إلى كلمة "العدد" فالصلة مقطوعة تماماً. وكذلك مثلاً يستعمل حرف (S) باللغة الإنجليزية كي يدل على (Safer) وهو في حد ذاته كما نلاحظ يوحي بالمدلول (Safer) في لغته الأم. ولكن عندما نستعمل في الكتب المترجمة إلى العربية حرف (S) كي يرمز إلى الكبريت.. فالصلة مقطوعة تماماً. فضلاً عن تناقض اختلاف الحروف واختلاف الاتجاه من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين ومن الانتقال المفاجئ من لغة إلى لغة. وأمام قضية الرموز العلمية ووجوب تعريبها، عهد المجمع إلى لجنة متخصصة من العلماء من مجمع اللغة العربية والجامعة الأردنية وجامعة اليرموك وغيرها من المؤسسات العلمية الأردنية بدراسة إمكانية وضع رموز عربية بدلاً من الرموز اللاتينية المستعملة في علوم الفيزياء والكيمياء والرياضيات. وبدأت هذه اللجنة عملها منذ سنة ١٩٨٢ واستمرت فيه بجد ومثابرة مدة سنتين ونصف تقريباً، واستطاعت أن تضع مشروعاً متكاملاً ولأول مرة باللغة العربية. وقد صدر هذا المشروع في كتاب خاص ضمن منشورات مجمع اللغة العربية الأردني تحت عنوان: "مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية" وقد وزع هذا المشروع على اتحاد المجامع اللغوية ومجامع اللغة العربية والجامعات العربية ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، والمؤسسات العلمية في الوطن العربي من أجل دراسته وموافاتنا بملاحظاتهم.

ويسعدني أن أذكر في هذه المناسبة أن مجلس اتحاد المجامع اللغوية العربية قد قرر أن يكون هذا المشروع موضوع ندوة الاتحاد المقبلة وأن تعقد هذه الندوة في مجمع اللغة العربية الأردني في نيسان سنة ١٩٨٦ بغية دراسته والخروج بنظام موحد للرموز العلمية باللغة العربية. فإنّ حرصنا على تعريب العلوم لا يوازيه شيء سوى حرصنا على توحيد لغة العلوم بالعربية بتوحيد مصطلحاتها ورموزها وتراكيبها.

وقد كان لمؤتمرات التعريب في الوطن العربي إنجازات مهمة في مجال توحيد المصطلحات العلمية ودفع مسيرة التعريب إلى أمام وبث الوعي السياسي في تقدير أهمية تعريب العلوم والتقنيات الحديثة باعتبارها شرطاً أساسياً للخلاص من حالة التبعية الفكرية والوصول إلى حالة الإبداع والمشاركة الأصيلة في بناء الحضارة الحديثة. ولكن ويا للأسف فقد تكدست المصطلحات ووضعت على الرفوف وبقيت عشرات التوصيات دون تنفيذ، وذلك بسبب غياب سياسة الالتزام بالتعريب في معظم الأقطار العربية.

سيدي مندوب جلالة الملك المعظم

فقد أوصى مؤتمر التعريب الرابع الذي عقد في طنجة في القطر المغربي الشقيق في نيسان سنة ١٩٨١، بأن يعقد مؤتمر التعريب الخامس في مجمع اللغة العربية الأردني. وقد كانت هذه المبادرة تحية وتكريماً للأردن المجاهد، وهو يواجه أشرس حملة استعمارية استيطانية تستهدف وطننا العربي وأمتنا العربية الإسلامية. فالأردن حصن من حصون العربية في أعماق التاريخ، وهو حصن العروبة الوحيد

الذي يطل على مشارف القدس، ويقف على مرأى من المسجد الأقصى، أولى القبلتين وثاني الحرمين ومسرى الرسول الكريم ﷺ. فقد استباح العدو الحاقد حرماته وهو يعمل جاهداً على هدمه وخرابه، بعد أن نهب الأوطان وأقام المدن والمستعمرات، وشرد الأهل محاولاً اقتلاع جذور شعبنا، في سياسة للتهويد معلنة، لم تعد سراً على أحد.

وقد وجدت تحية مؤتمر التعريب الرابع ما تستحقه من تكريم وإعزاز. فأقرت الحكومة الأردنية إذ ذلك هذه التوصية، بل وتفضل صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم برعاية مؤتمر العربية والعروبة.

وغني عن البيان، فإن مؤتمرات التعريب باتت تعقد مرة كل ثلاث سنوات من حيث المبدأ، وهي ترمي إلى تحقيق هدفين أساسيين، أحدهما إقرار المعاجم العلمية التي وضعها العلماء المتخصصون وإضفاء الشرعية عليها بعد الاطلاع عليها ومناقشتها في اللجان المتخصصة في المؤتمر.

والهدف الآخر، بحث سياسة التعريب، وتقويم مسيرة التعريب وتلمس الوسائل التي تكفل نجاح التعريب وتعميق جذوره، وجعله قادراً على مواكبة التطور الهائل والنمو السريع الذي تشهده المعرفة العلمية في أواخر القرن العشرين.

فبعد مضي ربع قرن على انعقاد المؤتمر الأول للتعريب بالرباط، نجد أن الشوط الذي قطعناه كان متواضعاً وأن الهوة التي تفصل بيننا وبين تحقيق أهدافنا، ما زالت سحيقة وواسعة، ولذا فإن الوقت قد حان لكي يشكل مؤتمر التعريب الخامس انعطافاً تاريخياً في مسيرة التعريب، وبالتالي في حياة أمتنا العلمية

والحضارية، بأن يتوجه إلى مؤتمر القمة العربي القادم، الذي سيعقد – إن شاء الله– في مهبط الوحي ومهد العروبة والإسلام، ليتخذ قراراً تاريخياً، يعيد للغة العربية الفصيحة لغة القرآن الكريم، سيادتها في أوطانها، بأن تكون لغة التدريس في جميع مستوياته ومجالاته، لا سيما في الكليات العلمية والمهنية مثل كليات العلوم والطب والهندسة والصيدلة والزراعة وغيرها، وأن تكون العربية، لغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة والحياة الحضارية.

وإن مثل هذا القرار التاريخي الذي يصدر عن اتفاق الأمة جميعها على إعزاز لغتها والتصميم على استعادة هويتها ومكانتها في المشاركة العلمية الأصيلة، ليوجب اتخاذ قرار آخر، بإنشاء مؤسسة علمية عربية، على مستوى الوطن العربي. تكون مهمتها نقل العلوم والفنون والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية، ويكون عملها مستمراً، لنقل أهم البحوث العلمية التي تنشر في أهم الدوريات العلمية العالمية إلى اللغة العربية، وإعطاء ملخصات عنها. وذلك على غرار مؤسسات الأمم التي سبقتنا في نهضتها العلمية مثل المؤسسات اليابانية والصينية والسوفيتية وغيرها. فإن إنشاء هذه المؤسسة العلمية العربية بات ضرورة يحتمها التطور التاريخي لأمتنا العربية وهي في الوقت ذاته ذات جدوى اقتصادية، لأنها تستند على لغة واحدة، هي اللغة العربية الفصيحة، لغة العروبة والإسلام. فهي اللغة التي توحد بين أقطار العروبة على امتدادها الجغرافي من الرباط إلى بغداد، وهي مستودع تراثها الضخم على الامتداد التاريخي وعبر القرون.

وإن الآمال معقودة على المجامع اللغوية العربية وعلى اتحاد مجامعنا، بل والمجمع الواحد، للغة الواحدة كي تقوم بدورها الأساسي في إغناء العربية ومدها المستمر بالمصطلحات العلمية والرموز والتعابير العلمية الموحدة.

سيدي، مندوب جلالة الملك المعظم

فإن آمالنا كبيرة، وإن مستقبل أمتنا لمشرق، بإذن الله، وإنني من على هذا المنبر في مؤتمر العربية والعروبة، أعود فأقدم صادق الشكر لصاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين المعظم على تفضله برعاية هذا المؤتمر. وأرحب بعلماء أمتنا العربية، من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، الذائدين عن حياض لغة القرآن، لغة العروبة والإسلام، في وطنهم الأردن المجاهد، وفي مجمعهم، مجمع اللغة العربية الأردني، متمنياً لهم التوفيق والنجاح وطيب الإقامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

كلمة الدكتور محيي الدّين صَابر

المـــدير العَـــام للمنظمـــة

العربيـــــــــــــــــــة

للتربيـة والثقافـة والعلـوم

معـالي الأسـتاذ الـدكتور ناصـر الـدين الأسـد ممثـل صـاحب الجلالـة الملـك المعظم، ووزير التعليم العالي.

سعادة الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية

أصحاب المعالي والسعادة والسيادة....

أصحاب السيادة الأخوة ممثلي الهيئات والمنظمات العربية

السيدات والسادة

أحييكم التحيـة التـي أنـتم أهلهـا، وأُرحـب بكـم فـي عمـان، المدينـة العربيـة الشامخة المضياف عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية، الصامدة الصاعدة، قياماً بحـق الحريـة القوميـة واسـتجابة لنـداء التقـدم الاجتمـاعي، وأشـكر لكـم اسـتجابتكم الكريمة للدعوة إلى هذا المؤتمر القومي العلمي، وسعيكم المسؤول إليه، مشاركة وعطاء.

وفـي هـذه المناسـبة الجليلـة، فـإني أرفـع إلـى مقـام صـاحب الجلالـة الملـك الحسين المعظم حفظـه اللـه، أسمى آيات الشكر، وأزكى مشاعر الإجلال، باسم المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي تعتز بما لجلالته من أياد بيض على

أهدافها ومشروعاتها، وتجيء رعايته السامية لهذا المؤتمر تعبيراً جديداً في إطار عناية جلالته الموصول بالعمل العربي المشترك.

وإنه حق من الحق، أن أُشيد هنا، بالجهد الكبير الذي نهضت به الحكومة الأردنية، ممثلة في وزارة التربية والتعليم، واللجنة الوطنية للتربية والثقافة والعلوم، وفيما قام به كريماً ومسؤولاً، مجمع اللغة العربية الأردني، وإني أتجه هنا بالشكر مستحقاً إلى معالي الأخ الأستاذ عبدالوهاب المجالي، نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير التربية والتعليم وإلى معاونيه القادرين وإلى سعادة الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، وزملائه ومعاونيه، لما أنجز من إعداد دقيق، وتنظيم وثيق ومتابعة موصولة، وتنسيق قريب، في عمل متصل وطويلٍ، والشكر بعد ممدود لهم جميعاً على كرم اللقاء وحسن الضيافة وصادق التعاون. وأُشيد في اعتزاز بالإسهام القادر الذي يقوم به المجمع في خدمة اللغة العربية.

أيها الأخوة:

إن مؤتمرات التعريب الدورية، وسيلة منهجية، من وسائل عمل مكتب تنسيق التعريب لتوحيد المصطلحات العلمية في اختيار المقابل العربي الأدق والأوفق. ذلك أن مشكلة المصطلح العلمي الأجنبي ليس في تعريبه، ولكن في توحيده، فالمصطلح الأجنبي الواحد، يترجم إلى العربية بكلمات مختلفة، لاتساع اللغة العربية من ناحية، ولترك الأمر للاجتهاد الشخصي من ناحية أخرى، ومن هنا قامت الحاجة، لتوحيد المصطلح العربي حتى تنشأ لغة علمية موحدة، يكون لكل مفهوم علمي محدد فيها كلمة واحدة. وهذا الأمر على جانب كبير من الأهمية ذلك أنه يعمل على تأصيل حقيقتين أساسيتين: إحداهما قومية، وهي تأكيد الوحدة الفكرية، والأخرى حضارية وهي اقتحام المعاصرة التكنولوجية..

وقضية التعريب، ليست قضية لغوية، كما يظن كثيرون، وإنما هي قضية معاصرة حضارية بكل ما في هذا التعبير من دلالات، فلا يمكن اجتماعياً، أن يتقدم شعب إلى المجال العلمي التكنولوجي المعاصر دون اكتساب العلم واستنباته وتوطينه لغوياً، واستنبات العلم وتوطينه يعني تعليمه وتعلّمه وإنتاجه باللغة القومية، مهما كانت تلك اللغة، ذلك أن جنسية الفكر هي اللغة، كما أن جنسية الإنسان هي الدولة، فكل ما يكتب في لغة يصبح جزءاً من تراثها، مهما كانت الجنسية السياسية والحضارية للكاتب، وفي اللغة العربية نفسها شواهد تاريخية، فيما كتب الشعراء والأدباء من غير العرب مما هو مفخرة للأدب العربي والفكر العربي، وما ينتجه العلماء من أبناء البلاد النامية في اللغات المتقدمة من علم أو فن، هو جزء من تراث تلك اللغات....

ومن هنا فإن الأرض ينبت فيها العلم وتطبيقاته العملية، إنما هي اللغة، وهناك تلازم عضوي بين اللغة والتقدم، فالتعريب إذن ليس تعصباً قومياً، ولا نزوعاً إلى انغلاق وإنما هو قمة التفتح على العالم أخذاً وعطاء، مما شهد مثله تاريخنا في عصر "بيت الحكمة"، فقد بدأ الإبداع العربي الإنساني باستيعاب المعارف الأجنبية، وصياغتها صياغة عربية، نقلاً وتعريباً وتمثيلاً...

إن الانتقال من التبعية والتخلف إلى الإبداع وإلى الأصالة، يعني تعريب العلوم، وسبيل ذلك هو تعريب لغة التدريس في الكليات العلمية والمهنية في الجامعات وتعريب لغة الإنتاج العلمي في مراكز البحوث العلمية العربية، ومن تمام هذا العلم أن يتم إعداد هيئة التدريس وهيئة البحوث العلمية القادرة على الأداء باللغة العربية، وقد اتخذت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من خلال مؤتمرها العام إجراءات من شأنها أن تحقق هذا الهدف، بإنشاء المؤسسات القومية التي تتضمن بذلك سواء في توسيع وعاء الترجمة والتعريب والتأليف والنشر أم في إعداد الإطارات العلمية في المستويات العليا.

أيها الأخوة، إن هذا المؤتمر، هو المؤتمر الخامس للتعريب، وهو ينعقد بتعاون حميم وقادر مع مجمع اللغة العربية الأردني الذي يسر له كريماً من الظروف ما حقق له أسباب انعقاده وعوامل إنجاحه. ويتهيأ العلماء العرب المشتركون فيه، من المجمعيين والمتخصصين والخبراء لدراسة موضوعاته التي تمثل مشروعات عشرة معاجم في مختلف المجالات يتم تنسيقها وتوحيدها وإكسابها الصفة القومية، لتصبح هي المصطلحات المعبرة وحدها عن المفاهيم المحددة لها. سبعة من مشروعات هذه المعاجم يقدمها المكتب حول مصطلحات علم الاجتماع والتربية واللسانيات، والفيزياء العامة والفيزياء النووية، والكيمياء، والرياضة البدنية، وثلاثة منها قدمتها مؤسسات قومية وهي: مشروع المعجم العربي للمصطلحات الإحصائية والسكانية من المركز العربي للإحصاء والتوثيق، ومشروع القاموس العربي لمصطلحات السكك الحديدية من الاتحاد العربي للسكك الحديدية، ومشروع المعجم الزراعي من ألفاظ العلوم الزراعية من المنظمة العربية للتنمية والزراعة.

وسوف يقدم العلماء العرب المشاركون بحوثاً أساسية في موضوعات هي: قضايا التعريب، المشكلات والحلول و"تعريب العلوم الطبية" و"نحو نظام للرموز العلمية"... هذا وقد كان المؤتمر الرابع الذي انعقد في طنجة عام ١٩٨١ قد ركز على إقرار توحيد معاجم المصطلحات المهنية والتقنية، في مرحلة التعليم العام، في مختلف الشعب والفروع، إلى جانب المصادقة على مشروع معاجم في مستوى التعليم العالي والجامعي، في تخصصات النفط والجيولوجيا، والإعلاميات، أما المؤتمر الثالث، الذي عقد، في طرابلس، في الجماهير الليبية، عام ١٩٧٧ فقد درس وصادق على مشروعات معاجم، في التعليم العام، في مصطلحات الجغرافيا والتاريخ، والفلسفة، والفلك والرياضيات، والصحة، ذلك إلى مصادقته على مشروعي معجمين في مادتي الإحصاء والرياضيات في مستوى التعليم العالي والجامعي..

وفي المؤتمر الثاني الذي اجتمع في الجزائر العاصمة في عام ١٩٧٣، وحد المصطلح العربي في مواد الكيمياء والجيولوجيا، والرياضيات والنبات والحيوان والفيزياء، في مستوى التعليم العام.

وقد كان المؤتمر الأول للتعريب الذي التأم في الرباط عام ١٩٦١، تدارس الخطة العامة لمنهجية التعريب، وتوحيد المصطلح العربي بتخصيص المقابل العربي الموحد، للمصطلح الأجنبي، في مراحل التعليم، الأمر الذي قامت المؤتمرات المتعاقبة بتنفيذها.

أيها الأخوة:

إن مكتب تنسيق التعريب، وهو يجد التعاون الإيجابي، والاستجابة الكريمة، من الحكومات الأعضاء، ومن المؤسسات والاتحادات والهيئات والمنظمات القومية، ومن المجامع العربية، ومن اتحاد المجامع، ومن الجامعات العربية، ومؤسسات التعليم العالي، ومراكز البحوث العلمية، ومن العلماء والمفكرين والكتّاب، يتقدم في مشروعاته، على أساس خطته المتوسطة المدى، والطويلة المدى، في تنسيق مع أجهزة المنظمة الأخرى تحقيقاً لرسالته في توحيد المصطلح العربي، وفي توفيره، وفي تحديثه، وفي متابعة التطور العلمي، والتدفق المعرفي، المذهل، الذي يسرته تكنولوجيا الاتصال، والثورة العلمية الثالثة، مواكبة للتقدم العالمي، وطلباً للمعاصرة التكنولوجية، هذا، والمكتب يعمل على تحديث أساليب عمله وتطويرها والاستعانة بأجهزة الجمع والتخزين والاسترجاع والاتصال الآلية والحديثة.

أيها الأخوة:

وإني أعيد الشكر هنا، مستحقاً للأخوة ممثلي الحكومات العربية، وللأخوة العلماء والخبراء الذين أعانوا بآرائهم، وبحوثهم، على استكمال أسباب عقد هذا

المؤتمر، ولمجمع اللغة العربية، ولرئيسه، وزملائه ومعاونيه، على كل ما قدموه من خير، وإن الشكر يتجه إلى أبنائي من العاملين في مكتب التنسيق، مديراً، وفنيين على جهدهم الطويل، وصبرهم الجميل وعطائهم الأصيل.

وإننا إذ نعلق آمالاً مشروعة على مؤتمركم هذا، فإننا نسأل الله لكم فيه التوفيق بما تتحقق به آمال أمتنا، والسلام.

كلمَة مندوب جَلالة الملك المعظم

الدكتور ناصر الدّين الأسَد

أيها العلماء الأجلّاء

أيها السيدات والسادة

ليس أبهج لنفسي، ولا أدعى إلى اعتزازي، من أن أقف هذا الموقف، لأنقل تحيات صاحب الجلالة الهاشمية الملك الحسين، إلى هذا النفر الكريم من علماء العربية وحُماتِها، الذين وفدوا إلى بلدهم الأردن من أقطار وطننا العربي الكبير، يحدوهم الحرص على لغتهم التي هي رابطة شملهم، ونظام عقدهم، وقوام شخصيتهم، ووعاء حضارتهم، ومستودع فكرهم، والتي كرّمها ربّ العالمين، وكرّمنا معها، حين جعل بها كلامه ووحيه "تنزل به الروح الأمين" "بلسان عربي مبين".

ولولا دواعي الواجب المتلاحقة التي تهيب بجلالة الحسين، فيوزّع عليها جهده، ويقسم بينها وقته، في الداخل والخارج، وفي الحلّ والترحال، لكان الآن بينكم: يرحّب بكم، ويسعد بالتحدث إليكم والاستماع منكم، ويفضي لكم بمكنون نفسه، في أمر هذه اللغة التي تشغل باله، والتي يراها أمانة آلت إليه، ورسالة ورثها من الثورة العربية الكبرى التي قادها جدّه الحسين بن علي طيّب الله ثراه منذ سبعين عاماً، غضباً لدينه وأمته ولغته، حين أخذت القوى المغالية المتعصبة في الدولة الحاكمة آنذاك تضطهد هذه الأمة العربية، وتستهين بلغتها، وتستبدل بها

لغة أخرى: في التعليم، والصحافة، وميادين الثقافة والحياة المتعددة. وورث شبلا الحسين بن علي: عبدالله وفيصل، هذه الأمانة، فلم يكد يتسلّم الملك فيصل مقاليد الأمور في سورية حتى قلب موازين اللغة هناك، فقد جاءها وليس في أعمالها الرسمية والتعليمية إلا اللغة التركية، وتركها بعد سنة واحدة وأشهر، وليس فيها إلا اللغة العربية بفضل من أحاط به، وعمل معه، من رجالات العرب الأشاوس الحرصاء على أمتهم ولغتهم. فأنشئ حينئذ المجمع العلمي العربي بدمشق، وانتشر استعمال اللغة العربية في الإدارة ودواوين الحكومة والجيش، وفي التعليم في جميع مراحله، وخاصة التعليم الجامعي في الحقوق والطب، وكان ذلك كلّه هو الأساس المتين الراسخ، الذي قام عليه البنيان الشامخ، في التعليم الجامعي السوري حتى يومنا هذا، ظلّ ثابتاً تتكسّر دونه صيحات الناقمين من جهلاء أمتنا والحاقدين من أعدائنا، وأخفقت دونه جهود المستعمر الفرنسي على مدى ربع قرن.

وبدأ عبدالله بن الحسين منذ الأيام الأولى لتأسيس إمارة شرقي الأردن بإعلاء شأن اللغة العربية وتوطيد دعائمها، حتى أصبحت هي اللغة، في كل جوانب الحياة، لا تعلو عليها لغة أخرى، وإن جاورتها لغات كانت دائماً وراءها، لا تجرؤ على أن تحلّ محلها.

إن هذا البلد الذي ورث رسالة الثورة العربية الكبرى، وإن ملكه العربي الهاشمي الذي ورث رسالة جدّه الكبير الحسين بن علي، إنما ورثا – فيما ورثاه– حماية اللغة العربية، وإعلاء شأنها، وتوطيد مكانتها، فهي لغة الإسلام ولغة العرب، بغيرها لا استمرار لها ولا بقاء. وتحية الحسين لكم، وترحيبه بكم، وفرحته

بهذا اللقاء، في مجمعكم الأردني للغة العربية، وفي بلدكم الأردن، إنما هو على أساس من رسالة يؤمن بها، وليس مجرد كلام يقال في مناسبات عابرة. وإذا رأيتم في هذا البلد مظاهر تختلف عمّا قلت، فهي من الشوائب التي اندسّت إلى بعض جوانب حياتنا العامة وحياتنا التعليمية، ولا بد من التخلص منها لتصفو لنا أصالة وجودنا وليتحقق ازدهار مستقبلنا.

أما بعد،

فإني أستأذنكم – أيها العلماء الأجلّاء– في أن أجوس خلال دياركم، متفيئاً ظلالها، لأقطف بعض ثمارها، فأعرضها عليكم لتروا فيها رأيكم: ذلك أننا نرى أحياناً عند غيرنا من الأمر ما يستهوينا، فنحب أن يكون عندنا، ونظنّ أنه وسيلة الحضارة وسبب التقدم. نرى أمراً هنالك فنريده هنا، دون معرفة بتغاير الحالتين واختلاف الطبيعتين، وشتّان ما هما، وما أبعد الذي بينهما! رأينا هناك المظهر فلم نسبر المخبر، وأعجبتنا هناك الصفة فلم ندرك حقيقة الموصوف، على حين اتضح ذلك كله لشاعرنا أبي الطيب حين قال:

وقد يتقارب الوصفان جدّاً وموصوفاهما متباعدان

والأساليب التي تصلح للغة واحدة – أو لمجموعة من اللغات– لأنها تتفق وخصائصها وتناسب طبيعتها، لا تصلح بالضرورة للغة أخرى تختلف عنها في الطبيعة والخصائص. واللغة العربية لغة اشتقاقية، وأكثر اللغات الأوروبية تركيبية، واللغة العربية معربة، واللغات الأوروبية الحديثة فقدت أبنية إعرابها كلّها أو جُلّها. ولا بدّ للناظر في أساليب النهوض باللغات وتطويرها من أن ينظر في طبائع تلك

اللغات لمعرفة مدى مناسبة الأسلوب لتحقيق غايته، وإلّا انتهى الأمر إلى نقيض المقصود.

ومن أمثلة ذلك أننا تعلمنا – فيما تعلمنا – ضرورة تعويد الطلاب القراءة الصامتة التي لا تتحرك فيها شفاههم، والتي تخطف فيها عيونهم الكلمات والجمل خطفاً، لأن هذه القراءة الصامتة تزيد من سرعة القراءة وتختصر الوقت الذي يقضيه المرء في المطالعة، في زمن تكاثر فيه نتاج المطابع وتفجرت فيه المعرفة، وأصبح المرء لا يستطيع أن يتابع كل ذلك إذا لم يسرع في القراءة ويوفر أكبر وقت ممكن. وهذا كله صحيح عندهم وفي لغتهم الإنجليزية، لأن كلمات لغتهم – كما يقولون– تكتب كما تقرأ وتقرأ كما تكتب، وهو قول يحتاج إلى فضل تمحيص، ولأنهم أيضاً يتعلمون لغتهم من الكتاب ولا يحتاجون إلى السماع، ولذلك كثرت في لغاتهم كتب بعنوان "تعلم اللغة بغير معلم". ولكن الأمر في لغتنا على خلاف ذلك، فهي لغة اشتقاقية معربة منقوطة، والاختلاف في أبنية كلماتها وفي موازينها للدلالة على المعاني المختلفة إنما يكون بتغير الحركات وبعض الحروف. ومن قديم وقع التصحيف والتحريف لأن بعض المتعلمين كانوا يأخذون من الكتب، ولم يسمعوا من الشيوخ المعلمين. وأصبح الأخذ عن الشيوخ عرفاً تتميز به مجالس العلم ودور التعليم في حضارتنا، استمر قروناً إلى أن أخذنا طريقة "القراءة الصامتة" وطبقناها على أطفالنا وناشئتنا، قبل أن يتمكنوا من لغتهم، ويسيطروا على مخارج حروفها وأساليب نطقها؟ ألا يحتاج الأمر إذن إلى رؤية، وإلى فحص الأسلوب المستورد وطبيعة اللغة لمعرفة مدى التوافق بينهما، حتى لا يكون الأسلوب المرجوّ للنجاة سبباً آخر من أسباب الضياع والهلاك؟

ومن أمثلة ذلك أيضاً أن أهل التعليم في بعض البلاد الأخرى أخذوا بطريقة تعليم الأطفال الكلمة كلها، جملة واحدة، قبل البدء بتعليم الحروف مفردة. وتعبنا في اقتباس هذا الأسلوب، وتخبطنا، إلى أن صار الطفل يقضي في المدرسة أربع سنوات أو تزيد ولا يزال يجهل قراءة سطر واحد من غير الكلمات التي حفظها، وأصبحنا نشكو من أن بعض هؤلاء الأطفال لا يزالون يجهلون كتابة أسمائهم صحيحة بعد هذه السنوات من التعلّم. وقد أدركت أمم أوروبية أخرى الفروق بين لغاتها في الطبيعة والأصول وبناء الكلمات وصياغة التراكيب، وخاصة تلك اللغات الأوروبية التي لا تزال تحتفظ ببقايا من الإعراب، فلم تأخذ بهذا الأسلوب في تعليم لغاتها، لأنه لا يستقيم به أمرها. ونحن أجدر من تلك الأمم بأن نتأنّى وندرس الفروق بين طبائع اللغات، ونعرف ما يصلح للغتنا فنأخذ به، قبل أن يستهوينا أسلوب غريب عن طبيعة هذه اللغة لأنه نجح عند غيرنا.

ومن أمثلة ذلك أيضاً: أنه شاعت عند غيرنا طريقة تعليم الأدب وتاريخه: نثره وشعره، على أساس البدء بالعصور الحديثة ثم الرجوع منها إلى العصور التي سبقتها عصراً عصراً. وتلك طريقة لا مفرّ منها، ولا بديل عنها، في آداب تلك الأمم، لأن لغاتهم التي يستطيع معرفتها صغارهم وكبارهم ومثقفوهم ومتعلموهم، هي اللغة المعاصرة أو اللغة الحديثة التي لا تمتدّ في العمر إلى أكثر من ثلاثمئة عام، فإذا وصلت إلى ما قبل أربعمئة عام استعصت عليهم، وانبهمت آدابها، واضطروا إلى تيسيرها وتقريبها للدارسين في مختلف المراحل بتعليمهم نماذج مختصرة مبسّطة في طبعات خاصة، ثم بتقديم الأصول مقرونة بشروح مسهبة لتوضيح غوامض اللغة وغرائب الأسلوب. أما ما قبل ذلك فتكاد تكون لغات آدابهم

لغات أخرى مختلفة عن لغتهم التي يعرفونها ويفهمونها الآن. ولكن اللغة العربية التي نعرفها ونكتبها ويتحدث بها فصحاؤنا إنما هي لغة واحدة مستمرة ممتدة على مدى سبعة عشر قرناً، وكثيراً ما نقرأ شعراً جاهلياً وأموياً وعباسياً فنحسّ كأنه كتب لنا في أيامنا هذه. ولا حجّة لمن يستشهد بأبيات فيها كلمات غريبة وتراكيب مستعصية من وصف الصحراء أو حيوانها أو ما يشبه ذلك من الموضوعات التي انفصلت عن حياتنا، وأصبحت غريبة عنا، فانفصلت بذلك ألفاظها وتعابيرها وأصبحت عسرة على فهمنا. فهذا ارتباط طبيعي بين الموضوع والتعبير، أو بين المضمون والشكل. ونستطيع أن نختار مئات النماذج من نثرنا وشعرنا خلال العصور المتعاقبة من مأنوس الكلام ومفهوم المعنى، وننشّئ عليها أطفالنا، ونربي من خلالها أذواقهم، ليتمرسوا – في المراحل المختلفة– بأسرار بيان لغتهم، ويألفوا بهجة ديباجتها ونصاعة تعابيرها، بدل الاغتراب عنها، والتخبّط فيما يلقّنونه من بعض هذه الأساليب الحديثة، التي ارتضخ أكثرها العجمة، وارتضع الضعف، فألفاظها – حين تتفرق – عربية، ولكنها تتناكر وتتنافر حين تجتمع في جملة متصلة.

أليس هذا أيضاً موضعاً من مواضع التفكير والتدبّر، ومعرفة اختلاف اللغات وآدابها وما يناسبها من أساليب التدريس؟

وأسباب ضعف تعلم اللغة العربية كثيرة، بعضها منّا، وبعضها مدسوس علينا، تضافرت جميعها، فاستعان بها غيرنا ليوهمنا أن هذه اللغة في جوهرها معقدة صعبة، وأن ضعف تحصيلها والمعرفة بها إنما سببه اللغة نفسها، وليس هذه

الأساليب الغريبة عنها المخالفة لطبيعتها. وأخذ هذا الوهم يشيع بيننا، ويستقرّ في نفوسنا، حتى أصبحنا نحن الذين نردده ونؤكده. ونسينا تاريخ هذه اللغة حين اشترك كثير من غير أهلها في بنائها الثقافي الحضاري، فكان من هؤلاء المفسّرون والمحدّثون والرواة والكتّاب والشعراء والعلماء والنحاة واللغويون، ينتسبون إلى مختلف البقاع الإسلامية في أصولهم أو في نشأتهم، ومنهم من تعلّم العربية ولم تكن لسان طفولته، فنبغ فيها، وكتب وألّف، بل صار معلماً للعرب يعلمهم قواعد لغتهم ونحوها وصرفها وبلاغتها ونقدها. ولم يقل أحد منهم حينئذ إن العربية لغة صعبة ليصرف نفسه ويصرف الناس عنها. فما بالنا اليوم نسمع هذا، ونقوله. ونصدّقه، ونجد فيه العذر الذي نتّكئ عليه ليسوّغ لنا جهلنا بلغتنا أو ضعفنا فيها.

أيها العلماء الأجلاء

أيها السيدات والسادة

هذه مجموعة خواطر أضعها أمامكم وأنتم تبدأون أعمال مؤتمركم. ولا يجوز لها ولا لغيرها أن تكون سبباً لإغلاق الأبواب أمام الجديد، ولا سبباً للجهل بتجارب الأمم وأساليبها، وإنما هي دعوة إلى الدراسة وإمعان الفكر، لنقبل من كل ذلك ما نقبل عن بيّنة ومعرفة، ولنختار منها ما يناسبنا لا ما يدسّ لنا أو يفرض علينا.

أيها العلماء أعضاء المؤتمر

كما أسعدني أن أستهلّ حديثي بنقل تحيات جلالة الحسين المعظم وترحيبه، فإنه يسعدني أن أختم هذا الحديث بإبلاغكم أطيب أماني جلالته لكم أن يتعهّد الله تعالى جهودكم، وأن يوفقكم في أعمالكم، وأن يكلأ منظمتنا العربية للتربية والثقافة

والعلوم ومكتبها لتنسيق التعريب، ومجامعنا اللغوية واتحادها، وجامعاتنا ومؤسساتنا العلمية، وأن يجعلها دائماً عامرة بالمخلصين مزدهرة بالعلماء المتبصرين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقريـر لجنَـــة

مشروع معجَـم التربيَة

أولاً: تشكيل اللجنة:

تشكلت اللجنة من الأساتذة الآتية أسماؤهم:

١- الدكتور عبدالعزيز الدوري/ المملكة الأردنية الهاشمية.

٢- الدكتور إسحق أحمد الفرحان/ المملكة الأردنية الهاشمية.

٣- الدكتور إحسان عباس/ المملكة الأردنية الهاشمية.

٤- الدكتور أنور أبو سويلم/ المملكة الأردنية الهاشمية/ جامعة مؤتة.

٥- الدكتور رشدي حسن/ المملكة الأردنية الهاشمية/ جامعة مؤتة.

٦- الأستاذ سعدي قشطة/ المملكة الأردنية الهاشمية/ نقابة المحامين.

٧- الأستاذ أبو يعرب المرزوقي/ الجمهورية التونسية/ كلية الآداب.

٨- الدكتور محمود إبراهيم/ المملكة الأردنية الهاشمية/ الجامعة الأردنية.

٩- الأستاذ أحمد رجب عبدالمجيد/ دولة قطر- وزارة التربية.

١٠- الأستاذة بدرية عبدالرحمن المنصوري/ دولة البحرين- وزارة التربية.

١١- الدكتور عبدالعزيز غانم الغانم/ دولة الكويت- مركز بحوث المناهج.

وقد حضر جانباً من اجتماعاتها كل من الأساتذة:

١- الدكتور محيي الدين صابر/ المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٢- الدكتور عبدالكريم خليفة/ رئيس مجمع اللغة العربية الأردني.

٣- الأستاذ أديب اللجمي/ المقرر العام للمؤتمر.

ثانياً: اجتماعات اللجنة:

عقدت اللجنة سبعة اجتماعات بيانها كالتالي:

الاجتماع الأول من الساعة ١٧،٠٠ –١٩،٣٠ من مساء يوم السبت ٩/٢١

الاجتماع الثاني من الساعة ٩،٠٠–١١،٠٠ من صباح يوم الأحد ٩/٢٢

الاجتماع الثالث من الساعة ١١،١٥– ١٣،٠٠ من صباح يوم الأحد ٩/٢٢

الاجتماع الرابع من الساعة ١٧،٠٠ –١٩،٣٠ من مساء يوم الأحد ٩/٢٢

الاجتماع الخامس من الساعة ٩،٠٠–١١،٠٠ من صباح يوم الاثنين ٩/٢٣

الاجتماع السادس من الساعة ١٧،٠٠–١٩،٣٠ من مساء يوم الاثنين ٩/٢٣

وقد تخللت كلاً من الجلسات المسائية صلاة المغرب.

ثالثاً: مكتب اللجنة:

اختارت اللجنة كلاً من:

١- الدكتور إسحق أحمد الفرحان/ رئيساً.

٢- الدكتور أحمد رجب عبدالمجيد/ مقرراً.

رابعاً: الوثائق المرجعية لعمل اللجنة:

تسلمت اللجنة الوثائق المرجعية التالية:

١- مشروع معجم التربية.

٢- ورقة حول مراحل إعداد مشروع المعجم.

٣- ورقة حول مشروع المعجم من المملكة الأردنية الهاشمية.

٤- ورقة حول مشروع المعجم من دولة الكويت.

٥- ورقة حول مشروع المعجم من دولة البحرين.

٦- ورقة حول مشروع المعجم من سلطنة عُمان.

٧- عدة أوراق إعلامية حول أهمية التعريب وأصوله وأساسياته، ومجريات التعريب في بعض الدول العربية.

خامساً: أسلوب عمل اللجنة:

اتفقت اللجنة في اجتماعها الأول على اتباع أسلوب العمل الآتي:

١- تتبع كل اقتراح جاء حول المشروع في أوراق العمل الأربع المقدمة حوله، اصطلاحاً اصطلاحاً، ولفظة لفظة، وتبادل الرأي في إجراء إثبات الأصل أو تعديله أو إبداله أو تصحيحه.. إلخ.

٢- اختيار المعنى الأصح لغة والأدق تعبيراً والأكثر شيوعاً في مشرق العالم العربي ومغربه لإثباته كمعنى للمصطلح الأجنبي.

٣- عدم اللجوء إلى الترجمة الحرفية، واختيار المعنى التربوي الشائع والمتعارف عليه في العالم العربي، وفي حال وجود أكثر من معنى تغليب أحدها.

٤- اختيار بديل واحد من البدائل المطروحة للمعاني، حرصاً على توحيد المصطلحات التربوية في وطننا العربي ما أمكن.

٥- الأخذ بمدلول الاصطلاح الإنجليزي عند وجود خلاف بينه وبين مدلول الإصلاح الفرنسي.

٦- اختيار نسخة واحدة من مشروع المعجم واعتبارها أساساً يجري عليه التعديل والتنقيح والإلغاء والإبدال لتسليمها مع التقرير، ليتم الاعتماد عليها عند طباعة المعجم.

٧- الحرص على إجماع أعضاء اللجنة على كل مقترح، بحيث تتوافر القناعة بالمعجم لدى كل الأقطار المشاركة ما أمكن.

٨- إبقاء بعض الألفاظ الأجنبية التي أصبحت عالمية بين قوسين مجاورة للمعنى العربي للمصطلح، بحيث يستفيد منها القارئ أو الباحث.

وبناء على هذا الأسلوب جرى عمل اللجنة في اجتماعاتها السبعة المشار إليها، وأنجزت عملها في الوقت المحدد لها، مما يحدوها أن تتقدم للمؤتمر الكريم بالمقترحات التالية:

خامساً: اقتراحات اللجنة:

١- **اعتماد مشروع المعجم:** تقترح اللجنة على المؤتمر الكريم اعتماد مشروع المعجم بصورته المنقحة المرافقة لهذا التقرير، على اعتبار أنه

أصبح في أفضل صورة أمكن أن تتوصل إليها اللجنة في الوقت القصير المتاح لها، وباعتباره أساساً صالحاً للبناء عليه مستقبلاً.

٢- **التصحيح قبل الطبع:** ترى اللجنة أن هناك كثيراً من الأخطاء الطباعية وقعت في الكلمات الإنجليزية أو الفرنسية، وفي بعض الأحيان في العربية، وحيث إن اللجنة لم تتمكن من مراجعة جميع الألفاظ والمصطلحات، فإنها توصي بأن تجرى مراجعة شاملة للمعجم قبل دفعه للمطابع لتصحيح ما فيه من أخطاء وتحقيق الترتيب الهجائي للكلمات، وتعديل ما تقتضي الضرورة تعديله.

٣- هناك عدد من الاصطلاحات تكررت بذاتها في أكثر من موضع، الأمر الذي يوجب عند تجهيز المشروع للطباعة – مراجعتها وحذف المتكرر منها، وهناك اصطلاحات صححت على الأصل وبقيت في موضع تصحيحها مما يستدعي نقلها إلى مكان ترتيبها الهجائي.

٤- **البناء على الطبعة الأولى:** ترى اللجنة أن هذا المشروع للمعجم يعتبر أساساً جيداً للبناء عليه، لذلك تقترح أن يطلب – لدى توزيع الطبعة الأولى منه على الدول الأعضاء – إبداء ملاحظاتها وتعديلاتها وإضافتها عليه، وتكوين لجنة متابعة تتولى متابعة إخراج الطبعة الثانية منقحة ومزيدة بما يحقق نمواً حقيقياً للمعجم.

تقدير:

واللجنة إذ ترفع تقريرها هذا للمؤتمر العام الخامس للتعريب، يسرها أن تعرب عن فائق تقديرها وإكبارها للجهد الكبير الذي بذل في إعداد مشروع معجم التربية،

راجية الله تعالى أن يكلل هذا الجهد بالنجاح وأن ينفع به أجيال مستقبل أمتنا العربية.

والله تعالى من وراء القصد ويهدي السبيل

تقرير لجنَة مَشروع معجَم

الفيزياء العامّة والفيزياء النوويّة

١- تكوّنت هذه اللجنة من الأساتذة التالية أسماؤهم:

المملكة الأردنية الهاشمية:

الدكتور أحمد سعيدان

الدكتور عبدالمجيد نصير

الدكتور همام غصيب (مقرراً)

المهندس عبدالرؤوف أبو كبير

الدكتور محمود الكوفحي

الجمهورية العراقية:

الدكتور جميل الملائكة (رئيساً)

الدكتور علاء الدين عبدالله النعيمي

دولة قطر:

الدكتور حسني أحمد إسماعيل

الجماهيرية العربية الليبية الديمقراطية الشعبية:

الدكتور علي محمد جمعة

اتحاد الفيزيائيين والرياضيين العرب:

الدكتور حميد النعيمي

٢- وقد وزّعت اللجنة أعمالها على خمس جلسات خلال المدة ٧ إلى ٩ محرم ١٤٠٦هـ (٢١-٢٣ أيلول ١٩٨٥م)، فتدارست مشروع معجم الفيزياء العامة بجزأيه ومعجم الفيزياء النووية المكون من جزء واحد، وذلك على ضوء الملاحظات التي وردتها من الأقطار العربية التالية:

(أ) المملكة الأردنية الهاشمية (مجمع اللغة العربية الأردني ومديرية المناهج بوزارة التربية والتعليم).

(ب) الجمهورية العربية السورية (مجمع اللغة العربية بدمشق).

(ج) سلطنة عُمان (وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب).

(د) دولة الكويت (وزارة التربية؛ مركز بحوث المناهج؛ لجنة تنسيق التعريب ونشره).

٣- بذلت اللجنة جهدها للتوفيق بين وجهات النظر المختلفة التي عبرت عنها هذه الملاحظات، وذلك بغية توحيد المصطلحات العربية. ولهذا الغرض فقد اختارت مقابلاً عربياً واحداً لكل مصطلح أجنبي، إلا إذا كان المصطلح يحتمل أكثر من مدلول واحد، حيث ميزت بين المدلولات المختلفة بإعطائها أرقاماً مختلفة. مثلاً:

١. تحليل؛ ٢. ميز: resolution

٤- قامت اللجنة بتصحيح عدد كبير من الأخطاء المطبعية واللغوية والعلمية وبتشكيل بعض الكلمات منعاً للبس والإبهام.

٥- ملاحظات عامة:

أولاً: تعدل كلمة "نيوترون" إلى "نترون" أينما وردت.

ثانياً: تبقى كل التفاسير الواردة بين قوسين في مشروع المعجمين.

ثالثاً: تضبط الأسماء كما ينطقها أهلها، إلا إذا كانت شائعة في العربية بصيغة مغايرة، فيحتفظ بتلك الصيغة.

٦- توصيات عامة:

أولاً: تصوير نسخ من كلّ من معجمي الفيزياء العامة والنووية وإيداع نسخة منها في كل مجمع من المجامع العلمية واللغوية العربية لاستخدامها مراجع ريثما يتم طبعها ونشرها حسب الأصول.

ثانياً: ضبط حركات الكلمات بالشكل بقدر الإمكان.

ثالثاً: ترتيب كل معجم – على الأقل في مرحلة لاحقة- وفق الحروف الهجائية العربية (بالإضافة إلى الترتيب الحالي وفق الأبجدية الأجنبية).

رابعاً: العمل على زيادة الوقت المخصص لجلسات اللجان المتخصصة وتنقيص حجم المهام في مؤتمرات التعريب المقبلة، بحيث يتسنى لهذه اللجان إتقان عملها.

٧- أمّا حصيلة عمل اللجنة، فتمثلها النسخ المرفقة من مشروع كل من المعجمين والتي تحتوي على التعديلات والتصويبات المقترحة، واكتمالاً

للفائدة، فقد أرفقنا أيضاً نسخاً من ملاحظات الأقطار العربية الأربعة المذكورة أعلاه.

... وفقنا الله لما فيه خير لغتنا وأمتنا

مقرر اللجنة

د. همام غصيب

التقريْر العَـــام

للجنَة مشروع معجم الكيمياء العَامة

لقد اجتمعت اللجنة المكّونة من التالية أسماؤهم:

١- د. حسني سَبَحْ: رئيس مجمع اللغة العربية – دمشق (رئيس اللجنة).

٢- د. أحمد يوسف علي محمد: الكلية الجامعية/ دولة البحرين (مقرر اللجنة).

٣- د. عبدالله صالح بابقي: جامعة صنعاء/ الجمهورية العربية اليمنية.

٤- د. إبراهيم السامرائي: الجامعة الأردنية/ المملكة الأردنية الهاشمية.

٥- الأستاذة جهاد فوزي الهدمي: وزارة التربية والتعليم/ المملكة الأردنية الهاشمية.

٦- د. راشد عبدالعزيز المبارك: جامعة الملك سعود/ الرياض/ المملكة العربية السعودية.

٧- د. حمزة الكتاني: جامعة محمد الخامس/ الرباط (معهد الدراسات والأبحاث للتعريب – المملكة المغربية.

٨- د. إسحق الفرحان: جامعة اليرموك/ المملكة الأردنية الهاشمية.

٩- الأستاذة رجاء القميش: كلية العلوم الصحية/ دولة البحرين.

١٠- د. محمود الفيتوري فرحات: جامعة الفاتح- الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

١١- د. سلطان أبو عرابي: جامعة اليرموك/ المملكة الأردنية الهاشمية.

١٢- د. محمد أحمد سليمان: الجامعة الأردنية/ المملكة الأردنية الهاشمية.

١٣- الأستاذ توفيق عمارين: وزارة الإعلام الأردنية/ المملكة الأردنية الهاشمية.

١٤- د. سعيد عساف: المؤسسة العلمية العربية للأبحاث ونقل التكنولوجيا/ البيرة- فلسطين.

١٥- د. ذيب مرجي: جامعة اليرموك/ المملكة الأردنية الهاشمية.

ونظرت في التقارير المقدمة من الوفود (الأردن – البحرين- الكويت- الجمهورية العربية اليمنية- المغرب وعُمان). وبعد دراسة مستفيضة لكلّ هذه المقترحات وللمعجم ذاته تمت الموافقة على التعديلات والإضافات المبينة في النسخة المرفقة بهذا التقرير. هذا وقد جاء المعجم دون مقدمة توضح منهجية المعجم وطريقة استعماله. كما احتوى المعجم على كلمات أو اصطلاحات عديدة

تقدر (٤%) بعيدة عن مجال الكيمياء. كما ظهر بعض النقص في المصطلحات الكيميائية التي كان من المفروض وجودها.

ولقد خرجت اللجنة بالاقتراحات والتوصيات التالية:

١- وضع مقدمة ومنهجية للمعجم وطريقة استعماله.

٢- الاتفاق على وجوب حضور أحد المشرفين على وضع مشروع المعجم وأن يكون أحد أعضاء اللجنة من اللغويين.

٣- الاتفاق على أن تكون هناك تعاريف لبعض المصطلحات التي بحاجة إلى تعريف وتشكيل ما يحتاج إلى شكل.

٤- إضافة رسوم توضيحية أو تخطيطية توضح معاني المصطلحات عند الضرورة.

٥- إضافة ملحق لبعض المصطلحات باللغة الإنجليزية والفرنسية ليسهل على المراجع أن يرجع إلى التفاصيل أو التنقيح ليوضح المعنى الحقيقي للمصطلحات دون أي التباس.

٦- تنقية المعجم من بعض الاصطلاحات لتي ليس لها علاقة مباشرة بالكيمياء.

٧- مراعاة أن يكون هناك تنسيق في اختيار التعريب السليم لبعض المصطلحات المتكررة في كثير من المعاجم مثل الكيمياء والفيزياء.

٨- نقترح أن يعرض المعجم لفترة تجريبية وأن يرسل إلى الجامعات العربية بأقسام الكيمياء لتدارسه لإبداء الرأي فيه.

هذا ونشكر كل من ساهم في إنجاز هذا الجهد الطيب، سواء من شارك في وضعه، أو مراجعته، أو تدقيقه.

هذا واللجنة تأمل أن تكون قد وفقت في هذه الدراسة والله ولي التوفيق.

المقرر

الدكتور أحمد يوسف علي محمد

سَعادة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافَة والعلوم

الموضوع: تقرير خاص عن لجنة معجم اللسانيات

بعد التحية:

فقد أسعدنا وجود معجم اللسانيات ضمن مشروعات المعاجم التي أعدتها المنظمة وتمت دراستها في مؤتمر التعريب الخامس الذي عقد في المملكة الأردنية الهاشمية بعمان بين ٢١-١٩٨٥/٩/٢٥، ذلك أن هذا المعجم هو الأول من نوعه، والأول في موضوعه في العالم العربي، إذ إن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كانت أعدت مشروعات معاجم عديدة في مجالات العلوم الأخرى كالفيزياء والكيمياء والاجتماع والرياضيات وغيرها، أما في مجال اللسانيات فهذه أول تجربة تصدر عن مؤسسة عربية رسمية، وحرصاً منا على نجاح هذه التجربة وإخراجها

في أحسن صورة ممكنة فإننا نتقدم إلى سعادتكم بهذا التقرير الذي يتضمن بعض التوصيات الخاصة – إن جاز التعبير –، ونرجو المنظمة أن تعمل على تحقيقها في المعجم في طبعته الأولى نظراً لما للسانيات من أثر كبير في مجال التعريب، ولأن وجود هذا المعجم على الصورة التي نأمل أن تتحقق له، هو رد علمي على ما يشيع عند بعض المعرضين من أن اللسانيات موضوع ثانوي لا شأن له في مجال التعريب، وأن أهميته لا تضارع أهمية التعريب في الموضوعات الأخرى، وما ذلك – في رأي اللجنة– إلا محاولة خفية للوقوف في وجه التعريب، ولمنع ضبط لغة عربية موحدة، تتيح للإنسان العربي فرصة العلم والإبداع والابتكار، فالمصطلح هو العلم، والإبداع والابتكار والبحث والتحصيل في أي علم من العلوم لا يتأتّى للمرء الذي يصطنع لغة غريبة عنه؛ فاللغة هي وسيلة الفكر قبل أن تكون وسيلة الاتصال والتفاهم.

من هنا تلتمس اللجنة من سعادة المدير العام أن يجعل لمعجم اللسانيات خصوصية في النظرة، لما لهذا الموضوع نفسه من خصوصية في الأهمية، فهو ميدان أساسي في التعريب، ويعد النجاح فيه بمثابة وضع استراتيجية منظمة هادفة لإقامة البحث العلمي في أسلوبه الصحيح وللرد العملي على من يدّعي أن اللغة العربية قاصرة عن متابعة الإنجازات المعاصرة في مجال اللسانيات والصوتيات.

وتوصيات اللجنة في هذا المجال هي:

١- أن توضع شروح علمية بإزاء كل مصطلح يعسر فهمه، وبخاصة المصطلحات التراثية التي أخذت من المصادر العربية الأصيلة، والتي قد تبدو غريبة في العصر الحاضر مثل الحرقدة، والحكلة، والرتّة، وكذلك المصطلحات التي نقلت عن اللغات الأجنبية وأخذت صيغ الاشتقاق العربي، على أن يشير الشرح إلى الأصل الذي اشتق منه

المصطلح، وإلى مصدره، والعالم الذي استعمله أول مرة أو أجاز استعماله.

وهذا الشرح يشعر القارئ أن المصطلح شيء حي واقع ملموس يتحرك في سياق طبيعي، ويقدم دلالة المصطلح واضحة للقارئ والباحث.

٢- أن توضع بإزاء بعض المصطلحات – كلما لزم الأمر – رموز مفسرة متفق عليها، تدل على موضوع المصطلح والحقل الذي ينتسب إليه، مثال ذلك وضع حرف (ص) إذا كان المصطلح من باب الصوتيات وحرف (ب) إذا كان من التربية، وهكذا، على أن تكون هذه الرموز واضحة ومفسرة.

٣- أن ينظم هذا المعجم على أساس المصطلح الإنجليزي مرتباً وفق الحروف الهجائية ثم يطبع في نهايته ملحق يتكون من مسردين: الأول بالمصطلحات العربية، والثاني بالمصطلحات الفرنسية، مرتبة حسب تسلسل الحروف الهجائية، مع الإشارة إلى رقم المصطلح الإنجليزي في المعجم بإزاء كل مصطلح عربي أو فرنسي.

٤- أن يعد إلى جانب معجم اللسانيات هذا معجم مواز (عربي عربي) أي يعتمد المصطلح العربي أساساً لترتيبه، ويشرح أيضاً باللغة العربية مع التمثيل الموضح للمعنى، والإشارة إلى مصادر المصطلح وتطوره وميدان استعماله، والمدرسة اللغوية التي انبثق عنها والعالم اللغوي الذي استخدمه.

وترى اللجنة أن هذا المعجم يشكل تطوراً لا بد منه للمعجم المقترح الآن، وإذا تعذر إخراج هذا المعجم في الظروف الراهنة فإن لجنة اللسانيات ترجو سعادتكم

وضع هذه الفكرة ضمن الخطط التي تضعها المنظمة في برامجها القادمة، أو أن تكلف هيئات علمية متخصصة في مجال اللسانيات والصوتيات أن تبدأ العمل فيه أو التعاون في سبيل إنجازه.

والله من وراء القصد

رئيس اللجنة **مقرر اللجنة**

الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح **عودة أبو عودة**

الموضوع: تقرير عن مشروع معجم اللسانيات

تألفت لجنة "اللسانيات" من السادة:

١- الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح: رئيس اللجنة/ الجزائر.

٢- الأستاذ عودة أبو عودة: مقرر اللجنة/ وزارة التربية التعليم/ الأردن.

٣- الأستاذ الدكتور نهاد الموسى: الجامعة الأردنية.

٤- الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي: الجامعة الأردنية.

٥- الأستاذ عبدالعزيز أكبر: الكويت.

٦- الدكتور تاج السر الحسن: السودان.

٧- الدكتور زكي مجيد حسن: العراق.

٨- الدكتور يوئيل يوسف عزيز: العراق.

٩- الآنسة ندى النوري: سوريا.

١٠- الدكتور وحيد السعفي: تونس.

١١- الدكتور خضر بن عليان القرشي: السعودية.

١٢- الأستاذ أحمد سالم آل جمعة: سلطنة عمان.

١٣- الأستاذ علي محسن علي آل حفيظ: سلطنة عُمان.

١٤- الأستاذ سالم أحمد الزيات: ليبيا.

١٥- الدكتور عبدالفتاح الحموز: جامعة مؤتة/ الأردن.

وقد عقدت لجنة اللسانيات اجتماعات متوالية على مدى أيام السبت والأحد والاثنين من تاريخ ٢١-١٩٨٥/٩/٢٣، وناقشت في هذه الاجتماعات المتصلة ستاً من أوراق العمل حول مشروع معجم اللسانيات، وقد قدمت هذه التقارير من:

١- مجمع اللغة العربية الأردني: بورقة أعدها د. إبراهيم السامرائي والدكتور نهاد الموسى.

٢- وزارة التربية والتعليم في الأردن.

٣- وفد الكويت.

٤- سلطنة عُمان.

٥- دولة البحرين.

٦- السعودية.

وتجد اللجنة لزاماً عليها أن تنوه بالجهد الكبير، والإخلاص الوفير الذي بذل في إعداد هذا المعجم وإنجازه، خاصة إذا علمنا أن معجم اللسانيات هو أول معجم في موضوعه، تضعه هيئة عربية وأنه وفق إلى حد كبير بين المصطلحات

الإنجليزية والفرنسية والعربية في مجال اللسانيات، وهو أمر يبدو أكثر صعوبة منه في مجال العلوم الأخرى.

وترجو اللجنة وهي تقر هذا المعجم – بعد الأخذ بالتوصيات اللاحقة– أن يوضع هذا المعجم – وبقية المعاجم الأخرى، فوراً في مجال الاستعمال الرسمي والواقعي في مضمار الحياة العلمية في شتى أقطار الوطن العربي، لكي تؤتي جهود التعريب المتصلة ثمارها، ويشهد العالم العربي انطلاقة العلم والإبداع في البحث والتحصيل بلغة عربية أصيلة.

على أن اللجنة قد لمست خلال مناقشة أوراق العمل التي تقدمت بها الوفود المشاركة بعض الملاحظات التي رأت أن الأخذ بها يكمل هذا المعجم ويسهم في إخراجه بالصورة المرجوة التي تحقق الغاية من إعداده.

وفيما يلي التوصيات التي أقرتها اللجنة:

١- وضع مقدمة علمية للمعجم تتضمن أهمية المعجم ودوره في توحيد لغة هذا العلم، والخطوات التي سار فيها، والهيئات والأشخاص الذين اشتركوا في إعداده ومراجعته ومناقشته، كما تشمل أيضاً وصفاً كاملاً لمنهج العمل فيه، وبياناً شافياً لطريقة استخدامه، وثبتاً وافياً بالمصادر والمراجع التي اعتمدت فيه.

٢- وضع شروح وافية بإزاء كل مصطلح يعسر فهمه، وبخاصة بعض المصطلحات التراثية التي أخذت من مصادرها الأصلية كالحرقدة على ما يسمى تفاحة آدم والحكلة والرتّة من أمراض اللسان والنطق، وكذلك بعض المصطلحات التي نقلت عن اللغات الأجنبية وأخضعت للاشتقاق العربي، على أن يتضمن الشرح أصل اشتقاق المصطلح ومصدره، والمدرسة اللغوية التي استخدمته.

٣- مراعاة الأصول المنهجية المتبعة في وضع المعاجم، كالتنسيق في سرد المصطلحات المترادفة بين اللغات المختلفة في المادة اللغوية الواحدة، فإن كان المصطلح الأجنبي على صورة الجمع أو كان على صورة المفرد كان المصطلح العربي على الصورة نفسها.

وكذلك كتابة المعاني المتعددة للمصطلح الواحد بأرقام متسلسلة، وضبط أسلوب الإحالة من مصطلح إلى آخر في المصطلحات التي تتشابه موضوعاتها العامة.

٤- ضبط مفردات المصطلح العربي ضبطاً وافياً بالشكل التام حتى لا يقع خلاف في نطق بعض المصطلحات ولمعالجة بعض الأخطاء الشائعة في نطق بعضها الآخر.

٥- إضافة عدد من المصطلحات في مواضعها المناسبة، فقد لاحظت اللجنة خلوّ المعجم من بعض المصطلحات الأساسية في بعض الحقول اللغوية التي أوردت عدداً من المصطلحات الأخرى في الحقل نفسه، مثال ذلك إضافة:

Fromalism, accent, Peusal, Nonpausal, category

٦- وضع رموز، أو مصطلحات تفسيرية – يُتفق عليها- عند المصطلحات التي يدعو الأمر فيها إلى بيان موضوعها العام، أو أصلها اللغوي، أو النظرية اللغوية التي اعتمدتها.

٧- تنظيم المعجم على أساس المصطلح الإنجليزي مرتباً وفق تسلسل الحروف الهجائية، على أن يلحق به مسردان: الأول بالمصطلحات العربية والثاني بالمصطلحات الفرنسية، مرتبان وفق تسلسل الحروف

الهجائية، مع الإشارة إلى رقم المصطلح الإنجليزي بإزاء كل مصطلح فيهما.

٨- أن يعد إلى جانب معجم اللسانيات هذا معجم موازٍ (عربي عربي) يعتمد المصطلح العربي أساساً لترتيبه ثم يشرحه باللغة العربية مع الإشارة إلى مصدر المصطلح وتطوره وميدان استعماله والعلماء الذين أجازوه، وترى اللجنة أن هذا المعجم المقترح يشكل تطوراً لا بد منه للمصطلح القائم الآن. وإذا تعذر إخراجه الآن فإن اللجنة ترجو المنظمة أن تضع هذا الاقتراح ضمن خططها العملية في السنوات المقبلة، أو أن تكلف هيئات علمية متخصصة للبدء فيه أو التعاون في سبيل إنجازه.

٩- ضرورة قيام أشخاص متخصصين باللغة الإنجليزية والفرنسية بمراجعة ضبط المصطلحات الإنجليزية والفرنسية من حيث الطباعة والإملاء في أثناء طباعة المعجم، فقط لاحظت اللجنة وقوع عدد من الأخطاء الطباعية والإملائية فيه.

١٠- أن يعتمد مبدأ المصطلح العربي الواحد بإزاء المصطلح الأجنبي الواحد إلا إذا كان المصطلح الآخر المرادف قد شاع شيوعاً كبيراً.

١١- توحيد المصطلحات المشتركة بين عدة علوم في كل المعاجم التي توردها ويكون بينها اتفاق في المفاهيم. فمصطلحات الأصوات مثلاً ترد في معجم الفيزياء عند التحدث عن ألفاظ تشريح الصوت، وهكذا في العلوم الأخرى.

والحمد لله رب العالمين

رئيس اللجنة

الدكتور عبدالرحمن الحاج صالح

مقرر اللجنة

عودة أبو عودة

١٩٨٥/٩/٢٤

تقرير اللجنة المختصة بدراسَة

معجم مصطلحات الألعَاب الرياضية

* اجتمعت اللجنة المكلفة بدراسة معجم الألعاب الرياضية والذي تم تشكيلها خلال المؤتمر الخامس للتعريب المنعقد في الفترة الواقعة ما بين ٢١-٢٥/ أيلول ١٩٨٥م في مقر مجمع اللغة العربية الأردني في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية والمؤلفة من:

١) السيد محمد جميل موسى أبو الطيب: المملكة الأردنية الهاشمية.

٢) السيد عرفان اوبري: من الاتحاد العربي للألعاب الرياضية.

٣) الدكتور محمد خير مامسر: من الجامعة الأردنية.

٤) السيد تيسير عرفة: من وزارة التربية والتعليم الأردنية.

٥) السيد يحيى أبو حرب: من وزارة التربية والتعليم الأردنية.

وفي أول اجتماع للجنة اختارت الأستاذ محمد جميل موسى/ رئيساً، والأستاذ عرفان اوبري/ مقرراً.

* وضعت اللجنة خطة العمل التي ستسير بموجبها خلال أيام المؤتمر والتي تتمشى مع البرنامج اليومي للمؤتمر.

* درست اللجنة الملاحظات التي وردت للمؤتمر حول المعجم من:

١) وفد دولة الكويت.

٢) وفد سلطنة عُمان.

٣) وفد وزارة التربية والتعليم بالمملكة الأردنية الهاشمية.

٤) الملاحظات التي أعدها كل من السادة محمد جميل أبو الطيب، الدكتور محمد خير مامسر، السيد تيسير عرفة.

* تناولت اللجنة دراسة مشروع المعجم بالتفصيل ولكل لعبة على حدة وتم تثبيت المتفق عليه على النسخ الموجودة مع الأعضاء، مع مراعاة الأخذ بعين الاعتبار ما ورد في الملاحظات المقدمة حول المعجم من الوفود والمشاركين المذكورين أعلاه.

* اعتمدت اللجنة أسلوب الحوار والمناقشة حول بعض المصطلحات التي ظهر فيها تباين في وجهات النظر بين أعضاء اللجنة، وتمت الاستعانة بالقواميس الرياضية العربية والأجنبية.

وفي نهاية اجتماعات اللجنة التي استمرت أربعة أيام متتالية توصي اللجنة بما يلي:

أولاً: اعتماد المعجم المرفق مع التعديلات المقترحة على بعض مصطلحاته والموضحة على المعجم بجانب كل منها.

ثانياً: توجيه الشكر والتقدير للجهد الكبير المبذول من كل من ساهم في إعداد هذا المعجم خلال السنوات السابقة للمؤتمر وتخص بالذكر الاتحاد العربي للألعاب الرياضية ومكتب تنسيق التعريب في الرباط.

ثالثاً: حيث إن هذا المعجم يتضمن مصطلحات الألعاب الرياضية التالية:

كرة القدم، كرة السلة، الكرة الطائرة، كرة اليد، ألعاب القوى، السباحة، الغطس، كرة الماء، رفع الأثقال، الجودو. توصي اللجنة بالإسراع في إنهاء معجم مصطلحات الألعاب الرياضية المتبقية في الجزء الثاني من المعجم الذي يقوم بإعداده حالياً الاتحاد العربي للألعاب الرياضية بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب في الرباط ومراعاة ما يلي:

١) الاستعانة بالرسوم التوضيحية كلما أمكن ذلك، وحبذا لو أمكن إضافة مثل هذه الرسوم على الجزء الأول من المعجم الذي تمت دراسته والموافقة عليه من اللجنة المذكورة.

٢) تعريب المصطلحات الرياضية الخاصة بالإدارة والتنظيم وكذلك ما يتعلق بمختلف العلوم الرياضية الأكاديمية مثل الطب الرياضي وعلم النفس الرياضي والتدريب... إلخ.

٣) تبويب المعجم حسب الألعاب وأهميتها وشيوعها في الوطن العربي وفصل الألعاب الجماعية عن الألعاب الفردية.

٤) ملاحظة المصطلحات التي ألغيت من القوانين الدولية لبعض الألعاب وإدراج المصطلحات البديلة لها.

٥) عمل ملاحق لما يستجد مستقبلاً من تعديلات أو أية إضافات مفيدة وضرورية وخاصة أن قوانين الألعاب وطرق تدريبها تتطور وتتغير بين الحين والأخر، حتى يصبح المعجم متجدداً ومتكاملاً.

٦) اعتبار هذا المعجم بمثابة تعريب للمصطلحات الرياضية المستخدمة في الوطن العربي كخطوة لتوحيد المصطلحات المتداولة في مصطلح واحد يمكن استعماله في جميع أنحاء الوطن العربي. والارتقاء به مستقبلاً ليكون قاموساً أكاديمياً شاملاً.

٧) الطلب من الاتحاد العربي للألعاب الرياضية اعتماد هذا المعجم بعد إقراره من المؤتمر بإذن الله وتعميمه على الاتحادات العربية النوعية واللجان الأولمبية العربية الوطنية لتقوم بتصحيح القوانين والأنظمة الخاصة بهذه الألعاب وفق المصطلحات المعتمدة، والعمل بكل الوسائل الممكنة لإشاعة هذه المصطلحات في الوطن العربي بوسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

٨) الطلب من مكتب تنسيق التعريب ملاحظة بعض الاختلافات بين المصطلح الإنجليزي والفرنسي ويفضل الأخذ عن النص الإنجليزي أولاً والنص الفرنسي ثانياً في حالة عدم الوضوح وفي الحالة التي يكون فيها الاتحاد الدولي للعبة معتمداً اللغة الفرنسية كمرجع أصلي مثل الاتحاد الدولي للكرة الطائرة فيراعى حينئذ الأخذ من الأصل الفرنسي.

وعلى هذا الشكل تم إعداد هذا التقرير ورفعه للمؤتمر الخامس للتعريب للنظر فيه مع رجاء اعتماد المعجم المرفق والله من وراء القصد.

رئيس اللجنة	مقرر اللجنة
محمد جميل موسى أبو الطيب	عرفان عبدالله اوبري
	١٩٨٥/٩/٢٥

التقرير الختامي لاجتماعات لجنة دراسة مشروع معجم علم الاجتـماع والأنثروبولوجيَـا

عقدت لجنة دراسة مشروع معجم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، المكونة من التالية أسماؤهم:

د. عبدالعزيز الدوري/ الجامعة الأردنية/ رئيساً.

د. أحمد زكي بدوي/ أستاذ بجامعة الإسكندرية/ عضواً.

د. عبدالكريم الغرايبة/ الجامعة الأردنية/ عضواً.

د. عبدالعزيز بو شعيب/ الجامعة الجزائرية/ عضواً.

الأستاذ أحمد يوسف جبر/ وزارة التربية والتعليم في الأردن/ مقرراً.

عدة اجتماعات تدارست خلالها مشروع المعجم المذكور، من خلال ما يلي:

أ- قراءة مراحل إعداد المشروع.

ب- دراسة الملاحظات المقدمة من بعض وفود الدول العربية.

ج- دراسة المعجم نفسه من قبل الأعضاء مجتمعين.

قراءة مراحل إعداد المشروع:

تمت مناقشة الورقة التي تبين المنهجية التي سار عليها معدو مشروع معجم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وقد أبدى أعضاء اللجنة ارتياحهم وتقديرهم للجهد المبذول، والأسلوب العلمي المستخدم في استنباط مواد المعجم وتنظيمها.

دراسة الملاحظات المقدمة من وفود الدول العربية:

درست اللجنة الملاحظات والاقتراحات المقدمة من الدول العربية حول مشروع المعجم، فدرست التقرير المقدم من الدكتور عبدالكريم الغرايبة، عميد كلية الآداب بالجامعة الأردنية، والتقرير المقدم من الدكتور محمد برهوم، الأستاذ في قسم الاجتماع بكلية الآداب في الجامعة الأردنية، (كما أن الدكتور محمد برهوم قد زوّد اللجنة بنسخة عليها بعض الملاحظات الجيدة)، وتقرير وفد دولة البحرين، وتقرير وفد دولة الكويت، وتقرير وزارة التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية.

وقد تميز تقرير كلّ من دولة الكويت، ووزارة التربية والتعليم في الأردن بالتحديد والشمول والوضوح، سواء فيما يتعلق بالمفردات والاصطلاحات الواردة في مشروع المعجم، أم باقتراح مفردات واصطلاحات أخرى تضاف إلى محتوياته.

وبعد الانتهاء من دراسة تلك التقارير ومقابلتها مع مشروع المعجم، تم التوصل إلى اتفاق عام بين أعضاء اللجنة حول ما يجب إدخاله أو تعديله أو حذفه من مشروع المعجم، وسيرفق ذلك في ورقة مستقلة مع المشروع.

دراسة المعجم من قبل أعضاء اللجنة:

بعد أن فرغت اللجنة من دراسة التقارير المقدمة من الدول العربية، شرعت في دراسة مواد مشروع المعجم، كلمة كلمة، واصطلاحاً اصطلاحاً، وكانت خلال الدراسة تتأكد من سلامة المحتوى من خلال عرضه على المألوف المستعمل والمستخدم في واقع المجتمع، وعلى بعض ما تم تأليفه في مجال علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وعلى ما تيسر من القواميس المستخدمة سواء منها العربية والإنجليزية والفرنسية، فتحقق لمشروع المعجم ما يلي:

١- اقتصر على مدلول واحد في الأعم الأغلب لكل مادة من مواد المعجم، وما تم إبقاء أكثر من مدلول له، فراجع إلى استعمال المصطلح نفسه في مجالين مختلفين، وهو قليل نادر.

٢- تخليص المشروع من بعض الكلمات والاصطلاحات التي يكون مجالها غير علم الاجتماع والأنثروبولوجيا.

٣- اعتمدت صيغة الإفراد بدل الجمع، إلا عندما يكون الجمع أقوى في الدلالة على المعنى المقصود.

٤- تمّ إدخال بعض المصطلحات والمفردات التي هي من صميم علم الاجتماع، فضلاً عن تلك التي اقترحتها تقارير الدول العربية.

٥- تمّ تصحيح الأخطاء الطباعية، سواء أكانت في اللغة العربية أم في اللغتين الأخريين: الإنجليزية والفرنسية.

٦- تمّ الاستغناء عن الأفعال وبعض الصفات في مشروع المعجم، وذلك عند وضوح الدلالة من المصدر أو المصطلح المستخدم.

التوصيات:

إن اللجنة إذ تقدّر سلامة التوجه لتوحيد مصطلحات العلوم كافة، وإذ تقدّر لواضعي مشروع هذا المعجم جهدهم وإنجازهم، ورغبة منها في إثراء هذا المعجم بما اجتهدت من تعديل أو إضافة أو حذف، لترجو أن تضع التوصيات التالية، وصولاً بالمعجم إلى أكبر قدر من الفائدة والانتفاع:

١- إقرار هذا المعجم، بشكل أولي، وذلك لأن العلوم الاجتماعية في تطور دائم، وحتى يتسنى إدخال ما يجد من ملاحظات واقتراحات من الدول والمؤسسات عليه.

٢- تعريف بعض المفردات والمصطلحات التي اقترحت اللجنة تعريفها وقد أثبتت ذلك أمام الكلمة أو المصطلح في نسخة مشروع القاموس، وذلك في الطبعة الثانية منه.

٣- التأكيد على وضع كشافين للمعجم: أحدهما باللغة العربية والثاني باللغة الفرنسية، لتسهيل الترجمة من/ وإلى اللغات الثلاث.

٤- توحيد كتابة الحروف الموجودة في اللغتين الفرنسية والإنكليزية والتي لا نظير لها في اللغة العربية مثل الحرف (G).

المقرر

أحمد يوسف جبر

تقرير

لجنة مشروع المعجم العربي للمصطلحات

والتعاريف الإحصائيـة والديموغرافيّـة

عقدت لجنة مشروع المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الإحصائية والديموغرافية اجتماعاتها خلال الفترة ٢١-١٩٨٥/٩/٢٤، حيث شارك في أعمالها كل من السادة:

- الأستاذ الدكتور موسى سمحة.
- الأستاذ أنور عبدالرحمن خليل.
- الأستاذ الدكتور شلال الجبوري.
- الأستاذ الدكتور شفيق العتوم.
- الأستاذ الدكتور محمد الطيب حسن.
- الأستاذ الدكتور مصطفى بن يخلف.

وبدأت اللجنة اجتماعاتها باختيار الأستاذ موسى سمحة رئيساً والأستاذ أنور عبدالرحمن خليل مقرراً.

وبعد مناقشة المصطلحات الإحصائية العربية ومقابلاتها الأجنبية الموجودة في المجلدات الثلاثة التي يضمها الجزء الأول من المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الإحصائية والديموغرافية المعدة من المكتب المركزي العربي للإحصاء والتوثيق بالأمانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية، وذلك في ضوء

الملاحظات الواردة والمقترحات والآراء التي أبداها أعضاء اللجنة، انتهت اللجنة إلى ما يلي:

١- الإشادة بالجهد الذي بذله المكتب المركزي العربي للإحصاء والتوثيق بالأمانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية في إعداد مجلدات الجزء الأول والخاصة بالمصطلحات الإحصائية من المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الإحصائية والديموغرافية.

٢- التأكيد على أهمية تسريع الجهود المبذولة في مجال إصدار الجزء الثاني من المعجم والخاصة بالإحصاءات السكانية وكذلك تلك المتعلقة بإعداد الفهارس الإنجليزية والفرنسية للمعجم بشقيه الإحصائي والسكاني.

٣- من أجل ضمان استمرارية وفاعلية الجهود المتعلقة بمتابعة تحديث المعاجم ذات العلاقة بالعمل الإحصائي، تؤكد اللجنة على ضرورة توسيع مجالات مهام واهتمامات اللجنة الفنية للتصانيف التي تعمل في نطاق مجلس الوحدة الاقتصادية العربية لتشمل المعاجم ذات العلاقة بالعمل الإحصائي، مع الاستعانة بذوي الاختصاص في المجالات الإحصائية المختلفة.

٤- إقرار المصطلحات الإحصائية مع الأخذ في الاعتبار التعديلات التي تمّ الاتفاق عليها والموضحة على النسخة المرفقة بالتقرير، مع عدم التعرّض للشروحات وما تضمّه من رمز للأسباب الآتية:

أ- **بالنسبة للشروحات:**

- عدم كفاية الفترة الزمنية المحددة لعمل اللجنة للقيام بمراجعة الشروحات.

- إن اقتران الشروحات بالمصطلحات العربية تعتبر مرحلة تالية ويتم إنجازها في إطار آخر.

ب- **بالنسبة للرمز:**

تفضيل تأجيل النظر في تعريب الرموز المستخدمة في المجال الإحصائي إلى حين إقرار مبدأ تعريب الرموز في بقية مجالات العلوم.

٥- استبدال كلمة "الديموغرافية" بكلمة "السكانية" ليكون اسم المعجم: "المعجم العربي للمصطلحات والتعاريف الإحصائية والسكانية".

المقرر **الرئيس**

أنور عبدالرحمن خليل **الدكتور موسى سمحه**

مؤتمَر التـعريب الخَـامس

لجنة مشروع القاموس العام لمصطلحات السكك الحديديَة

تقرير اللجنة:

١- استعرض السيد الأمين العام للاتحاد العربي للسكك الحديدية المشروع المؤلف من حوالي (١٢) ألف مصطلح وبيّن الأسس والطريقة التي اتبعت في ترجمته حيث بين أن الاتحاد ابتدأ بالقاموس الدولي لمصطلحات السكك الحديدية الذي وضعه الاتحاد الدولي، وقد اعتبرت اللغة الأصل فيه الفرنسية وترجم إلى الألمانية والإنكليزية. فكان عمل اتحادنا هو أخذ هذا القاموس العام ووضع الترجمة العربية عليه، وتم توزيع المسودات على الشبكات السككية في الوطن العربي لدراستها وتقديم توصياتها، بعد ذلك عقدت ندوة موسعة بين الشبكات ومكتب تنسيق التعريب لوضع القاموس بهيئته الحالية المقدمة.

٢- لغرض التهيئة للمؤتمر أرسل المشروع إلى جهات مختلفة ولكن الجهة الوحيدة التي أجابت وبينت ملاحظاتها هي الجامعة الأردنية، ومرفقة نسخة من هذه الملاحظات مع هذا التقرير.

٣- قامت لجنتنا بمناقشة الملاحظات الواردة إليها ومطابقتها مع المشروع وقد تبين لنا بأن الترجمة الإنكليزية ليست متطابقة تماماً مع الأصل الفرنسي وأن اثنين من أعضاء اللجنة المتخصصة يجيدون الإنكليزية

فقط كأساس للترجمة وهذا أدى إلى وجود بعض التناقضات في المعاني المعطاة في الترجمة المتعددة.

٤- احتوى القاموس على فهرس أبجدي باللغة العربية فقط وضع في نهاية القاموس.

٥- قدمت اللجنة ملاحظاتها حول هذا المشروع إلى السيد الأمين العام للاتحاد العربي للسكك لدراستها والإفادة منها.

٦- تقدر اللجنة الجهود القيمة التي بذلها الاتحاد العربي في وضع هذا القاموس.

توصية اللجنة:

١- توصي اللجنة بإضافة فهرس أبجدي باللغة الإنكليزية يضاف إلى الفهرس الأبجدي العربي لكي يصبح القاموس مفيداً.

٢- توصي اللجنة باعتماد القاموس العام وطبعه للإفادة منه.

د. محمد السعد　　مرهف الصابوني　　خزعل ياسين محمود

رئيس ومقرّر اللجنة

عمان/ الأردن

تقـريـر

لجنَة المعجَم الزراعي العربي

تألفت لجنة المعجم الزراعي على النحو الآتي:

١- الدكتور مصطفى حداد: من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٢- الدكتور وليد المراني: من المنظمة العربية للتنمية الزراعية.

٣- الدكتور غبوش الضاوي: من وفد السودان.

٤- الدكتور ضيف الله داوود: من الوفد الأردني/ الجامعة الأردنية.

٥- الدكتور محمد شطناوي: من الوفد الأردني/ الجامعة الأردنية.

٦- الدكتور محمد حرب: من الوفد الأردني/ الجامعة الأردنية.

٧- الدكتور خليل الشوابكة: من الوفد الأردني/ الجامعة الأردنية.

٨- الدكتور رشاد الناطور: من الوفد الأردني/ الجامعة الأردنية.

٩- الدكتور سليمان عربيات: من الوفد الأردني/ الجامعة الأردنية.

وبعد أن اختارت اللجنة الدكتور مصطفى حداد رئيساً للجنة والدكتور وليد المراني مقرراً لها بدأت أعمالها، وكان أمام اللجنة ثلاثة مجلدات في الإنتاج النباتي وثلاثة مجلدات في الإنتاج الحيواني ومجلد واحد في الاقتصاد الزراعي.

كما أن أمامها التقارير التالية المتعلقة بهذه المعاجم:

١- تقرير المركز العربي لبحوث التعليم العالي.

٢- تقرير الوفد الأردني.

٣- تقرير الوفد المغربي.

٤- تقرير الوفد السوداني.

٥- تقرير مجمع اللغة العربية في القاهرة.

٦- تقرير الوفد العماني.

٧- تقرير وفد البحرين.

٨- تقرير الوفد الكويتي.

٩- تقرير الإمارات العربية المتحدة.

منهج العمل في اللجنة:

تم الاتفاق في اللجنة على اعتماد المصطلحات الكيميائية التي يقرها الكيميائيون والمصطلحات الفيزيائية التي يقرها الفيزيائيون والمصطلحات الطبية كما جاءت في المعجم الطبي الموحد (الطبعة الثالثة)، إلا إذا كان للمصطلح مفهوم خاص في الطب البيطري.

كما تم الاتفاق على اختيار مصطلح علمي عربي واحد للمصطلح الأجنبي الواحد من بين المصطلحات الواردة في المعاجم العربية الزراعية أو في المعجم الطبي أو في التقارير المقدمة إلى المؤتمر.

ما أنجزته اللجنة:

ودرست اللجنة جميع الملاحظات التي وردت في التقارير والتي تناولت المقابل العربي للمصطلح أو تعريف هذا المصطلح باللغات الثلاث، وبعد مناقشة هذه الملاحظات تم وضع إشارة (+) على الملاحظة المقبولة في نسخ التقارير المرافقة.

ولقد شملت الملاحظات بصورة واسعة المجلد الأول من الإنتاج النباتي والمجلدين الأول والثاني من الإنتاج الحيواني. أمّا الملاحظات على المجلدات الأخرى فلم تكن كافية.

وقد أوضح مندوب المنظمة العربية للتنمية الزراعية الدكتور وليد المراني أن هناك مجلدين آخرين تم طبعهما وتوزيعهما على الأقطار العربية. كما أن هناك سبعة مجلدات قيد الطبع سيتم توزيعها على الدول العربية والمختصين والمنظمات العربية والهيئات ذات العلاقة لإبداء الرأي في المصطلحات الواردة فيها. وأضاف بأن المنظمة عمدت إلى تشكيل لجنة باسم **لجنة المراجعة** برئاسة المدير العام للمنظمة الدكتور حسن فهيم جمعة وعضوية كل من أعضاء لجنة الخبرة الرئيسية وعدد من كبار المختصين في أمور التعريب في الوطن العربي والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كما أن المنظمة الزراعية قد اقتنت مصرفاً للمعلومات أدخلت فيه جميع المداخل التي تقارب (٢٠،٠٠٠) عشرين ألفاً، ويستفاد من هذا المصرف بوضع الملاحظات الواردة على كل مصطلح، ويمنع التكرار في حال وروده، وستوضع جميع هذه المعلومات أمام لجنة المراجعة. واعتمدت جهات فرنسية وإنكليزية متخصصة للنظر في النصوص الفرنسية والإنكليزية.

فوقع اختياركم عليّ رئيساً لهذا المؤتمر، ولست بخيركم، فإن بان نقص أو تقصير أو تسللت هفوة من خلال النيّة الصادقة المخلصة، فإن أملنا كبير بأن تتلمسوا لنا عذراً.

أيها الأخوة العلماء، فإن الواجب يقضي عليّ بأن أشيد بما بذلتم من جهود خيرة مباركة تحتسبونها عند الله سبحانه وتعالى خدمة للغة القرآن، وخدمة لأمتنا العربية وهي تتململ في فجر نهضتها القادمة إن شاء الله. فقد واصلتم العمل الحثيث طيلة أيام المؤتمر يحدوكم الحماس وروح المثابرة، لا تتفاوت مطلقاً بين شيوخنا وشبابنا من العلماء. فجزاكم الله خير الجزاء.

وإن مؤتمركم هذا، مؤتمر التعريب الخامس، هو استمرار لجهود خيّرة بذلها علماؤنا خلال ربع قرن من الزمان. ولتسمحوا لي أن أسجل، وقد واكبت جميع هذه المؤتمرات أن أقول: إن مؤتمركم هذا يتميز بظاهرتين اثنتين: أولاهما، هذه البحوث القيمة التي تكوّن جزءاً مكملاً لأعمال المؤتمر، والظاهرة الثانية هي إفساح المجال أمام المنظمات العربية الأخرى في ريادتها لتعريب المصطلحات في مجالاتها المتخصصة، في الزراعة والإحصاء والسكك الحديدية... هذا فضلاً عن المعاجم الستة التي جرى إعدادها خلال السنوات الأربع الماضية.

وها هو مؤتمركم العتيد وقد توج هذا الجهد العلمي الضخم، الذي يتجاوز الخمسين ألف مصطلح بمناقشة ملاحظات الوفود والاتفاق على ما اختلف عليه، ليعرب عن أمله في أن تجد هذه المعاجم طريقها إلى الاستعمال، فالاستعمال وحده هو الذي يفي هذه الجهود العلمية حقّها، والاستعمال وحده هو الذي يوفر للغة العربية أسباب نموها وحياتها.

واسمحوا لي أن أوجه باسم مؤتمركم، مؤتمر التعريب الخامس النداء الخالص لجميع علمائنا ومؤسساتنا العلمية للمبادرة لتدريس العلوم باللغة العربية، وأن يجعلوا من اللغة العربية لغة بحوثهم العلمية.

وأخيراً أوجه الشكر خالصاً إلى الأستاذ الدكتور المدير العام للمنظمة العربية وإلى الأخوة في مكتب تنسيق التعريب بالرباط على ما بذلوا من جهد لإنجاح مؤتمرنا، وأقدم التهنئة مشفوعة بالاحترام والتقدير إلى جميع الأخوة العلماء الذين شاركوا في هذا المؤتمر، للإنجازات المهمة التي كان لهم الفضل في وضعها بهذه الهيئة التي نرجو أن تكون أساساً لبناء ضخم، نامٍ ومتكامل في المستقبل إن شاء الله.

وأخيراً فباسم مجمع اللغة العربية الأردني، بجميع أعضائه، وباسمي أتمنى لكم دوام الصحة والعافية وسلامة العودة إلى أوطانكم الحبيبة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

برنامج
المؤتمر الخامس للتعريب
٧-١١ محرم ١٤٠٦هـ
٢١-٢٥ أيلول ١٩٨٥م

السبت ٢١ أيلول

صباحاً – الساعة ١١	جلالة الملك المعظّم يفتتح المؤتمر استراحة
الساعة ١٢–	انتخاب رئيس المؤتمر، ونائبي الرئيس، والمقرّر – إقرار مشروع جدول الأعمال. – تشكيل لجنة الصياغة. – تشكيل اللجان التالية: ١. لجنة مشروع معجم التربية. ٢. لجنة مشروع معجم الفيزياء العامة والفيزياء النووية. ٣. لجنة مشروع معجم اللسانيات. ٤. لجنة مشروع معجم الكيمياء العامة. ٥. لجنة مشروع معجم الألعاب الرياضية (القسم الأول). ٦. لجنة مشروع معجم علم الاجتماع. ٧. لجنة مشروع المعجم العربي للمصطلحات الإحصـ والديموغرافية. ٨. لجنة مشروع القاموس العربي لمصطلحات السكك الحديدية. ٩. لجنة مشروع المعجم العربي لألفاظ العلوم الزراعية ومصطلحاتها
الساعة ١٣–١٧	الغداء في الفندق.
الساعة ١٧–١٩،٣٠	جلسة العمل الأولى: – اجتماع اللجان المتخصصة. – انتخاب رئيس ونائب رئيس ومقرر لكل لجنة. – إقرار خطة العمل.
الساعة ٢٠	حفلة عشاء تكريمية بدعوة من رئيس مجمع اللغة العربية الأردني.

الأحد ٢٢ أيلول

الساعة ٩-١٣ جلسة العمل الثانية

اجتماع اللجان المتخصّصة

الساعة ١٣-١٧ استراحة غداء في الفندق

الساعة ١٧-١٩،٣٠ جلسة العمل الثالثة

اجتماع اللجان المتخصصة

الساعة ٢٠ حفلة عشاء تكريمية بدعوة من معالي وزير التربية والتعليم

الاثنين ٢٣ أيلول

الساعة ٩-١٣ جلسة العمل الرابعة

اجتماع اللجان المتخصّصة

الساعة ١٣-١٧ استراحة غداء في الفندق

الساعة ١٧-١٩،٣٠ جلسة العمل الخامسة

اجتماع اللجان المتخصّصة.

الساعة ٢٠ حفلة عشاء تكريمية بدعوة من معالي وزير التعليم العالي

الثلاثاء ٢٤ أيلول

الساعة ٨-٨،٣٠	تسليم تقارير اللجان المتخصّصة إلى رئاسة المؤتمر
الساعة ٨،٣٠- ١٣	جلسة العمل السادسة.

بحوث المؤتمر:

الساعة ٨،٣٠-١٠	البحث الأول: "قضايا التعريب: المشكلات والحلول" يقدّمه الأستاذ الدكتور جميل الملائكة. مناقشة
الساعة ١٠-١١،٣٠	البحث الثاني:"نحو تعريب العلوم الطبية" يقدمه الأستاذ الدكتور حسني سبح مناقشة
الساعة ١١،٣٠- ١٣	البحث الثالث: "نحو نظام للرموز العلمية" يقدّمه الأستاذ الدكتور أحمد سعيدان مناقشة

الساعة ١٣	حفلة غداء تكريمية بدعوة من معالي رئيس الجامعة الأردنية
الساعة ١٦،٣٠-١٨	جلسة العمل السابعة
الساعة ١٨-٢٠	جلسة العمل الثامنة: اجتماع الهيئة العامة للمؤتمر عرض تقارير اللجان المتخصّصة وتوصياتها.

الأربعاء ٢٥ أيلول

الساعة ٨– ١٠ جلسة العمل التاسعة:

عرض تقارير اللجان المتخصّصة وتوصياتها.

الساعة ١٠– ١٢ الجلسة الختامية

- إقرار توصيات المؤتمر
- اختتام المؤتمر

الخميس ٢٦ أيلول

رحلة إلى الأغوار الشمالية لزيارة أضرحة الصحابة، ورؤية الخطوط الأمامية على نهر الأردن.

حفلة غداء تكريمية بدعوة من عطوفة رئيس جامعة اليرموك.

مناقشة رسَالتي ماجستير في المجمع

١- في الساعة العاشرة من صباح يوم الأربعاء ١٩٨٥/٨/٧م نوقشت في قاعة الندوات والمحاضرات في مجمع اللغة العربية الأردني رسالة ماجستير للطالب السيد ياسين توفيق، موضوعها: "نجيب الكيلاني روائياً، بإشراف الدكتور سمير قطامي، وعضوية الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة، والدكتور خالد الكركي.

٢- وفي الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ١٩٨٥/٨/٣١م نوقشت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع رسالة ماجستير للطالب السيد عبدالكريم محمد عناد، عنوانها: "معين بسيسو والمسرح الشعري" بإشراف الدكتور محمود السمرة، وعضوية الدكتور سمير قطامي، والدكتور خالد الكركي.

الدكتور شكري فيصل في ذمّة الله

فقد المجمع زميلاً عزيزاً بوفاة المرحوم الدكتور شكري فيصل، العضو المؤازر في المجمع، وعضو مجمع دمشق الشقيق، وكانت وفاته على أثر عمليّة جراحية في القلب، أجريت له في جنيف يوم السبت ١٩٨٥/٨/٣٠، ونقل جثمانه الطاهر إلى المملكة العربية السعودية، حيث ووري في ثرى المدينة المنورة يوم السبت ١٩٨٥/٨/١٠م.

وقد بعث رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ببرقية التعزية التالية إلى الزميل رئيس مجمع دمشق، وإلى رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة التي كان الفقيد يعمل فيها قبل وفاته، وهذا نص البرقية:

باسم مجمع اللغة العربية الأردني واسمي أبعث إليكم بأحرّ التعازي بفقد الزميل الغالي المرحوم الدكتور شكري فيصل الذي فقدناه جميعاً أغزر ما يكون علماً ومعرفة، وأكرم ما يكون خلقاً وسيرة، رحمه الله رحمة واسعة وألهمنا جميعاً جميل الصبر والعزاء. وأرجو أن تتفضلوا فتنقلوا إلى أسرته وذويه بالغ تعازينا ومشاركتنا لهم في الفجيعة لفقده. وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

رئيس المجمع/ الدكتور عبدالكريم خليفة

وفيما يلي نبذة عن الحياة العلمية للفقيد الغالي:

ولد المرحوم الدكتور شكري فيصل في دمشق عام ١٩١٨، ويحمل المؤهلات العلمية التالية:

- ليسانس في الآداب من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٢.
- ليسانس في الحقوق من جامعة دمشق سنة ١٩٤٢.
- ماجستير في الآداب من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٨.
- دبلوم معهد اللغات الشرقية من جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٩.
- دكتوراه في الآداب بدرجة جيد جداً من جامعة فؤاد سنة ١٩٥١.

وقد حصل على عدة درجات ومناصب تعليمية في جامعة دمشق، والجامعة اللبنانية، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وهو عضو في مجمع اللغة العربية في دمشق وأمين سره منذ عام ١٩٥٠.

- وعضو في مجمع اللغة العربية الأردني، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في عمان، والمجمع العلمي العراقي في بغداد، وبيت الحكمة في تونس.

توزع إنتاجه العلمي بين التحقيق والتأليف وكتابة المقالات والبحوث، ومن أهم الكتب التي حققها ما يلي:

١- خريدة القصر وجريدة العصر "أربعة أجزاء" قسم شعراء الشام.

٢- ديوان النابغة صنعة ابن السكيت.

٣- أبو العتاهية أخباره وأشعاره.

٤- وشارك في تحقيق كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر.

٥- والوافي للصفدي "الجزء الخامس عشر" يبدأ بحرف الثاء إلى الحاء.

إضافة إلى الكتب المؤلفة وأهمها:

- مناهج الدراسة الأدبية "عرض ونقد واقتراح" رسالة ماجستير.
- حركة الفتح العربي في القرن الأول، (بحث تمهيدي لنشأة المجتمعات الإسلامية).
- المجتمعات الإسلامية في القرن الأول، (نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي).
- تطور الغزل في الجاهلية والإسلام، (من امرئ القيس إلى عمر بن أبي ربيعة).
- الصحافة الأدبية (منهج جديد للدراسة الأدبية).
- نثر شوقي.
- الشاعر القروي (حياته وشعره).
- من تراث الدكتور طه حسين.

وله مجموعة من البحوث والمقالات في مجلات (الوطن العربي، الثقافة، الرسالة، الكتاب، المعرفة، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق).

توفي رحمه الله في جنيف في ١٩٨٥/٨/٣، ودفن في المدينة المنورة يوم السبت ١٩٨٥/٨/١٠.

عليه رحمة الله ورضوانه.

المجمع ينعى
زميلاً عزيزاً

نعى مجمع اللغة العربية الأردني الفقيد الراحل الأستاذ عيسى الناعوري ، العضو العامل في المجمع، والعضو المراسل في المجمع العلمي العراقي، وفي المجمع العلمي الهندي.

وقد بعث رئيس المجمع إلى زملائه رؤساء أعضاء المجامع العلمية اللغوية في دمشق والقاهرة وبغداد، والهند، برسالة النعي التالية:

فإنه ليعزّ عليّ أن أنعى إليكم الزميل الأستاذ عيسى الناعوري، العضو العامل في مجمع اللغة العربية الأردني الذي وافته المنية يوم الجمعة ١٩٨٥/١٠/٤ أثر نوبة قلبية أثناء مشاركته في ندوة مجلة الفكر في جمهورية تونس.

لقد خسر المجمع بوفاة الزميل الراحل عضواً عاملاً نشيطاً، وأديباً كبيراً.

"إنّا لله وإنّا إليه راجعون"

ونقل جثمان الفقيد إلى عمّان، ودفن في مدينة عمّان يوم الثلاثاء الثامن من شهر تشرين الأول ١٩٨٥م.

وقد تلقى المجمع رسائل تعزية من الزملاء رؤساء المجامع الشقيقة، ومن بعض أصدقاء الفقيد، تعرب عن مشاركتهم وأسفهم لفقد الزميل الراحل.

وفي ما يلي نبذة عن حياته ومؤلفاته:

تلقى الفقيد تعليمه الابتدائي في مدرسة القرية، والثانوي في المدرسة الاكليركية في القدس. حاز على الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة باليرمو/ إيطاليا، سنة ١٩٧٦م، ومن الأكاديمية العالمية للفنون والثقافية- تايبي/ الصين الوطنية سنة ١٩٨٢م، كما حاز على بعض الأوسمة التقديرية، وشارك في عدد من المؤتمرات والندوات والمهرجانات العربية والاستشراقية والدولية.

عمل الفقيد في تدريس اللغة العربية وآدابها في مدارس أهلية في فلسطين والأردن مدة خمسة عشر عاماً، كما عمل سكرتيراً ومفتشاً لإدارة مدارس الاتحاد الكاثوليكي في الأردن (١٩٤٩-١٩٥٢)، وموظفاً في وزارة التربية والتعليم (٥٤-١٩٧٥)، وأميناً لمجمع اللغة العربية الأردني (١٩٧٦-١٩٨٥).

كان الفقيد غزير الإنتاج الأدبي، تنوّع إنتاجه بين القصة القصيرة والرواية والشعر والنقد الأدبي، والتراجم والسير والترجمة من اللغات الغربية وإليها، وقد تُرجم بعض نتاجه الأدبي إلى عدد من اللغات الأجنبية. ومن مؤلفاته.

١. إيليا أبو ماضي رسول الشعر العربي الحديث.

٢. بطولات عربية في فلسطين.

٣. إلياس فرحات شاعر العروبة في المهجر.

٤. أدب المهجر.

٥. نظرة إجمالية في الأدب المهجري.

٦. اللجنة الأردنية للترجمة والتعريب والنشر.

٧. مهجريات – أبحاث ومحاضرات.

٨. دراسات في الآداب الأجنبية.

٩. الحركة الشعرية في الضفة الغربية.

١٠. نحو نقد أدبي معاصر.

١١. دراسات في الأدب الإيطالي.

١٢. مع الكتب والناس والحياة (في النقد الأدبي).

١٣. دراسات في الأدب العربي الحديث.

١٤. طريق الشوك – مجموعة قصصية.

١٥. مارس يحرق معداته (رواية).

١٦. بيت وراء الحدود (رواية قصيرة).

١٧. جراح جديدة (رواية).

١٨. الفهد (رواية إيطالية مترجمة).

١٩. ليلة في القطار (رواية).

٢٠. الرجال والرفض (رواية إيطالية مترجمة).

٢١. ديوان شعر "أناشيدي".

٢٢. ديوان شعر "أخي الإنسان".

٢٣. ديوان شعر "أناشيد أخرى".

٢٤. ديوان شعر "همسات الشلال".

٢٥. الجديد في الأدب المعاصر.

٢٦. من القصص العالمي لأندرسن.

٢٧. أطفال وعجائز (أقاصيص إيطالية مترجمة).

٢٨. عائد إلى الميدان (مجموعة قصصية).

٢٩. فونتمارا (رواية إيطالية مترجمة).

٣٠. أدباء من الشرق والغرب (دراسات مقارنة).

٣١. أقاصيص أردنية.

٣٢. الشريط الأسود (اعترافات).

٣٣. في ربوع الأندلس.

٣٤. مجموعة قصص للأطفال منها: نجمة الليالي السعيدة، والعصفور الأخضر، وخمس حبات في غلاف، وبائعة الكبريت.

ومن مؤلفاته أيضاً ثلاثة كتب باللغة الإيطالية، وكتابان باللغة الإنجليزية، وكَتَبَ في عدد من الصحف في الأقطار العربية، والأجنبية.

وكان الفقيد قد أصدر مجلة (القلم الجديد) الشهرية الأردنية في عمّان (١٩٥٢-١٩٥٣) حيث صدر منها اثنا عشر عدداً.

لقد خسر المجمع بوفاة المرحوم أديباً كبيراً غزير الإنتاج، كثير العطاء.

"وإنّا لله وإنّا إليه راجعون".

ديوان رئاسَة المجمع العلمي العراقي

جاءنا من المجمع العلمي الشقيق ما يلي:

أعيد انتخاب ديوان رئاسة المجمع العلمي العراقي في حزيران الماضي فأصبح الديوان للسنوات الثلاث القادمة كالآتي:

الدكتور صالح أحمد العلي (رئيساً).

الدكتور محمود الجليلي/ والدكتور جميل الملائكة (نائبين للرئيس).

الدكتور سعدون حمادي/ والدكتور عبدالعزيز البسام (عضوين).

ومجمع اللغة العربية الأردني يقدّم أخلص التهاني والتبريكات لشقيقه المجمع العلمي العراقي بانتخاب ديوان رئاسته، ويتمنى له في هذا العهد الجديد كل تقدم وازدهار.